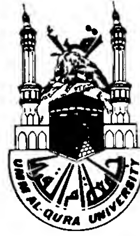
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز بحوث الدراسات الإسلامية
مكة المكرمة



سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية



تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين

(الجزء الأول)

الدعوة في حياة الصديق أبي بكر رضي الله عنه

تأليف

د / يُسْرِي محمد هاني

أستاذ مساعد الدعوة وتاريخها

١٤١٨ هـ

ح جامعة أم القرى ، ١٤١٨ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

هاني ، يسري محمد .

تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين (الجزء الأول : الدعوة في حياة الصديق أبي بكر رضي الله عنه ـ مكة المكرمة

٤٧٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٠ ـ ٢٤٥ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)

٩ ـ ٢٤٦ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠ (ج ١)

١ ـ الدعوة الإسلامية ـ تاريخ ٢ ـ الخلفاء الراشدون

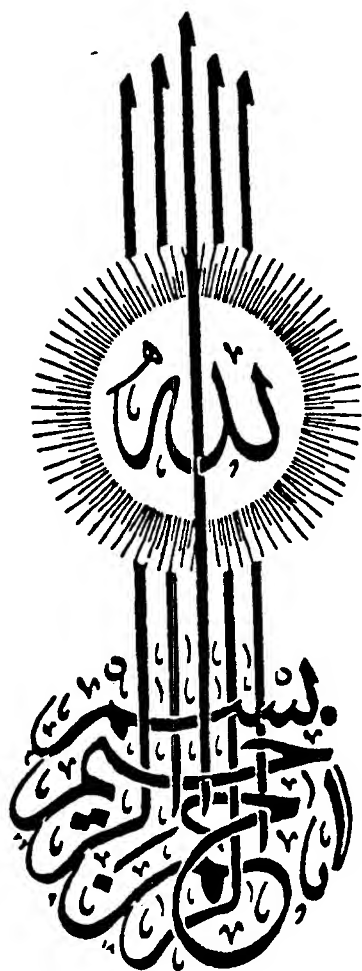
٣ ـ أبو بكر الصديق ، عبد الله بن أبي قحافة ، ت ١٣ هـ أ ـ العنوان

ديوي ٢١٣ ١٨ / ١٠٦٠

رقم الايداع : ١٠٦٠ / ١٨

ردمك : ٠ ـ ٢٤٥ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)

٩ ـ ٢٤٦ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠ (ج ١)


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد بن عبدالله الذي بعثه ربه على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل ، وفتح به أعينا عميا ، وآذاناً صما ، وقلوباً غلفا ، وأنقذ به الانسانية ، فأخرجها من الظلمات الى النور ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

فقد جاءت الدعوة الاسلامية بعد مادرست الأديان السابقة وحرفها أصحابها ، وبعد ماضلت الانسانية ، وتخبطت في متاهات الجهل ، ودروب الفلسفة العقيمة ، حتى تبتر القطام وهلك الأنام ، وصح في الناس قول الشاعر عن النبي صلى الله عليه وسلم :

أتيت والناس فوضى لاتمر بهم   إلا على صنم قد هام في صنم[١] .

جاءت الدعوة والحالة هذه ، فحررت الانسانية من هذا الرق القاتل ، وأعادت للإنسان إحساسه بنفسه ودوره في الحياة وقادت ركب الحضارة الراشدة فعاش الناس تحت لوائها آمنين .

ومرت السنون وأمة الاسلام تحمل دعوتها ، وتبلغ في الآفاق رسالتها ، وتجابه البلاء والحروب ، وكيد الأعداء ، وتخرج منتصرة بفضل الله الذي يمنحها قوة العزيمة ، ويقيض لها من يجدد عليها أمر دينها .

والمعلوم أن علماء الاسلام ومؤرخيه قد اجتهدوا وكتبوا التاريخ العام للمسلمين بمناهج متعددة ، إدراكاً منهم أن هذه أمانة لابد أن يقوم بها أهل التخصص في هذا العلم .

---

(١) الشوقيات ١٩٧/١ طبعة المكتبة التجارية / مصر .

وإذا كان التاريخ العام للمسلمين مكتوباً ومسطوراً بحيث يستطيع الباحث أن يمد يده إلى المكتبة فيجد عشرات المؤلفات ، فإن تاريخ الدعوة فقير في هذا المجال ، حيث لم يحظ إلا ببعض الرسائل العلمية التي تؤرخ للدعوة في أزمنة محدودة من التاريخ .

وهذا أمر جد خطير ، لابد من تلافيه ، والنهوض لكتابة التاريخ ـ بمنهج دعوى جديد وذلك للأسباب التالية :

١ ـ إن معظم القدماء عنوا بسرد التاريخ ، وذكر مايجري في الأزمنة المختلفة دون رابطة بينها أو ترتيب يستخرج موضوعاً معينا سوى رابطة التسلسل الزمني .

٢ ـ إن قليلا منهم من اهتم بتنقيح التاريخ ، وإظهار الدخائل التي دست عليه ، وتخليته من الشوائب التي لحقت به ، وأثارت غبار الشبهات على الصحائف البيضاء لهذه الأمة المجاهدة[1] .

٣ ـ إن المتحدثين كانت لهم اتجاهات متعددة في كتابة التاريخ الإسلامي عليها ملاحظات كثيرة سوف نناقشها في موضعها بمشيئة الله تعالى .

٤ ـ إن كتابة التاريخ كتابة دعوية لم تظهر إلا حديثاً على يد بعض أساتذة التاريخ الاسلامي الذين يحملون الرؤية الإسلامية الصحيحة ، وبعض رجال الدعوة والفكر الاسلامي[2] .

---

(١) منهم الإمامان المحققان : الحافظ ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » والعلامة أبوبكر بن العربي في كتابه « العواصم من القواصم » .

(٢) مثل العلامة الندوي في كتابه « رجال الدعوة والفكر » والدكتور محمد السيد الوكيل «جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين» وغيرهما .

وأرى كتابة التاريخ على هذا النهج من أصح الكتابات التي يمكن أن تحققه وتنقحه ، وذلك لما يلي :

أ ـ إن هذا النوع من الكتابة أصل واجب لإظهار وبيان حال الدعوة عبر التاريخ لأخذ الدروس والعبر للمسلمين في نهضتهم ورفعهم للواء الإسلام .

ب ـ إن صبغ التاريخ بالصبغة الإسلامية يعطيه مذاقاً خاصاً فيه تحقيق الوقائع ووزنها بميزان الدعوة ، مما يعطي الكاتب القدرة على قراءة الأحداث وتفنيدها ، واستخراج الصحيح منها ورد الخطأ ـ وهذا لايتوفر عادة ـ للباحث الذي يكتب التاريخ كتابة تقوم على الرد والتجميع فقط .

جـ ـ إن أمتنا لن تعود إلى سالف مجدها ، وسابق عزها ، وقيادتها وريادتها للعالم إلا بالعودة إلى دينها ، ولن تأخذ بأسباب ذلك إلا بدراسة تاريخها دراسة دعوية تستخرج منه دعائم القوة ، وتضع يدها على أسباب الضعف والتخلف . لا فليس التاريخ بالنسبة للأمة مجرد ماض انتهى ، بل هو بالنسبة لكل الأمم الحية جزء من النهر الكبير الذي تتدافع بين شطآنه أمواج حضارتها ، فيكاد الماضي ينسكب في الحاضر ، ويكاد الحاضر يذوب بين معبري الماضي والمستقبل ، وليس التاريخ مجرد أحداث جامدة إلا لهؤلاء الذين فقدوا وعيهم بذاتهم وحضارتهم ، ووقفوا عراة يتسولون من هنا وهناك بعض فتات الحضارات المحيطة بهم (١) .

إن الأمة التي تريد أن تحيا عليها أن تبحث عن تاريخها لترى كيف تقدم الأولون ، ولم تأخرت ؟ وتعلم كيف تنهض من كبوتها ، وتفيق من غفوتها .

---

(١) فقه التاريخ للدكتور « عبد الحليم عويس » .

د ـ إن هذا المنهج الدعوى هو منهج القرآن الكريم في الحديث عن تاريخ الأمم السابقة حيث يقول الله تعالى « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب . ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »(١) .

ويلفت نظر قريش إلى ضرورة العبرة مما مضى « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلا تعقلون »(٢) .

« قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين »(٣) .

« ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه آخاه هارون وزيرا . فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا . وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما . وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا . وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا . ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لايرجون نشورا »(٤) .

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي بينت لمن يريد دراسة التاريخ أن ينهج هذا النهج الرباني في ربط الأحداث واستخراج العظات والعبر .

هـ ـ إن رجل الدعوة من أقدر الناس علي القيام بهذه المهمة ، لأنه أشدهم إحساسا بأمته وضرورة عودتها إلى أخذ مكانتها ، لذا فهو ينطلق في هذه الدراسة واضعا نصب عينيه هذا الهدف ، فعينه على التاريخ عين الغامض البصير ، ويده يد الداعية الأمين الخبير ، فهو إن كتب يكتب بإخلاص وتجرد ، وهو في مهمته هذه يستطيع تفسير الأحداث ، وتعليلها بفقه في التاريخ لعله لايتوفر لغيره .

---

(١) الآية ١١١ من سورة يوسف .
(٢) سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٣) سورة الأنعام ١١.
(٤) سورة الفرقان الآيات ٣٥ : ٤٠ .

و- إن رجل الدعوة يلزمه أنه يتعدى لمن يريدون تمزيق تاريخنا . وهو تاريخ الدعوة - وتحويل انتمائنا مرة إلى الفرعونية ، ومرة ثانية إلى الفارسية ، وإلى غير ذلك ، ويلقون الشبهات ، ويثيرون الغبار على تاريخ الأمة ليحولوا بينها وبين عودتها إلى دينها وعزها .

« إن فقه التاريخ ضرورة لكل أمة تريد أن يبقى لها دور مميز في التاريخ ، وهو بالنسبة لأمتنا الإسلامية شرط من شروط وجودها ، فنحن في مستوى العقيدة ، والعبادة ، والحياة الاقتصادية والاجتماعية موصولون بركن من أركان تاريخنا نطلق عليه اسم « السيرة النبوية وتاريخ الراشدين » ونحن نعتبر هذا الجزء من تاريخنا على الأقل - حياة تعيش في وجداننا ، ودما يجري في عروقنا ، وهو بعض عقلنا ووجداننا ، وهو رسالتنا التاريخية »(١) .

« ومن ثم فإن التعرف على التفسير الإسلامي للتاريخ ليس نافلة بالنسبة للأمة المسلمة ، بل هو من صميم احتياجاتها التي ينبغي أن تسعى لتوفيتها وتحقيقها ، وهو بالذات من صميم احتياجات الصحوة الاسلامية ، إذ هو ركيزة من ركائزها في التربية ، كما أنه مقوم من المقومات الرئيسة لاسترداد الشخصية الإسلامية المفقودة في ركام الغزو الفكري الذي غشى الحياة الاسلامية في العصر الحديث »(٢) .

وقد اخترت أن أبدأ هذا العمل بالكتابة عن تاريخ الدعوة في حياة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وذلك لسببين :

الأول منهما بحثي أو تنظيمي : حيث إن مركز الدراسات الاسلامية بمعهد البحوث العلمية الذي نتبعه قد أصدر كتابا قيما في السيرة النبوية وهو «فقه السيرة النبوية» للاستاذ «منير الغضبان» فرأى مركز بحوث الدراسات الاسلامية أن نبدأ بالكتابة في تاريخ الراشدين .

---

(١) فقه التاريخ ص ٦ .

(٢) حول التفسير الإسلامي للتاريخ للأستاذ محمد قطب ص ٦ .

والثاني من الأسباب يتعلق بعهد الخلفاء الراشدين وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو العهد الذي تنظر إليه الأمة كلها نظرة الاحترام والتبجيل ـ وهو في نفس الوقت يمتلئ بالأحداث الجسام التي جابهت الدعوة وتحدت المسلمين . مما يجعله ثريا بالعظات والعبر والدروس المهمة للمسلمين في كل زمان ومكان . كما أنه قد وجهت إليه سهام الحقد على الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، مما يلزم كل غيور على تاريخ الأمة ـ وفضلائها ـ أن يدقق في هذا الأمر وأن يبين وجه الصواب فيه .

وأجدني تواقا إلى التفصيل بعض الشئ في هذا الأمر فأقول :

إن الله عز وجل أيد كل نبي من الأنبياء بمعجزة تصدقه في رسالة ، وتكون تثبيتاً لقلوب المؤمنين ، وفتنة للكافرين .

فكان مع كل نبي من المعجزات مايكفي العاقل اللبيب ، والصادق المتجرد ليؤمن ويتبع الحق .

وقد أيد الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بمعجزات كان أعظمها القران الكريم ، المعجزة الدائمة دوام الدهر يهدي الناس إلى الحق والخير ، ويأخذ بأيديهم إلى سبل الهدى والرشاد .

ثم جعل الله للإسلام كرامة كبرى شاهدة على عظمة الدعوة ، وصلاحها لكل زمان ومكان .. ، ألا وهم الرجال الذين ربّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذين عاشوا للإسلام وجعلوا صلاتهم ونسكهم ومحياهم ومماتهم لله رب العالمين لاشريك له .

نعم لقد كانوا معجزة في مجال التربية وتغيير المجتمع ، إذ كيف يستطيع رجل في زمن يسير أن ينقل أمة من ضلالات الشرك إلى نور التوحيد ؟ أو ينتشلها من المستنقع الجاهلي الآسن ، ومن مواريث الآباء إلى قمة سامقة من

الإيمان والرقي والحضارة تنخلع الرقاب دون ذراها ؟ وكيف يستطيع أن يحولها من رعاة غنم إلى قادة أمم ؟ من أمة منسية الذكر خاملة إلى أمة لها الريادة ؟

إن ذلك لايكون إلا لنبي مرسل هو محمد صلى الله عليه وسلم وإلا لدين كامل هو دين الاسلام .

كانت كل حركة للصحابة دعوة وجهادا ، لم يعرفوا للراحة طعما ، ولم يعرف الخمول أو الكسل إلى نفوسهم طريقا ، أقاموا دولة الإسلام في قلوبهم فقامت على أرضهم ، فأضحوا حركة دائبة لاتهدأ ولاتفتر ، لايهمها من الحياة مال أو متاع ، ولاتشغلها عن دعوتها زخارف الدنيا وبهجتها .

وحدوا همتهم في إرضاء مولاهم ، وبذلوا أوقاتهم في سبيل دعوته فقبلها منهم وقال فيهم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا »(١) .

وجعل فيهم الرجولة الصادقة فقال : لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطَّهّرين »(٢) .

لقد جعلهم الله سبحانة إعجازا في مجال التربية يثبتون للدنيا كلها أن دعوة الإسلام قادرة على إحياء موات الأمم والشعوب ، وأن دين الله يربي الأجيال الصالحة العاملة لخير الانسانية كلها .

لذلك فإن سيرتهم وتاريخهم من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة التي لاتزال هذه الأمة تقتبس منها شعلة الإيمان ، وتحمل زاد الدعوة فتشعل أنوار الحق في قلوب الناس حتى لاتنطفئ بريح الهدم التي يوجهها أعداء الأمة ضد دعوتها وتاريخها .

---

(١) سورة الأحزاب ٢٣ .

(٢) سورة التوبة ١٠٨ .

إن تاريخهم تاريخ رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها ، وصدقتها قلوبهم ، وكان قولهم حين دعوا إلى الله ورسوله « ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفرلنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار »(١) .

وقد انطلقوا في الارض ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

« منحهم الله علو الهمة ، وبعد النظر في نشر دعوة الاسلام ، فانتشروا في الارض مشارقها ومغاربها ، وسهولها وهضابها ، وجبالها ، وأغوارها وأنجادها ، ونسوا في ذلك لذاتهم ، وهجروا راحاتهم ، وغادروا اوطانهم ، وبذلوا مهجهم وحر أموالهم فقامت دولة التوحيد ، وعلت راية الهداية ، وعم العدل أنحاء الأرض فدخل الناس في دين الله أفواجاً » .

« ومن المعلوم أن مراتب الناس في هذا الوجود بنسبة أعمالهم ، وخلائقهم سبب تفاوت الرجال خرب شخص بعيد السمعة عظيم كبير ، وآخر لافي العير ولافي النفير !!

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا　　　إلى الفضل حتى عد ألف بواحد

بل رب شخص تقوم به الدولة ، وتسعد الأمة ، وآخر تهلك به الدولة ويشقى الناس ، وإنما قامت الدول واتصلت بأسباب السعادة بأفذاذ من كل أمة معدودين ، وأفراد من الرجال مشهورين ، كبرت نفوسهم عن أن تخلد إلى الدين ، أو ترضى بالحقير من الشهوات ، فطمحت بهم إلى معالي الأمور ، وانصرفت هممهم إلى غايات الكمال ، فنالوا بهذا حياة لاتفنى وغادروا في

---

(١) سورة آل عمران ١٩٣ .

الوجود آثارا لن تزول .. لو نقبنا عن هؤلاء الرجال في التاريخ لوجدنا أعظمهم عملا ، وأعلاهم كعبا ، وأبعدهم همة .. رجال الاسلام الذين أظلت فروعهم فارس والترك والصين ، والمغرب وأوربا والروم ، فدانت لهم أعظم دول الارض لذلك العهد ، واستخضعوا السلطان حكمهم أشد الأمم صولة ، وأرقاهن مدنية كالفرس والروم وغيرهم »[١] .

ولاغرو أن يدب الحسد في قلوب أعدائهم ، وأن يحاولوا طمس معالم عزهم ! فحاول المجوس ، وحاول اليهود ، وحاول النصارى ، وحاول القرامطة والباطنية والرافضة بل حاول كل موتور حاسد حاقد أن يثير الغبار على حياة الصحابة ـ والخلفاء الراشدين بخاصة ـ كي يهيل التراب بعد ذلك على الأمة ليدفنها !! فظهرت هذه العداوات الدفينة في صورة فرق مختلفة بدأت بالوضع في الحديث الشريف ، والدس في التاريخ ... لذلك نقف وقفة يسيرة مع هذا الموضوع لما له من علاقة بهذا البحث :

« بين الحديث النبوي والتاريخ الإسلامي »

عاش أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، معه يوجههم ويعلمهم ، وينقل إليهم ماجاء به الوحي ، وكانوا ـ رضى الله عنهم ـ أصحاب فطرة صحيحة ، وموهبة في الحفظ مليحة ، فحفظوا أقوال النبي صلى الله عليه وسلم .

« وهذه ـ فيما نعلم ـ ظاهرة لم تحدث في تاريخ البشرية على امتداد أحقابها ، لم يحدث أبدا أن حفظ جيل كامل معاصر لرجل كل كلمة نطقت بها شفتاه .. سمعت منه أو نقلت عنه ، ثم كان الحفاظ على الحياة .. إيثارا وحبا ، وحنينا وتأثرا كما حفظ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سنته »[٢] .

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة .

(٢) بتلخيص وتصرف من مقدمة كتاب «الموضوعات» لابن الجوزي ـ بقلم الأستاذ عبد الرحمن عثمان ص ٤ .

ثم مات النبي صلى لله عليه وسلم والأمة بخير ، مجموع أمرها على كلمة واحدة ، وظلت هكذا حياة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما إلى مقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه . فكان استشهاده صدمة كبرى ، ومصيبة عظمى هزت العالم الاسلامي وباستشهاده ـ رضي الله عنه ـ على تلك الصورة الشنيعة تسلسل عمل الكائدين لدين الله وفق ما يلي :

١ ـ كان ليد أبن سبأ اليهودي الخبيث الدور الأسود في هذه الفتنة ، فإنه بعدها كثرت الفرق ، وحاولت كل فرقة أن تؤيد مذهبها وفكرها باختراع الاحاديث التي تؤيدها [١] .

٢ ـ كان ظهور القصاص والوعاظ الكذابين الذين يتكسبون بالقصص المخترعة سبباً في الوضع في الأحاديث :

فمن هؤلاء القصاص خرجت النمائم التي يسمعها الناس ، ومثال ذلك ماروواه ابن الجوزي رحمه الله باسناده إلى أبي جعفر بن محمد الطيالسي قال : « صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال «لا إله الا الله» ، خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان ... وجعل يقص نحوا من عشرين ورقة !!

فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ويحيى بن معين ينظر إلى أحمد بن حنبل فقال له : أحدثت بهذا ؟ فيقول : والله ماسمعت بهذا إلا الساعة ، فلما فرغ من قصته ، وأخذ الأعطيات ـ ثم قعد ينتظر بقيتها ـ فقال له يحيى بن معين تعال ، فجاء متوهما بسؤال !!

فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ! فقال أنا يحيى ابن معين ، وهذا أحمد بن حنبل ماسمعنا بهذا قط في

---

(١) ارجع في ذلك إلى « عبد الله بن سبأ » للدكتور سليمان العوده ص ١٢ ومابعدها .

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ياسبحان الله لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ، ماتحققت هذا إلا الساعة ، كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟! وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين !! فوضع أحمد كمه على وجهه ، وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزئ بهما !! .(١) .

٣ ـ كما كان ظهور بعض المداهنين والمرائين الذين تقربوا إلى الطبقة الحاكمة بوضع الأحاديث سببا بارزا وعاملا من عوامل ظهور تلك الجريمة ! وذلك كمثل مافعل غياث بن ابراهيم للخليفة المهدي في حديث « لاسبق إلا في نصل ، أو خف ، أو حافر » فزاد « أو جناح » حين رآه يلعب بالحمام !!(٢) .

٤ ـ وظهور بعض محبي الخير الذين وقعوا في الغفلة فأرادوا أن يرغبوا الناس في الخير فكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم « معتقدين أنهم بذلك يقدمون خدمة للإسلام ويقولون : ماكذبنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم « وانما كذبنا له !! فقاموا بوضع أحاديث في فضل السور لجذب الناس إلى قراءة القرآن الكريم .

وهكذا اجتمع على السنة النبوية من كيد الكائدين ، وغفلة بعض المسلمين ماشكل خطرا عظيما . لكن الله سبحانه الذي حفظ كتابه من التحريف حفظ سنة نبية صلى الله عليه وسلم « لأنها الشارحة له المفصلة لمجمله ، المخصصة لعامه ، الموضحة لمشكله .. نعم قيض الله لسنة النبي صلى الله عليه وسلم من يدافع عنها ، ويظهر باطل المبطلين ، ووضع الوضاعين ، فظهر صف من العلماء تخصصوا في الذب والدفاع عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من

---

(١) « الموضوعات » لابن الجوزي ٤٦/١ وارجع في ذلك أيضاً إلى « تحذير الخواص من أحاديث القصاص » للحافظ السيوطي .

(٢) الموضوعات المرجع السابق ١ / ٤٢ .

كتب الصحيح ، ومنهم من بين الضعيف ، ومنهم من أبرز الموضوع ، ومنهم من كتب الصحيح ، ومنهم من تخصص في الرجال جرحاً وتعديلا ، حتى صح للباحث أن يقول : إنه لم يخدم علم على مدى التاريخ كما خدمت سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأقول : لم يكد القرن الثالث الهجري ينتهي حتى كانت السنة مصنفة محفوظة :

فقد ألف الإمام مالك رضى الله عنه المتوفي سنة ١٧٩هـ الموطأ .

وألف الإمام البخاري رضى الله عنه المتوفي سنة ٢٥٦هـ صحيحه .

وألف الإمام مسلم رضى الله عنه المتوفي سنة ٢٦١ هـ صحيحه .

وألف الإمام ابن ماجه رضى الله عنه المتوفي سنة ٢٧٣هـ سننه .

وألف الإمام ابو داود رضى الله عنه المتوفي سنة ٢٧٥هـ سننه .

وألف الإمام الترمذي رضى الله عنه المتوفي سنة ٢٧٩هـ سننه .

وألف الإمام النسائي رضى الله عنه المتوفي سنة ٣٠٣هـ سننه [(١)] .

وبعد هذا أستطيع القول : إن أسباب الوضع في الحديث النبوي هي نفس أسباب الدرس في التاريخ الاسلامي لما يلي :

١ ـ ظهرت الفرق فاجتهدت كل فرقة أن تكتب وتسجل مايجعلها فوق الجميع ، وفي نفس الوقت تكتب وتروي مايسيئ إلى خصومها ويزري بهم .

٢ ـ كان مقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه فرصة لأعداء الاسلام ففتحوا الباب واسعا للدس في التاريخ وتشويهه مستغلين في ذلك عواطف المسلمين وفجيعتهم في إمامهم .

٣ ـ وطبقة المداهنين موجودة لم يخل منها عصر ولامصر ، حيث كان ليدها دور في الدس والتزييف والافتراء في التاريخ لايكاد يغيب .

---

(١) ارجع في ذلك إلى « جامع بيان العلم وفضله » ٧٦/١ .

٤ ـ وطبقة القصاصين ساهمت في التزييف ، وكان لها باع طويل في ذلك مما جعل سيدنا عليا رضي الله عنه يتتبعهم ويخرجهم من المساجد ، ولم يدع سوى الحسن البصري لانه كان متبعا لمنهج القرآن والسنة .[١] .

٥ ـ وأضيف الى ذلك : أن جو الحرية والاجتهاد ، وهو الجو الذي تتميز به الثقافة الإسلامية فتح الباب أمام كل ماكر خبيث ليفترى ويدعي مايشاء .!!

« كانت السمة الغالبة على الثقافة الاسلامية ـ الحرية ، الاجتهاد ، الاختيار وتلك مميزات نعرفها للثقافة التي تتفاعل مع الإنسان ـ كل إنسان ـ وتتعامل مع الزمان ـ كل الزمان ـ وتنداح حتى تستوعب المكان ـ كل المكان ـ وظل باب الاجتهاد ـ في هذه الثقافة ـ مفتوحاً على مصاريعه ليقول كلمة الحق في كل مايعترى المسيرة البشرية من مشكلات ، وتطلعات وارتباطات .

وينبغي لنا ويجمل بنا أن نتوقف عند هذه النقطة لنقول : إن شراء الثقافة الإسلامية ، وإن باب الاجتهاد المفتوح على مصاريعه فيها ... وإن ترحيبها المستمر بكل الأمم والشعوب ... إن كل أولئك كان مدخلا تسللت منه رواسب ثقافات ، وبقايا اعتقادات ، ومزيج من الخرافات التي لاتتفق مع الإسلام في الشكل أو الموضوع ... أرأيت إلى النهر العظيم وهو يهدر في مجراه ، وينساب قويا عظيما ليروي الظماء من البشر ، والحيوان ، والطير ، والقفار . أرأيت إلى مايعلق بهذا النهر من غثاء ، ونباتات طفيلية ، وجنادل وصخور ناتئة من شطآنه ، أو ملقاة في سبيل مده الهادر ؟

لقد كان التاريخ ولايزال ـ وسيظل ـ مصدر التصورات الباهته ، والروايات الموضوعة[٢] التي تؤيد حزبا دون حزب ، وتعين فريقا على فريق .

---

(١) ارجع في ذلك إلى « هداية المرشدين » للشيخ علي محفوظ ص ٧٩/٨٠ .

(٢) هذا إطلاق من المؤلف يحتاج إلى مراجعة .

إن الرواية التاريخية أصبحت على لسان المحاربين كالسيف الذي في أيديهم يقتلون بها ويثيرون القلاقل في صفو أعدائهم ... وإذا كانت الحرب الباردة تعتمد على الإشاعة والأكاذيب ... فإن الإشاعة والأكاذيب تحولت إلى روايات تاريخية ــ بل إلى روايات حديثية يضعها الوضاعون ، ثم يرفعونها بلا خوف ولا خجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يوقفونها دون حياء ولاستخزاء عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم "ورضي الله عنهم" (١) .

وإذا كانت السنة النبوية قد حظيت بمن غربلها، وميز صحيحها من سقيمها ، فإن التاريخ الاسلامي العام قد اختلف الأمر بالنسبة له حيث اتبع بعض المؤرخين طريق التحري والتثبت ، واتبع البعض الآخر طريق الجمع لكل الروايات التي وردت في الموضوع الذي يؤرخ له ، ومنهم من جمع بين الأمرين كالإمام الطبري ـ رحمه الله ـ وهو من الطبقة السادسة من المحدثين ـ حيث أورد في تاريخه روايات ضعيفة قال عنها : « وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ماأحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه ، إنما هو على مارويت من الاخبار التي أنا ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه ــ دون ماأدرك بحجج العقول ، واستنبط بفكر النفوس ، إلا اليسير القليل منه ، إذ كان اللم بما كان من أخبار الماضين ، وماهو كائن من أنباء الحادثين ، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ، ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقل ، والاستنباط بفكر النفوس ، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن الماضين مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من بعض ناقليه إلينا ، وإنما أدينا على نحو ماأدى إلينا »(٢) .

---

(١) من تقديم الدكتور جميل غازي للكتاب العواصم من القواصم ص ٩٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ص ٧ / ٨ .

« والمعلوم أن حادثة انتشار الاسلام ، ودخول الأمم فيه أصبحت في ذمة التاريخ ، والأجيال التي أتت بعد ذلك إلى يومنا هذا منهم من يفتخر بذلك ويمتلئ قلبه سرورا ويدعو بالخير لمن كانوا سببا في هذا الخير العميم ، ومنهم من يبتئس بذلك ، ويمتلئ فؤاده حقدا وحسدا على من نشروه ، وجعل من دأبه أن يصممهم بكل نقيصة ، ويقعد لهم كل مرصد » ..

إننا قد نعذر الذين لم يذوقوا حلاوة الاسلام ممن حالت بينهم وبين الأنس لعظمته وشريف أغراضه ـ والوقوف على سيرة الذين قاموا به ـ إذا نظروا إلى الاسلام نظرة خاطئة ، واتخذوا له في أذهانهم صورة غير الصورة التي له في الواقع .. وفي المنسوبين إلى الاسلام من يبغض حتى الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقلب جميع حسناته الى سيئات !! إن أحد الذين شاهدوا بأعينهم عدل عمر ، وزهده في متاع الدنيا ، وإنصافه لجميع الناس لم يستطع أن يمنع الحقد الذي في فؤاده على الاسلام من أن يدفعه إلى طعنه بالسكين دون أن يسيئ عمر إليه ! وفي قوم طاعن عمر بالسكين من يؤلفون المؤلفات إلى يومنا هذا من تشويه حسنات هذا المثل الاعلى للعدل والانسانية والخير »(١) .

أقول :

والعجيب من كثير من المسلمين نسيانهم لتاريخهم ، وغفلتهم ـ إلا من حفظه الله ـ عن وجوب تحقيقه حتى جهل الجيل الحقيقة التي تذبح على موائد الخونة والمتآمرين على الاسلام حتى أضلوا كثيرا ، ونفروهم من سيرة أسلافهم ـ كي يقوم البعد النفسي بحجز هؤلاء عن الاقتداء بهم ، والسير على طريقهم ليعيدوا للأمة مجدها السليب .

---

(١) من تقديم العلامة : محب الدين الخطيب لكتاب «العواصم من القواصم» ص ٤٥ / ٤٧ بتصرف .

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء المؤلفين ، والكاتبين والوعاظ والدعاة الذين انصرفوا إلى حكايات القصاص الذين يروون القصص المخترعة التي لاتسمن ولاتغني من جوع ويغفلون عن صحاح الاخبار مماله شأن في التأثير والاقتداء .

إن من الواجب علينا جميعا أن ندرك فضل الصحابة وأحوالهم في الدعوة إلى الاسلام ، وطلاب العلم مكلفون أن يعودوا إلى حياة الصحابة لينهلوا من معينها ، ويشربوا منها عللا بعد نهل .

« فنحن لم نكن مصابيح الدنيا الا يوم أن كنا بالله موصولين ، ومادانت لنا الدنيا الا يوم علوناها بنفوسنا وأرواحنا ، فأشرفنا عليها من سماء الروح إشرافا نلامسها ولانتدنس بها ، ونصرفها ولاتصرفنا ـ وهكذا كان عظماؤنا الخالدون ـ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أجمعين »[1] .

« الدعوة في تاريخ هؤلاء الصفوة »

إن حياة الصحابة عليهم الرضوان ـ منهج حياة وتراث أمة ، والدعوة في تاريخهم هي التطبيق العملي للاسلام ، فمن أراد أن يرى عظمة الإسلام وكماله وأن يشاهد أثره في بناء الأمة وتربية الجيل الذي يكشف الله به كل غمة ... فلينظر إلى هذا الجيل الفريد وعملهم المجيد .

فما العزُّ للإسلام إلا بِظلِّهم .. وما المجْدُ إلاَّ مَابَنَوْه فَشَيَّدُواْ

فَتشبَّهُوا إن لَمْ تكُونُوا مِثْلَهُم .. إن التَشَبُّه بالرجَالِ فَلاَحُ

« إن المسلمين ـ بل الإنسانية كلها ـ أشد ماكانوا اليوم حاجة إلى معرفة فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكرم معدنهم ، وأثر تربية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وماكانوا عليه من علو المنزلة التي صاروا

---

(١) عظماؤنا في التاريخ للداعية المجاهد د / مصطفى السباعي ص ٤٦ .

بها « الجيل المثالي » الفذ في تاريخ البشر ، وشباب الاسلام معذور إذا لم يحسن التأسي بالجيل المثالي في الاسلام ، لأن أخبار أولئك الأخبار قد طرأ عليها من التحريف ، والأغراض ، والبتر والزيادة ، وسوء التأويل في قلوب شحنت بالغل على المؤمنين الاولين فانكسرت عليهم حتى نعمة الايمان ـ وقد أصبح من الفرض الديني والقومي والوطني على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الاسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات ، وأن يبادر له ويجتهد فيه ماستطاع إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به ويجددون عهده ، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته .

وهذه المعاني تحتاج الى دراسات علمية عميقة ليتبين لنا سر الله في تكوين هذا الجيل المثالي على يد حامل أكمل رسالات الله صلى الله عليه وسلم [١] .

واستجابة لهذا الأمر الجليل أردت أن أكتب تاريخ الدعوة في حياة الراشدين رضى الله عنهم وبدأت بحياة أولهم وأعلمهم وأخيرهم : الصديق أبي بكر رضى الله عنه .

وحين استعنت بالله على ذلك وضعت في اعتباري مايلي :

١ ـ أن أكتب عن الدعوة في حياة الصديق ـ رضى الله عنه ـ أو أكتب حياة الصديق كتابة دعوية لاستخراج الدروس النافعة لكل من يريد معرفة هذه الشخصية الفريدة .

٢ ـ أن أقدم لطلاب الدعوة نموذجاً تطبيقياً .. يحسن التأسي به ـ فهو نموذج لصفي من أصفياء رسول الدعوة صلى الله عليه وسلم ، وهو مؤمن مجاهد ومنفق متصدق ، وحاكم عادل .

---

(١) من ختام كتاب « المنتقى من منهج الاعتدال » للحافظ الذهبي رحمه الله بقلم محب الدين الخطيب رحمه الله ص ٥٦٤ . هذا وقوله « وشباب الإسلام معذور » كلام عاطفي والواقع أنه ليس معذورا في كل الأحوال لأن للإسلام مصادره الواضحة وليس التاريخ المصدر الوحيد ، ويلاحظ أن قوله «من الفرض الديني والقومي والوطني» عبارات صحفية لاعلمية .

إنه نموذج لرجل الدعوة الذكي ... الذي ربى على يد النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ إن الدراسة النظرية للدعوة لاتصبح شيقة ـ في رأيي ـ حين تدرس دراسة بحثية ـ أكاديمية ـ جافة ، ولكنها تصبح محببة إلى النفوس راسخة في الأذهان والقلوب يوم تعرض من خلال تاريخ شخصية محبوبة لها من الرصيد الخلقي ، والعطاء النفسي مايجذب القارئ إليها .

٤ ـ وقد وجدت أثناء بحثي وتأليفي شيئاً غريباً ، وهو أن كثيراً ممن كتبوا عن الصديق وضعوا همهم في الكتابة عن الصديق الخليفة ، وإن مسوا حياته قبل الخلافة فهم يفعلون ذلك في عجلة من أمرهم حيث يكون مساً رقيقا لايقف مع الشخصية الجليلة موقفاً صحيحاً متكاملاً ! وقلت ياللعجب !!

أيجمل هؤلاء حياة الصديق سنتين وأشهراً ـ وهي مدة خلافته ـ ويهملون مايربو على اثنين وعشرين عاماً قضاها في الدعوة جنباً الى جنب بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

لذا أخذت أبحث عن الدعوة إلى الاسلام في حياة الصديق رضى الله عنه منذ لحظة إسلامه ، متتبعاً ذلك مرحله تلو مرحلة ، مستخرجاً أساليب ووسائل الدعوة فيها ، مفصلاً مواقفه الدعوية من يوم إسلامه إلى أن أضحى خليفة وحتى لقى ربه راضي مرضيا .

وكان منهجي في البحث قائما على مايلي :

١ ـ تتبع الروايات من مصادرها ، وتحقيقها تحقيقا علميا يعطينا القدرة على استنتاج أحكام صحيحة منها .

٢ ـ العودة بالأحداث إلى الكتاب والسنة ، وشهادة العدول من الأمة في وقائع حياة الصديق رضى الله عنه .

٣ ـ البعد عن السرد القصصي الذي لايراعي تحقيق النصوص ، والذي يعتمد على إثارة العاطفة لدى القارئ والذي ظهر في بعض المؤلفات الحديثة .

٤ ـ قبول الواقعة التاريخية ـ مادامت قد وصلت عن طريق صحيح وموثق ـ ومناقشتها بناء على الظروف التاريخية ـ والحالة النفسية التي كانت ساعة وقوعها حتى يمكن التعليل لها .

وبعد / فهذا الكتاب خطوة متواضعة نحو كتابة التاريخ كتابة دعوية تحرره مما علق به ، وتعيد إليه ضياءه وبهاءه ، وتقدم للأمة تاريخها دون تحريف أو تخريف حتى تنهض من كبوتها ، وتفيق من غفلتها ، وتعود إلى أستاذيتها للبشرية في رحمة وعدل وهي تردد مع الشاعر الداعية :

ملكنا هذه الدنيا القرونا	وأخضعها جدود خالدونا
وسطرنا صحائف من ضياء	فما نسى الزمان ولانسينا
ومافتئ الزمان يدور حتى	مضى بالركب قوم آخرونا
وآلمني وآلم كل حر	سؤال الدهر أين المسلمونا
ترى هل يرجع الماضي فإني	أذوب لذلك الماضي حنينا

هذا وقد جعلت هذا الكتاب مرتبا على مقدمة وثلاثة أبواب .

أولا : المقدمة ـ خطة البحث .

ثانياً : الباب الأول : الصديق في مكة : الداعية والدعوة .

الفصل الاول : الصديق تعريف وبيان .

الفصل الثاني : الدعوة في حياة الصديق منذ إسلامه إلى الهجرة .

ثالثاً : الباب الثاني : الصديق في المدينة : الداعية والدعوة .

الفصل الاول : الصديق في ميادين الجهاد .

الفصل الثاني : الثبات في المحن .

الفصل الثالث : أبو بكر وزير النبي صلى الله عليه وسلم .

رابعاً: الباب الثالث : أبو بكر الخليفة ـ الداعية والدعوة .

الفصل الاول : بيعة الصديق رضى الله عنه .

الفصل الثاني : الدعوة العملية في حياة الصديق الخليفة .

الفصل الثالث : الدعوة بالقدوة في حياة الصديق الخليفة .

الفصل الرابع : الدعوة البيانية في حياة الصديق الخليفة .

الفصل الخامس : ختام حياته ـ رضى الله عنه ـ .

هذا ولا أدعي أني أتيت بما لم تستطعه الأوائل أو أن لسان حالي يقول :

حَلَفَ الزَّمَانُ لَيَأتينَّ بِمِثْلِهِ   حَنِثَتْ يَمِينُكَ يَازَمَانُ فَكَفِّرِ

بل أقول ماقاله السابقون :

أَسيرُ خَلْفَ رِكَابِ القَوْمِ ذَا عَرَجٍ

مُؤَمِّــلاً جَبْرَ مَــالاَقَــيْتُ مِنْ عِــوَجِ

فإنْ لَحِقْتُ بِهِم مِنْ بَعدِ مَاسَبَقُوا

فَكَمْ لربِّ السَّمَا في النَّاسِ مِن فَرَجِ

وإن ظَلَلْتُ بقَفْرِ الأرض مُنَقطِعاً

فَما عَلَى أعْــرَجٍ في ذَاكَ مِنْ حَــرَجِ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أبو الأيسار / يسري محمد هانيء

أستاذ مساعد الدعوة وتاريخها

معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الاسلامي

البـــاب الاول

الصـديق في مكة : الداعـية والدعـوة

الفصل الأول

الصديق الداعية تعريف وبيان

التعريف بالصديق ـ رضى الله عنه ـ :

الحديث عن شخصية من الشخصيات يقتضي التعريف بها ، وإلقاء الضوء على جوانب حياتها حتى تظهر للقارئ في صورة جلية لاغموض فيها ولالبس ، كما أن ذلك مع ماروى عنها من أخبار . لذا آثرت أن أتحدث عن الصديق رضى الله عنه : تعريفا وبيانا فأقول وبالله التوفيق :

أولا : نسب الصديق ومولده :

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[1] . وكنيته أبو بكر .

« **والد الصديق** » هو عثمان بن عامر أبو قحافة أسلم يوم الفتح ، وكان قد صعد الجبل تقوده أسماء بنته وهو مكفوف البصر ، فرماه بعض المسلمين فشجه ، وسال الدم على وجهه فأدركه أبو بكر وهو يستدمى فمسح الدم عن وجهه ، وأقبل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ياأبا بكر هلا تركته ، حتى نأتيه ؟ فقال أبو بكر : هو أولى أن يأتيك يارسول الله ، فأسلم أبو قحافة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

« **والدة الصديق** » هي سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة وكنيتها أم الخير أسلمت مبكراً كما روى القاسم بن محمد عن أم

---

(١) التيمي نسبة إلى تيم بن مرة وهم بطن من قبائل تيم الأربع . تيم اللات ، وتيم الرباب وتيم ربيعه . انظر الأنساب للسمعاني ١٢١/٣ ، والعبر ١١/١ ، حلية الأولياء ٢٨/١ ، أسد الغابة ٢٠٥/٣ الاستيعاب ٢٤٣/٢ ، تذكرة الحفاظ ، ٢/١ ، الإصابة ١٠٢/٤ ، الطبقات الكبرى ١٦٩/٣ ، تاريخ خليفة بن خياط ٧٨/١ ، تاريخ الطبري ٢١٨/٣ ، تاريخ اليعقوبي ١٢٣/٢ ، مروج الذهب ٤٦١/٢ ، تاريخ الإسلام للذهبي ١/٣ .

(٢) انظر أسد الغابة ٣٧٤/٣ ، الإصابة ٤٦١/٢ ، المعرفة والتاريخ ٢٣٨/١ ، ٤٤٦/١ .

المؤمنين عائشة في واقعة إلحاح أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم على الظهور بمكة وفيها « فقال أبو بكر بأبي أنت وأمي يارسول الله . ليس لي بأس إلا مانال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها ، وأنت مبارك فادع الله لها وادعها إلى الإسلام ، يستنقذها الله بك من النار ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الإسلام فأسلمت »[1] .

وهذا بخلاف ماأورده البلاذري في أنساب الأشراف حيث قال : وكان إسلامها مع إسلام أبي قحافة ـ أي يوم الفتح ـ[2] .

« مولد الصديق » : ولد رضى الله عنه بمكة المكرمة في العام الثالث للفيل بعد ميلاد رسول لله صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر .

وقد نشأ نشأة كريمة طيبة في حضن أبوين لهما الكرامة والعز في قومهما مما جعل أبا بكر كريم النفس ، عزيز المكانة في قومه .

ولما كبر اشتغل بالتجاره ، وعرف بتخصصه في تجارة البز ـ أي الحرير ـ وكان رأس ماله أربعين ألف درهم أو دينار :

أخرج ابن سعد عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أسلم أبو بكر يوم أسلم وله أربعون ألف درهم ..)[3] .

ثانياً : زوجاته وأولاده :

تزوج ـ رضى الله عنه ـ من أربع نسوة أنجبن له ثلاثة ذكور وثلاث إناث :

١ ـ قتيلة بنت سعد : ولدت له عبد الله وأسماء .

٢ ـ أم رومان بنت عامر : ولدت له عبد الرحمن وعائشة .

٣ ـ أسماء بنت عميس : ولدت له محمداً .

٤ ـ حبيبة بنت خارجة : ولدت له أم كلثوم .

---

(١) ستأتي الرواية بذلك كاملة ص ٣٨ .

(٢) انظر أنساب الأشراف ١/١٣٢ ، جمهرة أنساب العرب ١٦٥ ، تهذيب التهذيب ٧/٤٤

(٣) الطبقات الكبرى ٣/١٧٢ .

أ ـ الزوجات :

١ ـ قتيلة بنت سعد : هي قتيلة أو قيلة بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر ابن مالك اختلف في إسلامها[١] .

قلت : أورد الهيثمي في كشف الأستار من طريقين أنها ظلت مشركة إلى زمن متأخر فقال : روى الزهري عن عروة عن عائشة وأسماء أنهما قالتا : قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في الهدنة التي كانت بين قريش وبين النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله : إن أمنا قدمت علينا راغبة فتصلها ؟ قال : «نعم فصلاها» قال الهيثمي : حديث أسماء في الصحيح قال البزار : لانعلمه عن عائشة وأسماء إلا من هذا الوجه .

ومن طريق : عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه أن قيلة بنت عبد العزى أرسلت إلى ابنتها أسماء بنت أبي بكر ـ وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية ـ فأرسلت بهدايا فيها أقط وسمن ، فأبت أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها فأرسلت إلى عائشة لتسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لِتُدْخِلْهَا ولتقبل هديتها » وأنزل الله « لاينهاكم الله » الآية .

قال البزار : لانعلم له طريقاً عن ابن الزبير إلا هذا[٢] .

٢ ـ « أم رومان » بنت عامر بن عويمر من بني كنانة بن خزيمة ، مات عنها زوجها الحارث بن سخبرة بمكة ، فتزوجها أبو بكر ، وأسلمت قديما ، وبايعت ، وهاجرت إلى المدينة مع أهل رسول الله صلى لله عليه وسلم وولده وولد أبو بكر حين قدم بهم في الهجرة ، وكانت امرأة صالحة ، توفيت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ست من الهجرة[١] .

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد ٣/١٦٩ ، ٨/٢٤٩ .

(٢) كشف الأستار ٢/٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٣) انظر في ترجمتها : ابن سعد ٨/٢٧٦ ، جمهرة النسب ١/١٩٣ ، والاصابة ٤/٤٥٠ ، أنساب الأشراف ١/٤٠٩ ، سير أعلام النبلاء ٢ / ١٣٥ .

٣ ـ **أسماء بنت عميس** : بن معبد بن الحارث أم عبد الله ، من المهاجرات الأوائل ، أسلمت قديما قبل دخول دار الأرقم ، وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهاجر بها زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة ، ثم هاجرت معه إلى المدينة فاستشهد يوم مؤته ، وتزوجها الصديق فولدت له محمداً ، روى عنها من الصحابة : عمر ، وأبو موسى ، وعبد الله بن عباس ، وأم الفضل امرأة العباس ، فكانت أكرم الناس أصهاراً فمن أصهارها : رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة ، والعباس وغيرهم ، وهي التي أوصى أبو بكر أن تتولى غسله فغسلته(١) .

٤ ـ **حبيبة بنت خارجة** : بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج ، وهي التي ولدت لأبي بكر أم كلثوم ، وكانت بها نسأ ، فلما توفي ولدتها بعده . أقام عندها الصديق « بالسُّنْح »(٢) وكانت مدة إقامته بعد البيعة ستة أشهر . وقد ورثت أبابكر مع زوجه الأخرى أسماء بنت عميس(٣) .

ب / أولاد أبي بكر ـ رضى الله عنه ـ :

١ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر :

أسن ولد أبي بكر: أسلم يوم الحديبية . وحسن إسلامه فلم يتعلق عليه بشئ، وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قاتل يوم اليمامه : أخرج خليفة بن خياط بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : رمى عبد الرحمن بن أبي بكر محكم اليمامة بسهم فوقع في نحره فقتله . وعن ابن اسحق بمثله(٤) .

---

(١) انظر في ترجمتها : سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٨٢ ، التهذيب ٢ / ٣٣١ .

(٢) «السُّنْح» بضم السين وسكون النون : منازل بني الحارث بن الخزرج من عوالي المدينة وكانت في الشمال والشمال الشرقي من المسجد النبوي : أي ان السنح ليس بعيدا من العُرَيض المعروف اليوم . وقد عمرت هذه الأرض ، وأصبحت أحياء من المدينة المنورة «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» ص ١٦٢ بتصرف يسير .

(٣) الطبقات الكبرى ١٦٩/٣ ، ١٨٦ ، ٢١٠ .

(٤) انظر ترجمتة في : نسب قريش ٢٧٦ ، جمهرة أنساب العرب ١٣٧ ، تاريخ خليفة ٨٨/١ ، شذرات الذهب ٥٦/١ ، أسد الغابة ٣٠٤/١٣ ، البداية ٦ / ٣٤٦ .

٢ ـ « عبد الله بن أبي بكر » :

الشاب الثبت المجاهد ، صاحب الدور العظيم في الهجرة حيث كان يظل النهار بين أهل مكة يسمع أخبارهم ثم يتسلل في الليل إلى الغار لينقل هذه الأخبار ويبيت عند الغار حارسا ، فإذا جاء الصبح عاد إلى مكة ، وقد استشهد يوم الطائف : أصابه سهم فماطله حتى مات بالمدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم[١] .

٣ ـ « محمد بن أبي بكر » :

أمه أسماء بنت عميس ، ولد عام حجة الوداع وكان من فتيان قريش ، ولدته أمه بالشجرة حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى مكة للحج ثم كان في حجر علي بن أبي طالب ، وولاه على مصر وبها قتل[٢] . قال البلاذري : ولد بذي الحليفة في سنة عشر وسماه الرسول محمداً وكناه أبا القاسم ، وقيل كناه أبا عبد الملك ، وروي أن عائشة سمته محمداً وكنته أبا القاسم .

٤ ـ أسماء بنت أبي بكر المجاهدة الصابرة ، العابدة الزاهدة ، ذات النطاقين : زوجة الزبير بن العوام ، أسلمت بعد سبعة عشر إنساناً ، وكانت أسن من عائشة ، سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين لأنها صنعت للرسول صلى الله عليه وسلم ولأبيها سفرة لما هاجرا فلم تجد ماتشدها به ، فشقت نطاقها ، وشدت به السفرة فسماها النبي عليه الصلاة والسلام بذلك .

هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير فولدته بعد الهجرة فكان أول مولود في الاسلام بعد الهجرة ، بلغت مائة سنة ولم ينكر من عقلها شئ ،

---

(١) انظر في ترجمة : نسب قريش ٢٧٥ ، جمهرة أنساب العرب .

(٢) انظر ترجمته : نسب قريش ٢٧٧ ، الاستيعاب ١٣٦٦/٣ ، أسد الغابة ٣٢٤/٤ ، أنساب الاشراف ٥٣٨/١ و٤٦/٥ وما بعدها .

ولم يسقط لها سن . روي لها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ستة وخمسون حديثاً ، روى عنها عبد الله بن عباس ، وأبناؤها عبد الله وعروة ، وعبد الله بن أبي مُلَيْكه وغيرهم . وكانت جوادة منفقة توفيت بمكة سنة ٧٣ هـ(١) .

٥ ـ عائشة أم المومنين ـ رضي الله عنها :

الصديقه بنت الصديق تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت ست سنين ، ودخل بها وهي بنت تسع سنين ، وأعرس بها في شوال . وهي أعلم النساء . كناها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عبد الله ، وكان حبه لها مثالا للزوجية الطيبة الصالحة .

كان الشعبي يحدث عن مسروق أنه إذا تحدث عن أم المومنين عائشة يقول : حدثتني الصديقة بنت الصديق المبرأة حبيبة حبيب الله صلى الله عليه وسلم ومسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث « ٢٢١٠ » اتفق البخاري ومسلم على مائة واربعة وسبعين حديثا ، وانفرد البخاري باربعة وخمسين ، وانفرد مسلم بتسعة وستين(٢) .

٦ ـ أم كلثوم بنت أبي بكر :

أمها حبيبة بنت خارجة . قال أبو بكر لأم المؤمنين عائشة حين حضرته الوفاة : إنما هما أخواك وأختاك ، فقالت : هذه أسماء قد عرفتها فمن الأخرى؟ قال : « نويطن بنت خارجة ، قد ألقى في خلدي أنها جارية فكانت كما قال ، وولدت بعد موته »(٣) .

---

(١) انظر ترجمتها في : نسب قريش ٢٧٦ ، التهذيب ٣٢٨/٢ ، ابن سعد ١٠٠/٣ وسوف يأتي مزيد من التعريف بدورها في الهجرة ص ٩١ .

(٢) انظر في ترجمتها : سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢ ، ١٣٩ ، أنساب الاشراف ٢٦٠/١ .

(٣) ابن سعد في الطبقات من طريق همام عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ١٩٥/٣

تزوجها طلحة بن عبيد الله ، وقتل عنها يوم الجمل ، وحجت بها عائشة في عدتها فأخرجتها إلى مكة [١] .

هذه هي الذرية الصالحة التي ربيت على الإسلام وجاهدت في سبيله ، وضربت أروع الأمثلة في أثر التربية الصحيحة في الأسرة وسوف يظهر ذلك جلياً عند الهجرة بمشيئة الله تعالى .

ثالثاً : ألقاب الصديق ودلالتها :

لقب الصديق أبو بكر رضي الله عنه ، بألقاب عديدة كلها تدل على سمو المكانة ، وعلو المنزلة وشرف الحسب ومنها :

أ ـ العتيق :

لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى الترمذي عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ياأبابكر أنت عتيق الله من النار »[٢] .

وقيل هو العتيق لجمال وجهه : قاله ابن عباس ، والليث بن سعد ، وأحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم[٣] .

وهو العتيق لقدمه في الخير . قاله الفضل بن دكين[٤] .

---

(١) انظر في ترجمتها : نسب قريش ٢٧٨ ، جمهرة أنساب العرب ١٣٧ ، طبقات ابن سعد ٨ / ٢١١ الإصابة ٤ / ٤٩٣ ، التهذيب ١٢ / ٤٧٧ .

(٢) الحديث أخرجه الامام الترمذي رضى الله عنه في سننه : كتاب المناقب / باب مناقب أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ٥/٦١٦ وقال : حديث غريب . ارجع الى تحفة الأحوذي ١٠ / ١٦٤ .

(٣) ابن هشام ١/٢٤٩ ، صفة الصفوة ١/٢٢٥ ، أسد الغابة ٣/٣٠٩ ، والخلفاء للذهبي ص ١٠٥ .

(٤) راجع الطبقات الكبرى ٣/١٧٠ ، وصفة الصفوة ص ١/٢٣٥ ، والفضل بن دُكَيْن بن حماد بن زهير روى عن الأعمش ، وزكريا بن أبى زائدة ، وجعفر بن برقان ، وغيرهم ، وكان ثقة مأمونا ، كثير الحديث حجة .. انظر الطبقات الكبرى ٦/٤٠٠ .

أقول : لامانع من الجمع بين هذه الأقوال :

فالرجل جميل الوجه ، حسن النسب ، صاحب يد سباقة الى الخير ، وهو عتيق الله من النار بفضل بشارة المختار صلى الله عليه وسلم .

ب ـ الصديق :

لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم : ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضى اله عنه ، أن النبي صلي الله عليه وسلم صعد أحدا ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فرجف بهم فقال «اثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»[(١)] .

كما أخرج عن أبي الدرداء رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ إني قلت : إني رسول الله اليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدقت »[(٢)] .

قال مصعب بن الزبير رضى الله عنهما :

أجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر إلى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ولازمه الصدق فلم تقع منه هناة أبدا[(٣)] .

جـ ـ الأواه :

لقب أبو بكر بالأواه وهو لقب يدل على التقوى والخوف ، والوجل .

أخرج ابن سعد عن إبراهيم النخعي قال :

---

(١) البخاري رضى الله عنه في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضل أبى بكر رضى الله عنه ٥/١١ .

(٢) البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مقتل أبى بكر رضى الله عنه ٥/١١ ، وسوف يأتي الحديث بتمامه بعد إن شاء الله ص ٣٨ .

(٣) الطبقات الكبرى ٣ / ١٧٢ .

« كان أبو بكر يسمى بالأواه لرأفته ورحمته »[1] .

د ـ الأتقى :

أقول : لقبه به الله عز وجل في القرآن العظيم في قوله تعالى « وسيجنبها الأتقى »[2] .

روى الواحدي بسنده عن يونس بن اسحاق عن عبد الله أن أبابكر اشترى بلالاً من أمية بن خلف ببردة وعشر أواق ، فأعتقه فأنزل الله «والليل إذا يغشى» إلى قوله « إن سعيكم لشتى » سعي أبى بكر ، وسعي أمية بن خلف .

وأخرج بسنده عن عامر بن عبد الله عن بعض أهله قال قال أبو قحافة لابنه أبي بكر : يابني إني أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك إذا فعلت مافعلت أعتقت رجالاً جلدة يمنعونك ويقومون دونك ؟! فقال أبو بكر : ياأبت إني إنما أريد ماأريد . قال فحدث ماأنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قاله أبوه «فأما من أعطى» إلى آخر السورة ، وذكر من سمع ابن الزبير ، وهو على المنبر يقول : كان أبوبكر يبتاع الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال له أبوه : يابني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك ؟ قال : منع ظهري أريد فنزلت فيه « وسيجنبها الأتقى»[3] .

---

(١) انظر الطبقات ١٧١/٣ من طريق عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عبد الله ، قال محمد بن سعد : إبراهيم النخعي هو : إبراهيم بن يزيد بن الأسود ، ويكنى أبا عمران، قال محمد بن الفضيل بن غزوان : حدثنا عبد الملك بن أبى سليمان قال : رأيت سعيد ابن جبير يستفتى فيقول : أتستفتوني وفيكم إبراهيم ؟ وعن الأعمش قال : ماذكرت حديثا لإبراهيم إلا زادني فيه . الطبقات الكبرى ٢٧٠/٦ .

(٢) سورة الليل ١٧ .

(٣) أسباب النزول للواحدي ص ٣٣٤ ، هذا وكلام ابن كثير بعده يؤيده .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : ذكر ابن جرير أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه وأورد بسنده إلى عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر رضى الله عنه : يعتق على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أي بني أراك تعتق أناسا ضعفاء ، فلو أنك تعتق رجالاً جلداء يقومون معك ويمنعونك ، ويدفعون عنك . فقال : أي أبت إنما أريد - أظنه - قال ماعند الله . قال فحدثني أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه «فأما من أعطى واتقى» ..

ثم قال ابن كثير في قوله تعالى «وسيجنبها الأتقى» ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه حتى أن بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك . ولاشك عندي أنه داخل فيها ، وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى «وسيجنبها الأتقى» ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف ، وسائر الأوصاف الحميدة فإنه كان صديقا تقيا كريما جوادا ، بذالا لأمواله في طاعة مولاه ، ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم . فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ، ولكن كان إحسانه وفضله على السادات والرؤساء من سائر القبائل ، ولهذا قال له عروة بن مسعود ـ وهو سيد ثقيف ـ يوم صلح الحديبية : أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك ـ وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة .

فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ؟ ولهذا قال الله تعالى « ومالأحد عنده من نعمة تجزى » .

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من أنفق زوجين في سبيل الله . دعته خزنة الجنة ياعبدالله هذا خير » فقال أبو بكر : يارسول الله ماعلى من يدعى منها ضرورة ، فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم »(١) .

هـ ـ الصاحب :

أقول : لقبه به الله عز وجل في القرآن « إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا »(٢) .

والمعلوم أن إجماع العلماء لاناقض له في أن الصاحب المقصود هنا أبو بكر رضى الله عنه فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس أن أبا بكر حدثه فقال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه !! فقال « ياأبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما »(٣) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٢٠ ، هذا ولفظ الحديث عند البخاري : أن أباهريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أنفق زوجين من شيئ من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب الجنة ياعبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام ، وباب الريان ، فقال أبو بكر : ماعلى من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال نعم ، وأرجو أن تكون منهم ياأبابكر ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم /باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا ٥/٧ .

(٢) سورة التوبة ٤٠ .

(٣) الحديث متفق عليه : البخاري في صحيحه باب مناقب المهاجرين وفضلهم ٥/٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة / باب فضل أبى بكر ٧ / ٨ .

قال الحافظ رحمه الله : ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى « إلاتنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا » فإن المراد بصاحبه هنا أبو بكر بلا نزاع ، ولايعترض بأنه لم يتعين لأنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة عامر بن فهيرة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعبد الله بن أريقط الدليل !!

لأنا نقول : لم يصحبه في الغار سوى أبي بكر . لأن عبد الله بن أبي بكر استمر بمكة ، وكذا عامر بن فهيرة ، وإن كان ترددهما إليهما مدة لبثهما في الغار استمر فعبد الله من أجل الإخبار ربما وقع بعدهما ، وعامر بن فهيرة تسبب بما يقوم بغذائهما من الشياه ، والدليل لم يصحبهما إلا من الغار ، وكان على دين قومه مع ذلك كما في الخبر نفسه .

وثبت في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وهما في الغار « ماظنك باثنين الله ثالثهما » والأحاديث في كونه كان معه في الغار كثيرة شهيرة ولم يشركه في المنقبة غيره[1] .

قال أبو محجن الثقفي :

وَسُمِّيتَ صِدِّيقـاً وَكُلُّ مُهَـاجِـرٍ   سِوَاك يُنَادَى باسْمِهِ غَيرُ مُنْكَرِ
سَبَقْتَ إلى الإسلَامِ وَاللهُ شَاهِدٌ   وكُنْتَ جَلِيساً بالعَـرِيْنِ المُشهَّرَ
وَبِالغَارِ إذْ سُمِّيتَ بِالغَارِ صَاحِباً   وكُنْتَ رَفِيقـاً للنبّي المُطَـهـرِ[2] .

فتأمل ذلك كله لتدرك رصيد الشرف والعز والكرامة عند هذا الداعية المجاهد رضى الله عنه .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٢٩ ، انظر الإصابة ٤ / ١٠٣ .

(٢) الأبيات لأبى محجن الثقفي : وهو عمرو بن حبيب ، أحد أبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام ، أسلم سنة تسع من الهجرة ، وروى عنه عدة أحاديث ، وله موقف مشهور في اليرموك . انظر الأعلام ٥/٧٦ ، تاريخ التراث العربي ٢/٣٣٢ ، ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ٢٣٥ .

رابعاً : الرصيد الخلقي لأبي بكر رضى الله عنه قبل الإسلام :

الميراث الخلقي للإنسان ذو أثر في حركته وفهمه ، فإما أن يدفعه إلى معالى الأمور دفعاً يرتقى به في مدارج الكمال ، فتشرق في نفسه أنوار الحق فيعرفه ، وتنصره ، وبذلك يحفر في قلب التاريخ مجده ، ويخلد في صفحات الأيام ذكراه .. أو يجذبه إلى مستنقع آسن من التصورات الهابطة الذليلة ، فيتمسك بالدنى من الامور ، وبذلك لا يكون له ذكر في الحياة ، ولامجد يعرف به في دنياه ، فيكون بين خامل منسي ، أو جاهل غبي يرفض الحق ويعانده ، بل يجابهه ويحاربه !! وهذا سر الفرق بين أبي بكر وأبي جهل مثلا .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « تجدون الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه »[1] .

والدارس لحياة الصديق رضى الله عنه يجد هذا الحديث منطبقا عليه : فهو في الجاهلية يجمع جملة من صفات الخير منها :

أ ـ أنه شريف من أشراف قريش ، حيث انتهى الشرف فيها إلى عشرة رهط من عشرة أبطن منهم أبو بكر رضى الله عنه الذي انتهت اليه في الجاهلية « الأشناق وهي الديات والمغارم ، فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه ، وأمضوا حمالة من نهض معه ، وإن احتملها غيره خذلوه[2] .

ب ـ وهو تاجر واسع الرزق ذو مال وفير ، وخير جزيل ، وهذه السعة في الرزق جعلته موفور الكرامة لايذل لأحد ـ بل يستحوذ على احترام الناس وثنائهم فعاش بينهم عزيز كريما ، ينفق ماله ، ويصل رحمه وغيرهم .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ للبخاري : باب المناقب ٤/٢١٦ ، ومسلم : كتاب الفضائل / باب فضل أبي بكر رضى الله عنه ٢ / ٤٠٨ ، أحمد في المسند ٤/١٠١ .

(٢) الإصابة ٤ / ١٠٤ .

جـ ـ ولأنه شريف من أشراف قريش فقد كان من رؤسائهم في الجاهلية وأهل مشاورتهم مما جعله موضع التكريم والتجلّة فيهم .

يروي البلاذري بسنده عن أبي الزناد عن أبيه قال : « كان أبو بكر عند أهل مكة من خيارهم ، ويستعينون به فيما نابهم ، وكانت له بمكة ضيافات لايفعلها أحد [1] .

د ـ وهو عالم من علماء الانساب وأخبار العرب ، وله في ذلك باع طويل جعله أستاذ الكثير من النسابين كعقيل بن أبي طالب وغيره ، وكانت له مزية حببته إلى قلوب العرب وهي : أنه لم يكن يعيب الأنساب ، ولايذكر المثالب بخلاف غيره[2] .

هـ ـ وهو موضع الألفة بين قومه تميل قلوبهم اليه :

ذكر ابن اسحاق في السيرة أنهم كانوا يحبونه ، ويألفونه ، ويعترفون له بالفضل العظيم ، والخلق القويم ، لذا قال له ابن الدغنه حين لقيه مهاجرا :

١ ـ انك لتزين العشيرة .

٢ ـ وتعين على النوائب .

٣ ـ وتكسب المعدوم .

٤ ـ وتفعل المعروف[3] .

---

(١) انظر البداية ٣/٢٦ ، وأسد الغابة ٣/٢٠٦ ، نهاية الأرب ١٩/١٠ .

(٢) التهذيب ٢/١٨٣ .

(٣) ابن هشام ١/٢٥٠ والمرجع في ذلك : الحليه ١/٣٠ . وابن الدُّغُنَّه بضم الدال والغين وتشديد النون ، وحكى بالفتح وكسر الغين . وحكى ابن هشام فيه التصغير «الدُّغَيْنَة» وهو سيد قبيلة القارة ورئيس الأحابيس الذين سموا بذلك لانهم تحالفوا بواد يقال له الأحبس بأسفل مكة ، وهم بنو الحارث ابن عبد مناة ، والهون بن خزيمة ، وبنو المصطلق ـ انظر ابن هشام ١/٢٥٠ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الكفالة / باب جوار أبي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ٥/٧٥ .

قال الحافظ رحمه الله : « ومن أعظم مناقبه أن ابن الدغنه سيد القارة لما رد عليه جواره بمكة وصفه بنظير ماوصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث ، فتواردا فيها على نعت واحد من غير أن يتواطأ على ذلك ، وهذه غاية في مدحه لأن صفات النبي صلي الله عليه وسلم منذ نشأ كانت أكمل الصفات »[1] .

و- وهو الذي حمله خلقه الحميد على النفور من كل ما يخدش المروءة ، وينقص الكرامة من أفعال الجاهليين ، وأخلاقهم التي تجانب الفطرة السليمة ، وتتنافى مع العقل الراجح ، والرجولة الصادقة : لذا حرم على نفسه الخمر في الجاهلية[2] .

هذا وقد أحسن السيوطي - رحمه الله - حين ترجم لأبي بكر رضى الله عنه فقال : « كان أبو بكر أعف الناس في الجاهلية »[3] .

« اللهم إن امرأ نشأ بين الاوثان حيث لادين زاجر ، ولاشرع للنفوس قائد ، وهذا مكانه من الفضيلة ، واستمساكه بعرى العفة والمرؤة ... لجدير بأن يتلقى الإسلام بملء الفؤاد ، ويكون أول مؤمن بهادي العباد ، مبادر بإسلامه لإرغام أنوف أهل الكبر والعناد ، ممهد لهم سبيل الاهتداء ، بدين الله القويم ، الذي يجتثُّ أصول الرذائل من نفوس المهتدين بهديه ، المستمسكين بمتين سببه »[4].

---

(١) الإصابة ٤ / ١٠٤ .

(٢) لفظ الخبر كما أورد السيوطي عن عائشة : ماشرب أبو بكر خمراً في الجاهلية ولافي الإسلام » راجع الروايات في ذلك في كنز العمال ٤٨٨/١٢ .

(٣) تاريخ الخلفاء ٣٩ / ٤٠ .

(٤) أشهر مشاهير الإسلام ص ١٢ .

خامساً : لقاء الهداية :

أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الأفراد إلى الله ، وينتقي العناصر الصالحة ، والمعادن النفيسة وكان يفتح كل قلب بما يوائمه ويناسبه ، لأن لكل قلب من قلوب العباد مفتاحاً إذا وفق الداعية إلى معرفته انفتح القلب للهداية بإذن الله تعالى ، وهذا مافعله النبي صلى الله عليه وسلم مع الصديق رضى الله عنه وهو صاحبه الذي يعرفه قبل بدماثة خلقه ، وكريم سجاياه ، كما يعرف أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم بصدقه وأمانته ، وأخلاقه التي تمنعه من الكذب على الناس فكيف يكذب على الله ؟

ودار هذا الحوار الدعوي بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الصديق رضى الله عنه : يقول أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم :

أحق ماتقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا ، وتكفيرك آباءنا ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« بلى إني رسول الله ونبيه ، بعثني لأبلغ رسالته ، وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق ، أدعوك ياأبابكر إلى الله وحده لاشريك له ، ولاتعبد غيره ، والموالاة على طاعته »(١) .

يقول ابن إسحق : .. فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد ، وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق (٢) .

حقاً : إنه المعدن النفيس ، يرى الحق فيسرع إليه ، وينفتح له قلبه ، فلا يتلعثم ، ولا يتردد ، وإنما يطمئن فؤاده ، وتسعد نفسه .

---

(١) و (٢) سيرة ابن إسحاق ٢٥٢/١ تحقيق السقا ، وانظر البداية والنهاية ١٣ وأسد الغابة ٢٠٦/٣ ، والبدء والتاريخ ص ٦٥ .

لذا استحق الصديق هذه الجائزة العظمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مادعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة ، ونظر وتردد ، إلا ماكان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ماعكم حين ذكرته له ، وماتردد فيه »(١) .

وبذلك كان الصديق رضى الله عنه أول من أسلم من الرجال الأحرار .

قال ابراهيم النخعي وحسان بن ثابت وابن عباس وأسماء بنت أبي بكر : « أول من أسلم أبو بكر » .

وقال يوسف بن يعقوب الماجشون : أدركت أبي ومشيختنا : محمد بن المنكدر ، وربيعة بن عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان وسعد بن ابراهيم وعثمان بن محمد الأخنس وهم لايشكون أن أول القوم إسلاما أبو بكر »(٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول من صلى أبو بكر ثم تمثل بأبيات حسان :

١ ـ إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة   فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

٢ ـ خير البريه أتقاها وأعدلها   إلا النبي وأوفاها بما حملا

٣ ـ الثاني التالي المحمود مشهده   وأول الناس حقا صدَّق الرسلا(٣) .

---

(١) سيرة ابن إسحاق ٢٥٢/١ تحقيق السقا ـ قال ابن هشام : ماعكم : أي تلبث ـ وانظر البداية والنهاية ٣ وأسد الغابة ٣ / ٢٠٦ ، والبدء والتاريخ ص ٥٦ .

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٢٢٣/١ ، ٢٢٤ وإسناده صحيح ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى : كتاب قسم الفيئ والغنيمة ، باب إعطاء الفيئ على الديوان ٦/ ٣٦٩ .

(٣) الإصابة ١٠٣/٤ ، صفة الصفوة ٢٣٧/١ والأبيات في ديوان حسان لكن في البيت الثالث والثاني الصادق وزاد :

٤ ـ وثاني اثنين في الغار المنيف وقد   طاف العدو به إذ صعد الجبلا

٥ ـ عاش حميدا لأمر الله متبعا   بهدى صاحبه الماضي ومانتقلا

٦ ـ وكان حب رسول الله قد علموا   من البرية لم يعدل به رجلا

ديوان حسان بن ثابت تحقيق د / وليد عرفات ١ / ١٧ .

هذا وقد ناقش العلماء قضية إسلام الصديق ، وهل كان رضى الله عنه أول من أسلم ؟ فمنهم من جزم بذلك ، ومنهم من جزم بأن عليا أول من أسلم ، ومنهم من جعل زيد بن حارثة أول من أسلم ، وقد جمع الإمام ابن كثير رحمه الله بين هذه الأقوال جمعا طيبا فقال : والجمع بين الأقوال كلها : أن خديجة أول من أسلم من النساء ـ وقيل الرجال أيضاً ـ وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب ـ فإنه كان صغيرا دون البلوغ على المشهور ـ وهؤلاء كانوا آنذاك أهل بيته صلي الله عليه وسلم ، وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدرا معظما ، ورئيسا في قريش مكرما ، وصاحب مال ، وداعية إلى الاسلام ، وكان محببا متآلفاً يبذل المال في طاعة الله ورسوله » ثم قال : وقد أجاب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال فإن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثة ومن الغلمان علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين »[1] .

وبإسلام أبي بكر عم السرور قلب النبي صلى الله عليه وسلم حيث تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : فلما فرغ كلامه ـ أي النبي صلى الله عليه وسلم ـ أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما بين الأخشبين أحد أكثر سرورا منه بإسلام أبي بكر »[2] .

---

(١) البداية ٣ / ٢٦ و ٢٨ وارجع الى الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة رضى الله عنه شرح العلامة / ملا علي القاري .

(٢) البداية ٣ / ٢٩ .

سادساً : أبو بكر وصفات الداعية :

يقوم علم الدعوة في عرف علمائها على أربعة أركان :

١ ـ الدعوة .

٢ ـ الداعية .

٣ ـ المدعو .

٤ ـ الوسائل .

فإذا تحدثوا عن الداعية جعلوا له صفات عديدة تنقسم في تقديري ـ إلى قسمين :

١ ـ مقومات أخلاقية .

٢ ـ مقومات علمية فنية .

وحين نتحدث عن الصديق رضى الله عنه نجد هذه الصفات متحققة فيه بأروع صورة وهاك البيان :

أولاً : المقومات الأخلاقية :

يعيش الداعية بين الناس عاملا لدعوته ، مجتهدا في الوصول إلى قلوبهم ، ساعيا إلى نقلهم من محيط إلى محيط ، من محيط الغفلة إلى محيط التذكر ، من محيط الجهل إلى محيط العلم ، ثم من محيط الكسل إلى محيط العمل .

ولن يستطيع الوصول إلى ذلك الا إذا إمتلك القلوب بحسن خلقه ، وجميل طبعه ، ومن ثم كانت المقومات والصفات الأخلاقية للداعية سببا من أسباب نجاحه في دعوته ، ونجاة الناس على يديه ، واستقامتهم على الصراط المستقيم .

وقد وضع علماء الدعوة وصفا تفصيليا لجملة الأخلاق اللازمة للداعية[1] ، وقد آثرت الإيجاز هنا للوصول إلى الغرض المطلوب فجعلتها ثمانية أخلاق رئيسة وهي :

١ ـ حب الدعوة والعمل لها . ٢ ـ الإخلاص والصدق .

٣ ـ القناعة والزهد . ٤ ـ التواضع .

٥ ـ الصبر والحلم والرحمه . ٦ ـ الجرأة والشجاعة .

٧ ـ المشاركة الإيجابية . ٨ ـ العمل بالعلم .

ونقف مع كل خلق من هذه الأخلاق لنرى الصديق العتيق الداعية وقد بلغ فيها القمة :

١ ـ حب الدعوة والعمل لها :

من البدهي أن الداعية لن يحرز النجاح المطلوب في دعوته إلا إذا تحرك عن حب لها وشغف بها .. إنه حينئذ يصبح شعلة من النشاط لاتعرف الملل ، وحركة دائبة لاتعرف الكسل ، وطاقة هائلة لاتعرف التعب ... إذا تحدث خرجت الكلمات من فيه معبرة صادقة ، تفتح مغاليق القلوب ، وتربطها بعلام الغيوب ، لأن الكلمة إذا خرجت من القلب دخلت القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان .

إن الداعية المحب لدعوته يتحرك تدفعه عقيدة راسخة ، واقتناع صادق بالحق الذي يدعو إليه .

---

(١) راجع هداية المرشدين ـ من صفات الداعية للأستاذ محمد الصباغ ـ تذكرة دعاة الاسلام للمودودي من أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان .

وسيدنا أبو بكر رضى الله عنه له القِدْحُ المعلّى في ذلك :

فهو الداعية الذي ملكت عليه الدعوة أقطار نفسه ، فهام بها حباً فأضحت حياته كلها حركة دائبة لنصرتها والعمل لها ليل نهار :

ينفق ماله .

ويربي على الإسلام عياله .

ويصحب النبي صلى الله عليه وسلم في مكة متحملاً الأذى .

ويهاجر معه .

ويشير بالرأي الصواب .

ويشهد الغزوات .

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأبي بكر وأمر أصحابه أن يعرفوا له ذلك : من حبه للدعوة وبذله في سبيلها .

أخرج البخاري عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر رضى الله عنه آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه ... فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما صاحبكم فقد غامر » ، أي خاصم ـ فسلم فقال : إنى كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ، ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى علي ، فأقبلت إليك .. فقال « يغفر الله لك ياأبا بكر » ثلاثاً . ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فقال : أثم أبو بكر ؟ قالوا لا ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل وجه النبي يتمعر ـ يتغير ـ حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يارسول الله : أنا كنت أظلم ـ مرتين ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أرسلني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ ـ مرتين ـ فما أوذي بعدها »[1] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٢٦ وهو هنا بتمامه .

وقد دفعه حب الدعوة إلى العمل لها ، وتحمل الأذى في سبيلها :

حينما أسلم على يديه طلحة بن عبيد الله التيمي ، وتظاهرا بالإسلام ، أخذهما نوفل بن العدوية - وكان يدعى أسد قريش - فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم ، ولذلك كانا يسميان « القرينين »(١) .

روى ابن كثير في البداية قال : قال عبد الله بن محمد : حدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً : ألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور فقال : « ياأبا بكر إنا قليل » فلم يزل يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد ، كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر خطيباً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم : جالس - فكان أول خطيب دعا الى الله ورسوله - وثار المشركون على أبي بكر والمسلمين .. فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووطئ أبو بكر - وضرب ضرباً شديداً - ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ، ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر ، حتى مايعرف وجهه من أنفه ، وجاء بنو تيم يتعادون ، فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ، ولايشكون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا « والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ابن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار فقال : مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فمسوه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلت به ألحت عليه ، وجعل يقول : مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله مابي علم بصاحبك ، فقال : اذهبي إلى أم جميل

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ٢٩ .

بنت الخطاب فاسأليها عنه ؟ فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ، فقالت : ماأعرف أبا بكر ولامحمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك . فقالت نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً ، فدنت منه ، وأعلنت بالصياح وقالت : إن قوما نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت هذه أمك تسمع ، قال لاشئ عليك منها ، قالت : سالم صالح ، قال فأين هو ؟ قالت في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، قال فإن لله على أن لاأذوق طعاما ، ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل ، وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله ، وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة ، فقال أبو بكر : يأبي أنت وأمي يارسول الله ، ليس بي بأس إلا مانال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك ، فادع الله لها ، وادعها إلى الإسلام عسى أن يستنقذها الله بك من النار ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاها إلى الله فأسلمت ، وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً »(١) .

أخرج ابن اسحاق عن القاسم بن محمد قال : لقي أبو بكر سفيهاً من سفهاء قريش ، وهو عامد الكعبة ، فحثا على رأسه تراباً ، قال فمر بأبي بكر ، الوليد بن المغيرة ، أو العاصي بن وائل ، قال فقال أبو بكر : ألا ترى إلى ماصنع هذا السفيه ؟ قال أنت فعلت هذا بنفسك !! . وهو يقول أي رب ماأحلمك ـ ثلاثاً ـ .(٢) .

---

(١) البداية والنهاية ٢ / ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) ابن هشام ١ / ٢٥١ .

وقد دفعه حب الدعوة إلى تحمل العطش والجوع والبرد والخوف :

لقد سار أبو بكر محباً للدعوة ورسولها صلى الله عليه وسلم ، راغباً في ثواب الله عزو وجل ، وقد تحمل في سبيل ذلك :

١ ـ العطش الشديد .

٢ ـ والجوع المرير .

٣ ـ والبرد القاسي .

٤ ـ والخوف المرعب .

٥ ـ والجراح المؤلمة .

أسند ابن وهب عن ابن عباس رضى اله عنهما : حدثنا عن شأن ساعة العسرة فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد ، فنزلنا ، وأصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إن أحدنا ليذهب فيلتمس الرحل يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إن الرجل ليخر بعيره فيعتصر فرثه فيشرب ، ثم يجعل مابقى على كبده ، ـ قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ قال نعم ، قال « فرفع يده نحو السماء فلم يرجعها حتى قالت السماء ـ أي تهيئت لإنزال مائها ـ فأطلت ـ أنزلت الماء الخفيف ـ ثم سكبت فملأوا مامعهم ، وذهبنا لننظر فلم نجدها تجاوزت المعسكر »[1] .

وكما تحمل شدة العطش في سبيل الله دفعه حب الدعوة إلى تحمل شدة البرد في الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم والأصحاب رضى الله عنهم :

أخرج أحمد عن أبي ريحانة أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة قال فأوينا ذات ليله إلى شرف ، فأصابنا برد شديد ـ حتى رأيت الرجال يحفر أحدهم الخندق فيدخل فيها ، ويلقى عليه الحجفة ـ يعني الترس ـ »[2] .

وتحمل الصديق مع الصحابة شدة الخوف مجاهدا صابرا .

---

(١) البداية والنهاية قال إسناده جيد ولم يخرجوه ٥ / ٩ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤ / ١٣٤ .

ففي غزوة الخندق اشتد الأمر ، وعظم الخوف ، فظهرت معادن الرجال ، فولى المنافقون معتذرين . « ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وماهي بعورة إن يريدون إلا فرارا »[1] . ويثبت المؤمنون الصادقون مع النبي صلى الله عليه وسلم ويصبرون على هذا الخوف الشديد « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا »[2] .

وقد كافأ النبي صلي الله عليه وسلم الصديق رضى الله عنه بهذا الحب حبا :

أخرج البخاري وغيره عن عمرو بن العاص قال : قلت يارسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . قلت إنما أعنى من الرجال قال : أبوها »[3] .

٢ ـ الإخلاص والصدق :

من عوامل نجاح الداعية في دعوته إلى الله أن يكون مخلصاً صادقاً في عمله :

يقول الامام ابن كثير « رضى الله عنه » في تفسير قول الله تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً »[4] .

---

(١) سورة الاحزاب ١٣ .

(٢) سورة الاحزاب ١٠ / ١١ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه والبيهقي ، البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم باب / لو كنت متخذا خليلا ٥ / ٦ . مسلم في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب / من فضائل أبي بكر ٢ / ٣٥١ . البيهقي في سننه الكبرى : كتاب الفيئ والغنيمة / باب إعطاء الفيئ على الديواب ٦/٣٧٠ . ثلاثتهم عن عمرو بن العاص . وأخرجه ابن ماجه في سننه : المقدمة / باب في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ـ فضل أبي بكر عن أنس ١ / ٣٨ .

(٤) سورة الكهف ١١٠ .

« فمن كان يرجو لقاء ربه » أي ثوابه وجزاءه الصالح « فليعمل عملا صالحا» ماكان موافقاً لشرع الله ، «ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » وهو الذي يراد به وجه الله وحده لاشريك له .

وهذان ركنا العمل المتقبل :

١ ـ لابد أن يكون خالصاً لله .

٢ ـ صواباً على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] .

إن إخلاص الداعية ، وصدقه في عمله يجعلان ثماره دانية ، وأثره نافعاً ، ويعطيان الداعية قدرة على العمل بطاقة متجددة ـ سواء مدحه الناس أو ذموه .

فهو لايزيد في العمل إذا أثنى عليه الناس ، ولايكسل إذا ذمه واحدٌ منهم .

وقد كان سيدنا أبو بكر الداعية قدوة في هذا الخلق الكريم ، جعلته يقول إذا مدحه واحد من الناس : « اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، و أنا أعلم بنفسي منهم ، اللهم أجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي مالا يعلمون ، ولاتؤاخذني بما يقولون »[٢] .

وقد جعله الإخلاص ثابت الجنان ، حسن الخلق ، صادقاً :

أخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ثلاثة من قريش : أصبح قريش وجوهاً ، وأحسنها خلقاً ، وأثبتها جناناً .. إن حدثوك لم يكْذِبُوك ، وإن حدثتهم لم يُكَذِّبُوك أبو بكر الصديق ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعثمان بن عفان »[٣] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٠٨ .

(٢) أسد الغابة ٣ / ٣٢٤ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١/ ٥٦ باب صفة أبي بكر رضى الله عنه ... قال في مجمع الزوائد إسناده حسن ٩ / ١٦٠ ، وانظر تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٩٠ .

٣ ـ القناعة والعفة واليأس مما في أيدي الناس :

يعيش الداعية بين الناس ترقبه العيون ، وتتابعه الألحاظ لترى سلوكه ، وتنظر أفعاله وليس هناك خلق يؤدي إلى حب الناس مثل خلق الزهد عما في أيديهم .

إن النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يعلم المسلمين على العموم والدعاة على الخصوص كيف يصلون إلى حب الناس ، ويسيطرون على قلوبهم ، فقد روى ابن ماجة عن سهل بن سعد الساعدي قال : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك »(١) .

ومن ثم كان على الدعاة التخلق بهذا الخلق الحميد ، والسلوك المجيد ، لأنهم إن نظروا إلى مافي أيدي الناس صاروا لديهم مذمومين !! أما إن زهدوا وقنعوا ويئسوا مما في أيدي الناس علوا في عيونهم واستحوذوا على حبهم واحترامهم .

وقد رأينا الصديق رضى الله عنه يعيش بين الناس حاملا لواء هذا الخلق الحميد ، زاهدا فيما في أيديهم :

أخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال : لما بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق . فقال عمر : أين تريد ؟ قال : إلى السوق قال : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال فمن أين أطعم عيالي ؟ قال

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه : كتاب الزهد / باب الزهد في الدنيا ٢/١٣٧٣ .

انطلق يفرض لك أبو عبيدة ، فانطلقا إلى ابى عبيدة فقال : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ، ليس بأفضلهم ولا أوكسهم وكسوة الشتاء والصيف ، إذا أخلقت شيئا رددته ، وأخذت غيره ، ففرضنا له في كل يوم نصف شاه ، وماكساه في الرأس والبطن »[1] .

إن أبابكر رضى الله عنه يرفض أن يعيش عالة على الناس ينظر إلى مافي أيديهم فيذهب إلى السوق ليطعم عياله وقد ذكر ابن سعد في رواية أخرى تحديدا لمرتبه والزيادة التي طلبها فقال :

« لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين فقال : زيدوني فإن لي عيالا ، وقد شغلتموني عن التجارة . قال فزاده خمسمائة »[2] .

ومع ذلك خرج أبو بكر من كل هذه الأموال وأوصى بردها بعد موته إلى بيت المال :

« فلما حضرته الوفاة قال : ردوا ماعندنا من مال المسلمين ، فإني لاأخلف في منزلي من مالهم شيئاً ، وأرضي التي بمكان كذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم »[3] .

٤ ـ التواضع :

هذا خلق قويم له أثر عظيم في مجال التأثير النفسي في المدعوين ، يجذب الناس إلى الداعية ويجعله قريبا من قلوبهم ، حبيباً إلى نفوسهم ، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعا إلى التخلق بهذا الخلق الكريم والدعاة أولى بذلك لتعلق أقطار الناس بهم .

---

(١) الطبقات الكبرى ١٣٠/٣ ـ قال فيه الحافظ في الفتح : « إسناده مرسل ورجاله ثقات ٣٥٧/٤ » ومعنى ماكساه في الرأس والبطن ـ تشاحا معه فيهما ـ يقال كما كسا في البيع : تشاحا فيه ، وماكساه : أي شاحه . ترتيب القاموس المحيط ٢٧٢/٤ .

(٢) الطبقات ٣ / ١٨٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٨٦/٣ ، نهاية الأرب ١٣٢/١٩ .

يقول صلى الله عليه وسلم « مانقصت صدقة من مال ، ومازاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وماتواضع أحدا لله إلا رفعه الله »[١] .

ولقد كان الصديق رضى الله عنه مثالاً رائعاً لهذا الخلق الجميل :

قال علماء السير : بويع أبو بكر يوم الاثنين ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وكان منزله بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج ، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر ، فما زال على ذلك حتى تحول إلى منزله بالمدينة ، فأقام بالسنح بعد أن بويع ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة ، وربما ركب فرسا له ، وعليه إزار ورداء ممشق ، والمشق المغرة[٢] . فيوافي المدينة ، فيصلي الصلوات بالناس ، فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح ، وكان يصلي بالناس إذا حضر ، وإذا لم يحضر صلى بهم عمر بن الخطاب ، وكان يقيم يوم الجمعة صدر نهاره بالسنح ، فيصبغ رأسه ولحيته ثم يروح فيجتمع بالناس ، وكان رجلاً تاجراً ، يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع ، وكانت له قطعة من غنم تروح عليه ، وربما خرج هو بنفسه فيها ، وربما رعيت له ، وكان يحلب للحي أغنامهم ، فلما استخلف قالت جارية من الحي : الآن لايحلب لنا منائح دارنا[٣] فقال : بلى وإني لأرجو أن لايغيرني مادخلت فيه عن خلق كنت عليه ، فمكث كذلك بالسنح ستة أشهر ..[٤] .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة ، باب استحباب العفو والتواضع ٥ / ٤٤٨ .

(٢) المغرة : طين أحمر يصبغ به .. انظر لسان العرب مادة مغر ، ٧ / ٣٠ .

(٣) المنائح : جمع منيحة ، وهي الشاة التي لاينقطع لبنها . لسان العرب مادة منح ٣ / ٤٤٥ .

(٤) أسد الغابة ٣/٢١٩ ، ابن سعد ٣/١٨٦ ـ صفة الصفوة ١/٢٥٤ .

وقد دفعه تواضعه إلى خدمة المسلمين ، وبخاصة أهل الحاجة منهم والضعفاء : عن أبي صالح العقاري أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل ، فيسقى لها ، ويقوم بأمرها ، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ماأرادت ، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها ـ فرصده عمر ، فإذا هو أبو بكر الذي يأتيها ـ وهو يومئذ خليفة ـ فقال عمر : أنت هو لعمري(١) .

هذا وقد أثمر هذا التواضع في التأثير النفسي على المدعوين :

وفد على أبي بكر رضى الله عنه من ملوك حمير ذو الكلاع ، ومعه ألف عبد دون ماكان معه من عشيرته وعليه التاج والبرود والحلي ، فلما شاهد ماعليه أبوبكر من اللباس ، والزهد ، والتواضع ، والنسك ألقى ماكان عليه ، وتزيا بزيه حتى أنه رئى يوماً في سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة .. ففزعت عشيرته ، وقالوا له : فضحتنا بين المهاجرين والأنصار ، قال : فأردتم أن أكون ملكاً جباراً في الجاهلية ، جباراً في الاسلام ؟ لاتكون والله طاعة الرب إلا بالتواضع والزهد في هذه الدنيا ، وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر ، وتذللوا بعد التجبر(٢) .

٥ ـ الصبر والحلم والرأفة بالمدعوين :

يسير الداعية في ميدان الدعوة ، وهو على يقين أن الطريق صعب وعر تملؤه العقبات والأشواك ، إنه طريق الجهاد واحتمال الأسى والتعب ، لذا يقول لقمان لابنه وهو يعظه « يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور »(٣) والقرآن الكريم يبين أن الله تعالى أرسل

---

(١) أسد الغابة ٣/٣٢٧ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٧ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٥٩٢ .

(٣) سورة لقمان آية ١٧ .

موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون الطاغية وقال لهما « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى »[1] وفي هذا غاية الصبر وكظم الغيظ ، وإمساك النفس .

وقد وصف القرآن النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين »[2] .

والصديق رضى الله عنه كان على فقه كامل بهذا الخلق العظيم ، فكان صابرا محتسباً ، حليماً رحيماً .

روى الترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبي ابن كعب ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح »[3] .

وأخرج البخاري عن قيس بن أبي حازم قال : دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها « زينب » فرآها لاتتكلم ، فقال : مالها لاتتكلم ؟ فقالوا : حجت مصمته !! قال لها تكلمي فإن هذا لايحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أنت ؟ قال : امرؤ من المهاجرين ، قالت : أي المهاجرين ؟ قال من قريش ، قالت : من أي قريش ؟ قال : إنك لسئول ! أنا أبو بكر .. قالت : مابقاؤنا على هذا الأمر الصالح ؟ الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم مااستقامت أئمتكم ، قالت وماالأئمة ؟ قال : أوماكان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعون ؟ قالت : بلى ، قال : فهم أولئك الناس »[4] .

---

(١) سورة طه آية ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب باب مناقب معاذ بن جبل ، وقال حديث حسن غريب .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه : باب أيام الجاهلية ٥٢/٥ ، وسئول على وزن فعول أي كثيرة السؤال وهي صيغة يستوي فيها المذكر والمؤنث / الفتح ٣٠٦/١٤ .

وأخرج أحمد عن أبي برزة الأسلمي قال : غضب أبو بكر من رجل فاشتد غضبه جدا ، فقلت : ياخليفة رسول الله : أضرب عنقه ؟ قال : ويلك ... ماهي لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم[١] .

٦ ـ الجـرأة والشجاعـة :

من صفات الداعية الهامة : الجرأة والشجاعة حتى لايهاب أحدا في الحق ، ولاتأخذه لومة لائم في نصرة دين الله والعمل له :

وفي حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على أن نقول الحق أينما كنا لانخاف في الله لومة لائم »[٢] .

وهاهو أبو بكر رضى الله عنه يظهر إسلامه في شجاعة وجرأة ، ويدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم :

أخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ماصنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : رأيت عقبة ابن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديدا ، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم »[٣] .

والمعلوم أنه رضى الله عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفه قط وماجبن في موقف من المواقف بل كان رغم رقته الظاهرة ، ورحمته الغامرة ، إذا جاء موقف من المواقف الفاصلة أسبق الشجعان ، وأثبتهم ، يزأر زئير الأسد ، فيسمع الجميع صوته ، فإذا هو الحق والخير .

---

(١) المسند ١ / ٩ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم : كتاب الإمارة / باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ٥٠٦/٤ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل الصحابة / باب فضل أبي بكر ٢٦/٧ ، وسوف يأتي مزيد من الاستشهاد على ذلك في فضل أبي بكر في ميادين الجهاد بإذن الله تعالى .

إن الصحابة كلموه في مهادنة تاركي الزكاة حتى تستقر الأمور وإذا بهم يجدون الطبيعة الهادئة تتحول إلى حدة وحزم ، وصرامة وعزم « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحاربتهم عليه » .

« أفينقص الدين وأنا حي ؟! » .

هكذا كان الصديق وهكذا كانت شجاعته كفاءة صدقه ووفائه ، سواء فيها شجاعة الرأي ، وشجاعة القتال ، وأن يجهر بصلاته ودعائه ، يصيبه في ذلك ما يصيب ، ولما وجب القتال كان هو أقرب المقاتلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل غزوة ، وكل موطن من مواطن الجهاد ، وانهزم كثير من الشجعان في بعض الملاحم الحازبة ، ولم تذكر له قط هزيمة في ساعة من ساعات الشدة ، ولاثبت نفر قط حيث يصعب الثبات إلا كان هو أول الثابتين »[1] .

٧ ـ المشاركة الايجابية للناس :

التودد للمدعوين ، والمشاركة الإيجابية لهم من صفات القيادة والتأثير في النفوس . والداعية أحوج الناس إلى ذلك ليجذب القلوب ويؤلف بينها ، ويسلك بالناس طريق الحق والخير .

وقد وضع علماء الدعوة لذلك بعض الأسس التي تحققها ومنها :

أ ـ التواضع للناس وخفض الجناح لهم .

ب ـ أن يألف الداعية الناس ويألفوه ، فلا يكون جافيا خشنا قاسيا ، بل يكون رقيق القلب حانياً .

جـ ـ أن يعرف الناس أنه يسعى في مصلحتهم ، ويؤثرهم على نفسه .

د ـ وأن يعرفوا أنه لاغرض له شخصي : فإن الغرض إذا ظهر جعل الريبة تتطرق إلى قلوب الناس .

---

(١) عبقرية الصديق ص ٣٥ .

هـ ـ أن يشاركهم حياتهم ليشعر بشعورهم ، وينقل آراءهم ، وينفعل معها ، ويعرف تقاليدهم وأحوالهم ، وهو في هذه المشاركة لايفضل غنياً لغناه على فقير ، ولا رئيساً على مرؤوس بل الجميع واحد والفضل للأتقياء . ومن البدهي أن هذه المشاركة لاتكون إلا في المعروف .

« هذه المشاركة تضفي إحساسا له قوته في الوصل والتأثير ، ومن المعروف أنها الرباط الحقيقي الذي يصل القلب بالقلب ، ويربط العقل بالعقل ، وبالجسم وبالروح ، وهي التي تنشئ كل التصرفات والسلوك ، وبها يحتل الداعية مكانة عليا بين الناس ، ويقدمونه على أنفسهم ، وينهجون بنهجه »[1] .

وسيدنا أبو بكر رضى الله عنه ضرب أروع الأمثلة في هذا الميدان :

١ ـ بتواضعه .

٢ ـ ورحمته .

٣ ـ ومشاركته للناس حياتهم أفراحها وأتراحها .

قال النووي رحمه الله : وَرُوِينا في تاريخ دمشق عن أنيسة قالت : نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين قبل الخلافة ، وسنة بعد ماستخلف ، فكان جواري الحي يأتينه بأغنامهن فيحلبهن لهن »[2] .

وقد دفعته مشاركته للناس في أحوالهم ، وإحساسه بحالهم إلى إعتاق العبيد ، والأرقاء ، وإنفاقه للمال في سبيل الله ، وسوف يأتي الحديث على ذلك بالتفصيل في إنفاقه المال في سبيل الدعوة .

---

(١) هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ ص ١٠٠ ، وراجع كيف ندعو الناس للأستاذ عبد البديع صقر .

(٢) التهذيب ٢ / ١٩١ ، والخبر في أسد الغابة ٣ / ٣٢٧ .

٨ ـ العمـل بالعلـم :

هذا خلق حميد ، يجعل الداعية قدوة ناطقة لما يدعو إليه ، وقد دعا القرآن الكريم المسلمين إلى العلم ، وحببهم فيه فقال تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .. »(١) .

كما حذر القرآن الكريم من ترك العمل بالعلم ، وجعل ذلك في صورة تهز وجدان المؤمن فقال تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »(٢) .

وقال تعالى : « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه »(٣) .

وقال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »(٤) .

والداعية المخلص يسير في دعوته عاملا بعلمه ، فتظهر آثار هذا العمل خشية لله وتقوى .

هذا هو الصديق يعلن للناس أن البلايا تصيب العبد بأسباب منها : غفلته عن العمل ونسيانه للتسبيح والذكر :

أخرج ابن أبي شيبة عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : ماصيد من صيد ولا عضد من شجر إلا بما ضيعت من التسبيح(٥) .

---

(١) سورة المجادلة الآية ١١ .
(٢) سورة البقرة الآية ٤٤ .
(٣) سورة هود الآية ٨٨ .
(٤) سورة الصف الآية ١ ، ٢ .
(٥) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه : كتاب الزهد / كلام أبي بكر رضى الله عنه ١٣ / ٢٦٢ .

وهو حريص على تنفيذ أوامر النبي صلى الله عليه وسلم ووصاياه :

روى ابن أبي مليكة قال : كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق قال : فيضرب بذراع ناقته فينيخها قال : فقالوا : أفلا أمرتنا نناولكه ؟ قال : إن حبيبي صلى الله عليه وسلم أمرني أن لاأسأل الناس شيئاً »[١] .

وهو يجتهد في العمل بالعلم فيملأ نهاره بالقربات والصالحات موفقاً من الله عز وجل سابقاً من عداه في ذلك :

أخـرج مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضى الله عنه : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر أنا ، قال : فمن تبع منكم جنازة ؟ قال أبو بكر أنا ، قال : « فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا ، قال : « فمن عاد اليوم منكم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة »[٢] .

ثانياً : « المقومات العلمية والعملية الفنية للداعية »

المقومات الفنية العلمية والعملية للداعية أمر له تأثيره الخطير في تكوينه ، وفي نتائج عمله ، وتعتمد المقومات الفنية العلمية كما يكتب علماء الدعوة على مايلي إجمالاً[٣] :

أ ـ العلوم الدينية .

ب ـ العلوم اللغوية .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١ / ١١ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل أبي بكر رضى الله عنه ٥ / ٢٤٩ .

(٣) ارجع في ذلك إلى : فقه الدعوة والاعلام للدكتور / عمارة نجيب محمد ، ثقافة الداعية للدكتور / يوسف القرضاوي ، ثقافة الداعية للدكتور / عبد الله علوان ، هداية المرشدين للشيخ / علي محفوظ ، تذكرة الدعاة للأستاذ / البهى الخولي .

كما تقوم المقومات الفنية العملية على مايلي إجمالاً :

أ ـ سرعة البديهة وقوة الملاحظة .

ب ـ سداد الرأي وحسن الفهم .

جـ ـ الدراسة المستديمة التي تنمي موهبة الإجادة .

العلوم الدينية :

الداعية رجل يحمل الإسلام ليعرضه على الناس ، ويجذبهم إليه ، فإن كان فاهما لدينه دارساً لأصوله ، متفقهاً في علومه ، نجح بالإخلاص وتوفيق الله أن يجمع الناس على الحق الذي أحسن عرضه .

أما إن كان الداعية خاوي الوفاض من المعرفة ، فقيراً في علمه . أضر بالدعوة ، وتسبب جهله في صد الناس عن الحق ، لأنه ردئ العرض له ، سيئ الدعاية لمحاسنه .

إن أصحاب المذاهب الهدامة الباطلة يجتهدون في تزيين باطلهم ، ويختارون له فصحاء قوالين ، يجيدون عرضه ، ويتقنون تزييفه ، حتى يلمع في عيون الناس . وأهل الحق أولى أن يكونوا علماء مجتهدين ، ويفهمون دينهم حق الفهم ، ويتبحرون في علومه .

لذا جعل العلماء لزاما على من يتصدى للدعوة إلى الله أن يتفق جملة من العلوم الدينية وهي :

١ ـ حفظ القرآن الكريم ، ومعرفته معرفة صحيحة : قراءة وتفسيرا .

٢ ـ معرفة السنة النبوية رواية ودراية .

٣ ـ الفقه .

٤ ـ السيرة النبوية .

ولئن درسنا حياة الصديق رضى الله عنه وجدنا المقومات الفنية العلمية عنده صورة مشرقة للداعية العالم الفقيه ، مما يجعله مثالا طيباً ، وقدوة صالحة للدعاة من بعده .

أما عن علمه فقد قال الإمام النووي رحمه الله : « استدل أصحابنا على عظم علمه بقوله رضى الله عنه في الحديث الثابت في الصحيح : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه »[1] .

وقد استدل العلماء على أن أبابكر رضى الله عنه أعلم الصحابة بهذا الحديث ، وقالوا : إن الصحابة كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسألة إلا هو ، ثم ظهر لهم بعد المناقشة معه أن رأيه هو الصواب فوافقوه على ذلك .

ومن الأدلة العظيمة على فهمه وعلمه : ماأخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال : « إن الله تبارك وتعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ماعنده ، فاختار ذلك العبد ماعند الله ، فبكى أبو بكر وقال : بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أَمَنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبابكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الاسلام ومودته ، لايبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر »[2] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الزكاة ٢ / ١٣١ عن أبي هريرة رضى الله عنه وأنظر التهذيب ٢ / ١٩٠ .

(٢) الحديث متفق عليه : البخاري في صحيحه : كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبي بكر ١٥/٧ ، مسلم كتاب فضائل الصحابة / باب فضل أبي بكر ٢٤٤/٥ . والخوخة هي الباب الصغير .

قال ابن حجر الهيمتي : أبو بكر من أكابر المجتهدين ، بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق للأدلة التالية :

١ ـ أخرج البخاري وغيره أن عمر في صلح الحديبية سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصلح وقال : علام نعطى الدنية في ديننا ؟ فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ذهب إلى أبي بكر فسأله عما سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يعلم بجواب النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب بمثل الإجابة سواء بسواء »(١) .

٢ ـ لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارتدت العرب ، واشرأب النفاق ـ رفع رأسه ـ فلو نزل بالجبال الراسيات مانزل بأبي بكر لهاضها ـ فَتَّهَا ـ واختلف الصحابة في دفن النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : أين يدفن ؟ فمن قائل بالبقيع ، ومن قائل بمكة مولده ، ومن قائل ببيت المقدس مدفن الأنبياء ، حتى جاء أبو بكر بالأمر الفصل وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه »

---

(١) قلت : الحديث أخرجه البخاري في صحيحه : ولفظه « ... فقال عمر بن الخطاب : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ألست نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال : « إنى رسول الله ولا أعصيه ، وهو ناصري . قلت : أولست كنت تحدثنا إنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك إنا نأتيه العام ؟ قال : قلت لا ، قال : «فإنك آتيه ومطوف به» قال : فأتيت أبابكر فقلت : ياأبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على لحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال : أيها الرجل إنه لرسول الله صلي الله عليه وسلم وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق ، قلت : أليس كان يحدثنا إنا نأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : « فإنك آتيه ومطوف به » . كتاب الشروط / باب الشروط في الجهاد ٣/٢٥٢ . ومن الحديث يظهر تطابق إجابة الصديق مع إجابة النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يعلم بجواب النبي صلي الله عليه وسلم .

واختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند أحد علما في ذلك ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نحن معاشر الانبياء لا نورث ، ماتركناه صدقة » فكانت هذه سننا تفرد بها الصديق دون الصحابة كلهم ولما أخبرهم بها رجعوا إليه فيها جميعا المهاجرون والأنصار(١) .

أما تفصيل ذلك عند الصديق رضى الله عنه فنرتبه كما يلي :

أولاً : القرآن الكريم حفظاً وفهماً وتفسيراً :

القرآن الكريم زاد الدعوة ، وهادى الدعاة ، ومنهاجهم القويم ، لذا فإن الداعية أحوج الناس إلى القرآن العظيم .

حفظا وفهما وفقها وعملا

حيث يكسبه : براعة في تبليغ الدعوة .

وروعة في الأسلوب .

وعمقاً في الأفكار .

وتسلسلا عقليا في عرض الموضوع الذي يدعو إليه .

ومراعاة لأحوال السامعين .

وقوة في البرهان والدليل .

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٨٦ بتصرف ، وحديث دفن النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرجه مالك في الموطأ / كتاب الجنائز / باب ماجاء في دفن الميت ٢٣/١ ، والترمذي في سننه / كتاب الجنائز / باب أين تدفن الأنبياء ؟ ٣ / ٣٣٨ ، وابن ماجه في سننه / كتاب الجنائز / باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم ١ / ٥٢٠ . وحديث : « نحن معاشر الانبياء لانورث » أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الفرائض / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « لانورث ماتركناه صدقه » . ١٨٥/٨ عن عائشة رضى الله عنها . راجع البداية والنهاية ٣٠٩/٦ ، الطبري ٢٢٥/٣ ، الكامل ٢٣١/٢ .

ومن ثم فإن كل داعية عليه أن يعايش القرآن في يومه وليلته ، دارساً ، متفقهاً وقائماً متهجداً .

وقد قام الصديق رضى الله عنه ببناء مسجد في فناء داره يُصلِّي فيه ، ويقرأ القرآن ، حتى اجتمع شباب مكة ، ونساؤها يستمعون إليه(١) .

أما حفظ الصديق للقرآن فهو ثابت بدلالات كثيرة منها :

قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » ثم قدم أبابكر إماماً فدل ذلك على حفظه للقرآن الكريم(٢) .

وقد جزم الإمام ابن كثير رحمه الله بهذا وقال : كان الصديق رضى الله عنه أقرأ الصحابة ـ أي أعلمهم بالقرآن ـ لأنه عليه الصلاة والسلام ، قدمه إماماً للصلاة بالصحابة رضى الله عنهم مع قوله « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله »(٣) .

قال الامام النووي رحمه الله : الصديق أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله »(٤) .

أخرج الترمذي عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره »(٥) .

---

(١) بناء الصديق المسجد في فناء داره أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، ١/ ٣٠ . وابن اسحق في السيرة ١/ ٢٥٠ ، كما أخرجه البخاري ارجع إلى ص ٢٩ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم : كتاب المساجد / باب من أحق بالإمامة ٢ / ٣١٦ .

(٣) البداية والنهاية ٥ / ٢٠٧ .

(٤) التهذيب ٢ / ١٩١ .

(٥) الحديث أخرجه الترمذي في سننه : كتاب المناقب / باب في مناقب أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، كليهما ٥ / ٥٧٤ .

ومن بيانه للقرآن ماأخرجه أحمد رضى الله عنه وغيره عن قيس بن أبي حازم قال : لما ولي أبو بكر الخلافة صعد المنبر فحمد الله ثم قال : « أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية : « ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم »[1] وإنكم تضعونها في غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب »[2] .

وكان الصديق يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ويتعلم القرآن والتفسير على يديه :

أخرج الإمام أحمد أن أبا بكر رضى الله عنه قال يارسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية « من يعمل سوء يجز به »[3] فكل سوء عملناه جزينا به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غفر الله لك ياأبا بكر » ألست تمرض ؟ ألست تنصب ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللّأواء ؟ قال : بلى ، قال « فذلك مما تجزون به »[4] .

ثانياً : معرفة السنة النبوية رواية ودراية :

السنة النبوية هي الشارحة للقرآن ، المبينة له ، وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله ، وتقريره ، وصفته كما قال علماء السنة .

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٥ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ١ / ١ ، ١ / ٥ .

(٣) سورة النساء ١٢٣ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ١ / ١١ .

ومعرفة الداعية بالسنة النبوية تجعله متفقها فيها ، عاملا بها ، وحينئذ يجد طريق الدعوة بينا ، وسبيل الإرشاد واضحا ، ويأخذ بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الحديث « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى لها من سامع »[1] .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله : كان الصديق أعلم الصحابة بالسنة ، كلما رجع إليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم يحفظها هو ، ويستحضرها عند الحاجة إليها وليست عندهم ، وكيف لايكون كذلك وقد واظب على صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم من أول البعثة إلى الوفاة ؟[2] .

ومن أمثلة ذلك حديث « الأئمة من قريش »[3] .

وحديث « يدفن النبي حيث مات »[4] .

وينقل الحافظ ابن حجر الهيثمي عن ابن زنجويه قوله في الحديث السابق : هذه سنة تفرد بها من بين المهاجرين والأنصار ، ورجعوا فيها إليه[5] .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن : كتاب العلم / باب فضل نشر العلم ١ / ١٨٦ ، والترمذي في السنن كتاب العلم / باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع ٥ / ٣٣ من حديث زيد بن ثابت وقال عَقِبَه حديث زيد بن ثابت حديث حسن . كما أخرجه من حديث عبد الله بن مسعود وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه في السنن / المقدمة باب من بلغ علما ١ / ٨٤ ، من حديث زيد بن ثابت ، وجبير بن مطعم ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وكتاب المناسك / باب خطبة يوم النحر ٢ / ١٠١٥ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٣٩ .

(٣) الحديث أخرجه احمد في مسنده ٣ / ١٢٩ ، ٣ / ١٨٣ .

(٤) سبق تخريجه ص ٥٤ .

(٥) الصواعق المحرقة ص ٨٣ وما بعدها .

ولكن لماذا لم يرو الصديق رضى الله عنه أحاديث كثيرة :

أجاب السيوطي عن ذلك فقال : وإنما لم يرو عنه من الأحاديث المسنده إلا القليل :

١ ـ لقصر مدتـه .

٢ ـ وسرعة وفاته بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

وإلا فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جدا ، ولم يترك الناقلون عنه حديثاً إلا نقلوه . ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لايحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ماقد شاركه هو في روايته ، فكانوا ينقلون عنه ماليس عندهم ، ثم أخرج السيوطي ماوصله من أحاديث الصديق رضى الله عنه حديثا حديثا[1] .

قال الإمام النووي رحمه الله في التهذيب : ماروي عن الصديق من الأحاديث عدده مائة واثنان وأربعون حديثا ، ومع ذلك فهو حافظ بدليل أن عمر شهد له بأنه لم يترك شيئا أنزل في الأنصار ولاذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم إلا ذكره ، وكذلك روى عنه أكثر الصحابة[2] .

قال الحافظ في الإصابة : روى ـ أي أبو بكر ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه عمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس ، وحذيفة ، وزيد بن ثابت ، وعقبة بن عامر ، ومعقل ابن يسار ، وأنس ، وأبو هريرة ، وأبو أمامة ، وأبو برزة ، وأبو موسى ، وابنتاه عائشة وأسماء ، وغيرهم من الصحابة ، وروى عنه من كبار التابعين : الصنابحي ، ومرة بن شراحيل ، وأوسط البجلى وغيرهم »[3] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٤٢ ، ٨٦ .

(٢) التهذيب ٢ / ١٨٢ .

(٣) الإصابة ٤ / ١٠١ .

ثالثاً : الفقه والفتوى :

يحتاج الداعية إلى دراسة الفقه حتى يؤدي عبادته على علم ، ويهدي الناس إلى الله على بصيرة .

وقد كانت كلمة الفقه تطلق لدى السلف الصالح من الأمة ويراد بها فهم الإسلام ، والعمل له ، ثم أضحت الكلمة مقصورة على المعنى الاصطلاحي للعلماء في معرفة الأحكام مع أدلتها ، وكان يفتي الناس ويقضي بينهم :

أخرج البيهقي عن ميمون بن مهران قال : « كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله ، فإذا وجد فيه مايقضي بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين ، وقال أتاني كذا وكذا ، فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فإن أعياه أن يجد سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم واستشارهم ، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به »(١) .

هذا وقد وردت عن الصديق فتاوي كثيرة نكتفي بذكر بعضها :

- أخرج الشافعي في الأم عن أبي بكر رضى الله عنه أنه كره بيع اللحم بالحيوان(٢) .

---

(١) أخرجه البيهقي في السنة الكبرى : كتاب آداب القاضي / باب مايقضي به القاضي ، ويعني به المفتي ١٠ / ١١٤ .

(٢) أخرجه الشافعي في الأم عن ابن عباس رضى لله عنهما : كتاب البيوع / باب بيع الأجل ٣ / ٧١ .

ـ وأخـرج البـخـاري عن الصـديق أنه جـعل الجـد بمنزلة الأب ـ أي في الميراث[1].

ـ وأخرج البيهقي عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل إلى أبي بكر فقال : إن أبي يريد أن يأخذ مـالي كله يجتـاحـه ، فـقـال لأبيـه : إنما لك من مـاله مـايكفيك فـقـال : ياخليفـة رسول الله صلى الله عليـه وسلم أليس قـد قـال الرسول صلى الله عليه وسلم : أنت ومـالك لأبيك ؟ فقال أبو بكر : ارض بما رضى الله به ـ وفي رواية عن المنذر بن زياد قـال أبو بكر : إنما يعنـي بذلك النفقة[2] .

وكان أبو بكر رضى الله عنه بفقهه يرد الأمور إلى نصابها :

أخرج ابن سعد عن نافع بن عمر عن أبيه عن ابن أبي مليكه قال قال رجل لابي بكر : ياخليفة الله ، فقال لست بخليفة الله ، ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا راض بذلك[3] .

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه : كتاب الفرائض / باب ميراث الجد مع الأب والأخوة ١٨٨/٨ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى / كتاب النفقات / باب نقة الوالدين ٧ / ٤٨١ . هذا وحديث « أنت ومـالك لأبيك » أخرجه ابن مـاجه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رجلاً قال يارسول الله إن لي مالاً وولدا ، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي فقال « أنت ومـالك لأبيك » ، كتاب التجارات / باب مـاللرجل من مال ولده ٢ / ٧٦٩ ، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وأخرجه احمد عن عمرو بن شعيب / المسند ٢ / ١٧٩ ، وانظر مصنف ابن أبي شيبة كتاب البيوع والأقضية / باب في الرجل يأخذ من مال ولده ٧ / ١٥٧ ، ومن قال لايأخذ من مال ولده إلا بإذنه ٧ / ١٦١ .

(٣) أخرجه احمد في مسنده ١ / ١٠ ، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣ / ١٨٣ .

وقد كان الصحابة يفتون بما أفتى به الصديق رضى الله عنه :

أخرج البغوي بسنده إلى مالك عن ابن شهاب عن عثمان بن اسحق بن حرشه عن قبيصة بن ذؤيب أنه قال : جاءت الجدة إلى أبي بكر تسأله ميراثها فقال : مالك في كتاب الله من شئ وماعلمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، فارجعي حتى أسأل الناس ، فسأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس ، فقال : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثلما قال المغيرة ، فأنفذ لها أبو بكر السدس ، ثم جاءت الجدة الأخرى « أي أم الأب » ؟ - إلى عمر بن الخطاب تسأله ميراثها فقال : مالك في كتاب الله من شيئ ، وماكان القضاء الذي قضى به لغيرك[1] وما أنا بزائد في الفرائض شيئا ، ولكن هو ذلك السدس ، فإن اجتمعتما فهو بينكما ، وأيتكما خلت به فهو لها[2] .

وأخرج البخاري عبد ابن أبي مليكة قال : كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجد فقال : أما الذي قال الرسول صلى الله عليه : « لو كنت متخذا من هذه الأمة خليلا لاتخذته أنزله أبا - يعني أبا بكر[3] .

كما أخرج عن ابن عباس رضى اله عنهما قال : أما الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذا من هذه الأمة خليلا لاتخذته ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، أو قال خير ، فإنه أنزله أبا - أو قال قضاه أبا[4] .

---

(١) أي الذي قضاه أبو بكر لأم الأم .

(٢) البغوي في شرح السنة / كتاب الفرائض / باب ميراث الأم والجدة ٨ / ٣٤٦ ، وأخرج مالك في الموطأ : كتاب الفرائض ٢ / ٥١٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب فضائل الصحابة / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذا خليلا » ٥ / ٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الفرائض / باب ميراث الجد مع الأب والأخوة ٨ / ١٨٩ .

وقد كان الصديق أحد المفتين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم : أخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه سئل : من كان يفتي الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبو بكر ، عمر ماأعلم غيرهما(١) .

قلت : بل قد أفتى الصديق في حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه صلى الله عليه وسلم فيما أفتى به :

أخرج البخاري عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حنين ، فلما التقينا كان للمسلمين جولة ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلا من المسلمين ، فضربته من ورائه على حبل عاتقه فقطعت الدرع ، وأقبل على فضمني ضمة وجدت منا ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلني ، فلحقت بعمر فقلت : مابال الناس ؟ فقال : أمر الله عز وجل ، ثم رجعوا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه » فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فقال النبي مثله ، فقلت من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فقال النبي مثله ، فقمت فقال : « مالك ياأبا قتادة » ؟ فأخبرته فقال رجل : صدق وسلبه عندي فأرضه مني ، فقال أبو بكر لاهالله إذا لايعمد إلي أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فأعطه سلبه فأعطانيه »(٢) .

---

(١) الطبقات ٢ / ٣٣٤ . وهذا لاينافي ماورد فيها عن القاسم بن محمد بن أبي بكر حيث قال كان أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، يفتون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأن كلا منهم أخبر بما يعرف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي / باب قول الله تعالى « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم » .

وقد نقل الحافظ ابن حجر الهيثمي تعليق الإمام الحافظ أبى عبد الله محمد ابن أبي نصر الحميدي الأندلسي : حيث قال : سمعت بعض أهل العلم ، وقد جرى ذكر هذا الحديث فقال : لو لم يكن من فضيلة لأبي بكر إلا هذا .. فإنه بثاقب علمه ، وشدة جزامته ، وقوة رأيه ، وإنصافه ، وصحة تدقيقه ، وصدق تحقيقه ، بادر إلى القول بالحق ، فزجر ، وأفتى ، وحكم ، وأمضى ، وأخبر في الشريعة عن النبي صلى الله عليه وسلم بحضرته وبين يديه بما صدقه فيه ، وأجرى عليه قوله ، وهذا من خصائصه الكبرى إلى مالايحصى من فضائله الأخرى[1] .

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٨٣ .

العلــوم اللغـوية

يقصد علماء الدعوة بالعلوم اللغوية اللازمة للداعية : مجموع الفنون التي تجعله فصيحا بليغا ذا أدب ومروءة .

لذا كانت فصاحة الداعية وبلاغته أمرا مؤثرا في جذب الناس ، ودعوتهم وقبولهم لما يلقيه الداعية :

ـ كان أيوب السختياني يقول : تعلموا النحو فهو جمال للوضيع ، وتركه هجنة للشريف .

ـ وقال رجل للحسن ياأبي سعيد !! فقال : أكسب الدوانيق ـ المال ـ شغلك عن أن تقول ياأبا سعيد ؟![1] .

وللصديق رضى الله عنه قصب السبق في هذا المجال :

فهو الفصيح البليغ ، وهو الداعية المفوه الذي كانت الكلمات تخرج من فيه صادقة معبرة .

قال الامام ابن كثير رحمه الله وكان ـ أي الصديق ـ من أفصح الناس وأخطبهم[2] .

وقال الزبير بن بكار : سمعت بعض أهل العلم يقول : أفصح خطباء النبي صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، وعلي بن أبي طالب « رضى الله عنه »[3] .

---

(١) راجع هذا المعنى وماسبقه : غرر الخصائص لأبي إسحق برهان الدين بن يحيى ص١١٤ ، البيان والتبيين للجاحظ ١٥/١ ، والأسلوب للشايب ص١١٦ ، وهداية المرشدين ص١٣٨ .

(٢) راجع البداية والنهاية ص ٦ / ٣٤٠ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي : والزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الاسدي المكي من أحفاد الزبير بن العوام ، عالم بالانساب وأخبار العرب ، راوية ، ولد في المدينة ، وولي قضاء مكة ، وتوفي فيها وله تصانيف منها : نسب قريش . الأعلام ٣ / ٤٣ .

ومن كلامه الفصيح البليغ : اعلموا أن أكيس الكيس التقوى ، وأن أحمق الحمق الفجور ، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه[1] .

أيها الناس : إني متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن زغت فقوموني »[2] .

« هذا كتاب الله لاتفنى عجائبه ، ولايطفأ نوره ، فصدقوا قوله ، وانتصحوا كتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنما خلقكم للعبادة ، ووكل بكم الكرام الكاتبين ، يعلمون ماتفعلون ... إن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا مثلهم ، فالوحا الوحا ، والنجاء النجاء ، فإن وراءكم طالبا حثيثاً أمره سريع »[3] .

« كان الصديق أحرص الناس على كلام يبدر من لسانه ، وكان أعلم الناس بموضع كلام الرجل من مروءته وشرفه ، فكان كلامه من أرجح ماقيل في موازين البلاغة أو موازين الخلق والحكمة ، وله من جوامع الكلم أمثلة نادرة تدل الواحدة منها على ملكة صاحبها ، فيغني القليل منها عن الكثير ، كما تغني السنبلة الواحدة عن الجرين الحافل »[3] .

---

(١) صفة الصفوة ١ / ٢٦٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٣ / ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٣) المصنف لابن أبي شيبة رحمه الله ١٣ / ٢٥٨ .

(٤) عبقرية الصديق بتصرف يسير ص ١٣٨ . وسوف يأتي مزيد من كلامه في باب الدعوة البيانية .

المقومات الفنية العملية

يحتاج الداعية إلى المقومات الفنية العملية في دعوته لأنها من أهم أسباب النجاح وإحراز التأثير المطلوب في المستمعين .

ومن أبرز هذه المقومات وأهمها :

أ ـ سرعة البديهة وقوة الذاكرة والملاحظة .

ب ـ الثقة بالحق وسداد الرأي .

جـ ـ الدراسة المستديمة التي تنمي موهبة الإحادة .

ونقف مع كل واحدة من الأوليه لنرى كيف توفرت في الصديق رضى الله عنه بأكمل صورة :

أ ـ سرعة البديهة :

هي موهبة فنية تسعف الداعية في دعوته ، وتجعله بعيدا عن المواقف الحرجة ، وتمكنه من حسن العمل بتوفيق الله ، كما أن قوة الذاكرة والملاحظة تمكنه من الأداء المتقن لعمله وهي بذلك ألزم لكل رجل قيادي .

ولئن بحثنا عن هذه الصفة في الصديق رضى الله عنه وجدناها واضحة جلية تنطق بما للرجل من حظ وافر منها ، وهو قسط من المزايا العقلية التي يمتاز بها أهل القيادة والريادة ولقد أثر عن الصديق أنه كان أسرع الناس فطنة لما يوحى به النبي صلى الله عليه وسلم دون التصريح ومن ذلك :

١ ـ ماجرى في الهجرة حين خرج بهم الدليل إلى طريق المدينة ، فكان إذا سأله سائل من هذا الذي معك ؟ أجاب : هو هاد يهديني السبيل ... ـ يقصد سبيل الخير ـ ويورى بمطلق السبيل .

٢ ـ في حديث الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال : « إن الله تبارك وتعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ماعنده ، فاختار ذلك العبد ماعند الله ، فبكى أبو بكر وقال : بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا »[١] .

يقول الحافظ بن حجر الهيثمي : رجع إليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي صلى الله عليه وسلم يحفظها ويستحضرها عند الحاجة ليست عندهم ، وكيف لايكون كذلك وقد واظب على صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول البعثة إلى الوفاة ، وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأفضلهم »[٢] .

٣ ـ كان سريع البديهة في تعبير الرؤى :

أخرج مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال : رأت عائشة رضى الله عنها كأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمار ، فقصتها على أبى بكر ، وكان من أعبر الناس ـ فقال : إن صدقت رؤياك ليدفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثا ، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ياعائشة هذا خير أقمارك »[٣] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٥٢ .

(٢) الصواعق المحرقة بتصرف يسير ص ٨٣ .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ / كتاب الجنائز / باب ماجاء في دفن الميت ١ / ٢٣٢ وهو هنا منقطع لكن أخرجه الطبراني موصولا في الكبير عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ٢٣ / ٤٨ .

ب ـ الثقة في الحق وسداد الرأي :

هذه موهبة فنية أخرى تلعب دورا حيويا في نجاح الداعية ، وقدرته على التأثير في المدعوين ، فقد تأتي مواقف صعبة تتطلب من صاحبها ثقة في الحق الذي يدعو إليه ، وأنه ـ بتوفيق الله له ـ قادر على أن ينصر هذا الحق ، وينشر لواءه ، ويظهر معادن الرجال في هذه المواقف ، فيرى الناس من كانت لديه الثقة بالحق ، وكان لديه سداد الرأي .. ثابتاً كالطود الشامخ لاتزلزله المواقف الرهيبة ، ولايجد الضعف أو اليأس طريقا إلى قلبه .

كذلك يرون صاحب اليقين الضعيف مترددا لايستطيع أخذ قرار في أمر من الأمور .

وحين نبحث عن هذه الموهبة عند سيدنا أبي بكر تأخذنا الدهشة لما وصل إليه من هذه الموهبة الربانية ، ولئن فتشنا عن مواقف تظهر فيها هذه الموهبة لوجدنا منها الآتي :

١ ـ موقفه منه في الإسراء والمعراج :

انطلق المشركون حين سمعوا حديث الاسراء والمعراج من الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى أبي بكر رضى الله عنه وهم يظنون أنهم قد ظفروا بشئ يزعزع ثقته في الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن الرجل قد وثق إيمانه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن ثم فهو مصدق له في كل ماجاء به ، وقد بهت المشركون حين سمعوا إجابته : « إن كان قال فقد صدق »[١] .

---

(١) ابن هشام ١ / ٢٧٠ .

هذه جملة وجيزة تحمل في طياتها ثقة في الحق ، ويقينا يطاول شم الجبال ، وسدادا في الرأي يذهب بكل محاولات شياطين الإنس والجن في النيل من الدعوة أو من صاحبها صلى الله عليه وسلم ..

٢ ـ موقفه في الحديبية :

وقف الصديق في صلح الحديبية موقف الفاهم لدينه المؤمن بأن النبي صلى الله عليه وسلم لاينطق عن الهوى .. لذا أجاب عمر حين سأله عن الصلح : رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزم غرزه(١) .

٣ ـ موقفه في حروب الردة :

قوبل الصديق رضى الله عنه بعد مبايعته بهذه العاصفة الهوجاء المدمرة التي لاتبقي ولاتذر : عاصفة الردة ... إنها كفيلة بزعزعة الجبال الرواسي .. لكن كان لها أبو بكر بفضل ربه عليه ، فبينما رأى الصحابة مهادنة مانعي مانعي الزكاة حتى تهدأ الأمور ، وتنتهي فتنة المتنبئين . زأر الصديق أسدا هصورا :

« والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه(٢)فكان الفتح وكان النصر المبين .

٤ ـ موقفه من بعث أسامه :

أمر الصديق رضى الله عنه بإنقاذ جيش أسامه وسط دهشة الصحابة الذين كان يرى الكثير منهم التمهل في هذا الأمر حتى يتم القضاء على المرتدين !!

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٢ .

(٢) البداية والنهاية ٦ / ٣١٥ .

وكان البعض يرى أن يستبدل بأسامه قائد آخر أحسن منه !! لكن الصديق أمر الجميع بالإذعان لأمر الرسول صلى اله عليه وسلم ، وخرج يودع جيش أسامه .. فانطلقوا وعادوا ظافرين بفضل الله تعالى ، وظهر سداد الرأي عند الصديق في ذلك فما مروا على قبيلة إلا قالت : لو كان المسلمون ضعافاً مابعثوا هذا البعث ، فسكتت قبائل كثيرة كانت تفكر في الإغارة على المسلمين ، وأدرك الناس بعد ذلك سداد رأي أبى بكر رضى الله عنه وما كان له من أثر عظيم في حياة المسلمين .

ورحمه الله الحافظ السيوطي حين قال عن الصديق :

(كان أبو بكر أسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا) (١) .

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٣٠ .

الفصل الثاني

الدعوة

دعوة أبي بكر إلى الإسلام في
مكة منذ إسلامه إلى الهجرة

أسلم الصديق رضى الله عنه ، ودخل دار الأرقم فتعلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم أن الاسلام دين العمل ، والدعوة والجهاد ، وأن الايمان لايكمل حتى يهيب المسلم نفسه ومايملك لله رب العالمين .

« قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »[1] .

وامتلأ أبو بكر يقيناً بأنه ماخلق إلا ليحقق العبودية لله بالدعوة إلى دينه وبذل المال والنفس في سبيل ذلك ، فانطلق وحب الدعوة قد ملك عليه شغاف قلبه فتحرك لها .

سار أبو بكر يحمل علم الدعوة وله من الرصيد الخلقي والمكانة بين الناس مايجعله أهلاً لحمل الأمانة ـ أمانة الدعوة وله من رجاحة العقل وفطنته مايؤهله للنجاح في مهمته ، ولذلك أسرع بعرض دعوته على أحبته ، وبنفس الطريقة الجليلة التي دعاه بها رسول الله صلى اله عليه وسلم « ولعل كل قارئ يريد النجاة أمام الله أن يدرك ماأدركه أبو بكر رضى الله عنه فالدعوة حياة المسلم لها يعمل ويخلص ، وفيها يجتهد ويجاهد ، يهب قلبه ، وجوارحه وماله ، وولده ، وحياته ومماته ، وأوقاته كلها لله ولدعوته .

ومنذ اليوم الأول شارك أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة لدين الله ، وكان إلف قومه إياه وحبهم الجلوس إليه والإستماع لحديثه ذا أثر في استجابة المسلمين الأولين لهذه الدعوة ... وقيام

---

(١) سورة الانعام ١٦٢ / ١٦٣ . وفي إسلام أبى بكر انظر ابن هشام ١ / ١٦٤ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١ / ٤١٦ .

أبى بكر بالدعوة إلى الإسلام أدعى إلى العجب ، فلعل تاجراً مثله يقتنع بصدق النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يقنع بتصديقه سراً ولايظهر الناس على شئ من أمره حتى تظل تجارته متصلة ، ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنع بذلك منه ، ويحمده عليه ، فأما أن يظهر أبو بكر إسلامه ، وأن يدعو الله ورسوله وأن يصل من دعوته إلى إقناع المسلمين الأولين بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتابعته على دينه فذلك مالا عهد للناس به إلا فيمن سمت أنفسهم إلى حيث تقدير الحق لذاته ، وترتفع به فوق منافع الحياة ، وترى في تأييده والدعوة إليه مايصغر من شأن الدنيا وعرضها وإن عظم فهو لهم يقف من تأييد الدعوة عند التحدث لأصحابه ، وإمتاعهم بها ، ولم يكفه أن يبذل للضعفاء والبائسين من رضا نفسه ، ووداعة خلقه مايعزيهم عما كان خصوم الدعوة يرهقونهم به من أذى وتعذيب ، بل كان ينفق من ماله ، وكان يصطفي بهذه النفقة أولئك الضعفاء والبائسين ممن هداه الله إلى الحق فأذاقهم أعداء الحق الضر وابتلوهم بألوان البأس(١) .

« لذا بقى الصديق بمكة طوال مقامه بها يعمل لدينه ولنبيه ، ولايعمل لنفسه إلا ماليس عنه غنى من طلب المعاش : يدعو وجوه الناس ، ويعرض الأمر على القبائل ، ويغنى بالدعوة بصلاح سيرته ، ورجاحة عقله ، ويقين الناس باستقامة قصده ، وكان يتعرض للأذى فلا يعنيه أن يتقيه ، كما يعنيه أن يقي النبي صلى الله عليه وسلم منه وسائر المسلمين »(٢) .

والمعلوم أن الناس في الحياة أقسام :

١ ـ منهم عديم الحركة عديم البركة .

٢ ـ ومنهم كثير الحركة عديم البركة .

---

(١) الصديق أبو بكر لهيكل ص ٢١ بتصرف يسير .

(٢) عبقرية الصديق للعقاد ص ١٨ .

٣ ـ ومنهم كثير الحركة كثير البركة .

٤ ـ ومنهم قليل الحركة كثير البركة .

والصديق رضي الله عنه كان كثير الحركة كثير البركة فامتلأت الفترة المكية منذ إسلامه إلى الهجرة بحركة واسعة من أجل الدعوة وهو ما نفصله فيما يلي :

أساليب ووسائل الصديق رضي الله عنه في الدعوة في مكة

إن المتتبع للأساليب التي ذكرها القرآن الكريم للدعوة يجدها ترسم للداعية طريق الدعوة وتأخذ بيده إلى منهج علمي بعيد عن الارتجال والتهريج .

والقرآن بذلك يفتح أمام الداعية طريق النجاح والتوفيق :

والأساليب الدعوية مذكورة في قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن »(٢) .

ولاشك عندي في أن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه اتبع هذه الأساليب فدعا إلى الإسلام عن طريق :

١ ـ الحكمة .

٢ ـ الموعظة الحسنة .

٣ ـ الجدال بالتي هي أحسن .

أما وسائل الدعوة التي اتبعها رضى الله عنه فهي على ماهداني الله إليه تتمثل فيما يأتي :

١ ـ الدعوة الفردية .

٢ ـ تسخير مامعه من العلم في نشر الدعوة ونصرتها .

٣ ـ قراءة القرآن في المسجد .

٤ ـ إنفاق المال وتوظيفه في خدمة الدعوة .

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

٥ ــ الهجرة لنصرة الدعوة .

٦ ــ تربية البيت على الإسلام .

وهاك التفصيل :

أولاً : الدعوة الفردية :

يقصد بالدعوة الفردية دعوة الأفراد واحدا بعد الآخر ، والأخذ بيد المدعو إلى معرفة الحق والثبات عليه وتربيته على نشر هذا الحق بين الناس . وهي من وسائل الدعوة الهامة حيث تتم متابعة المدعو ونقله من مرحلة إلى مرحلة حتى يصل إلى الفهم الصحيح والعمل المخلص .

وتحتاج هذه الوسيلة ــ في نظري ــ إلى عدة أشياء لنجاحها :

١ ــ حب الداعية لدعوته ويقينه في أنها وحدها هي الحق وماعداها من الدعوات باطل مهما زخرف وزين .

٢ ــ يقين الداعية بأن إيمانه لن يكمل حتى يهدى غيره إلى هذا الحق عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب بنفسه »(١) .

٣ ــ التزامه بالإسلام ليكون قدوة ناطقة ومؤثرة ، وهذا الالتزام يأتي بأمرين :

أ ــ التخلق بأخلاق الإسلام وحمل صفات الداعية المقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ب ــ حسن معاشرة المدعو ، والصدق في صحبته .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم : كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم مايحب لنفسه من الخير ١ / ٢٢٠ .

٤ ـ التوجه إلى الله بالنية الصالحة الخالصة فإن الداعية يفتح له بقدر إخلاصه لله .

٥ ـ انتقاؤه الأفراد وحسن اختياره لهم .

٦ ـ البصيرة بمداخل القلوب ، فإنها تختلف من شخص إلى آخر ، فقلب يفتح بالترغيب ، وآخر يفتح بالترهيب ، وثالث يفتح بالقدوة وهكذا .

٧ ـ كسب القلوب والسيطرة عليها بالعوامل السابقة فإذا نجح الداعية في كسب القلوب نجح في قيادة أصحابها إلى الله سبحانه .

وهذه العوامل السابقة مستقاة من فعله صلى الله عليه وسلم في الدعوة الفردية ، إذ إن المعلوم أو المشهور بين العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بدعوة الأفراد حتى دخل في الإسلام جمع من الرجال والنساء[١] .

وسيدنا أبو بكر رضى الله عنه يحمل صفات الداعية في الدعوة الفردية بل هو فيها أمة ، لذا تقدم يدعو الأفراد إلى الاسلام ، وهو في هذا بلا شك قدوة لكل داعية يقول ابن إسحق رحمه الله : فلما أسلم أبو بكر وأظهروا إسلامه دعا إلى الله عز وجل وكان أبو بكر رجلاً :

١ ـ مؤلفا لقومه .

٢ ـ محبباً فيهم .

٣ ـ سهلاً .

---

(١) راجع في ذلك : السيرة النبوية لابن حبان ص ٦٦ ، والسيرة الحلبية ١ / ٤٣١ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ١٣٧ .

٤ ـ وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر .

٥ ـ وكان رجلا تاجراً ذا خلق ومعروف .

٦ ـ وكان رجال قومه يأتونه ويألفون لغير واحد من الأمر .

٧ ـ لعلمــه .

٨ ـ وتجارته .

٩ ـ وحسن مجالسته(١) .

١٠ ـ وكان رئيساً مكرماً سخياً يبذل المال .

١١ ـ وكانت له بمكة ضيافات لايفعلها أحد .

١٢ ـ وكان رجلاً بليغاً(٢) .

بهذه الصفات العظيمة ، والخلال الحميدة تحرك سيدنا أبو بكر رضى الله عنه يدعو الأفراد إلى الله ممن يثق به من قومه ، وممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه :

١ ـ الزبير بن العوام رضى الله عنه .

٢ ـ عثمان بن عفان رضى الله عنه .

٣ ـ طلحة بن عبيدالله رضى الله عنه .

٤ ـ سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه .

٥ ـ عثمان بن مظعون رضى الله عنه .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ١٤٦ .

(٢) السيرة الحلبية ١ / ٤٤٢ .

٦ ـ أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه .

٧ ـ عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .

٨ ـ أبو سلمة بن عبد الأسد رضى الله عنه .

٩ ـ الأرقم بن أبي الأرقم رضى الله عنه(١) .

يالها من قدم مباركة ، وعقلية موفقة تأتي بهذا الكنز الثمين من كبار الصحابة ومنهم خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص رضى الله عنهم ـ بل أقول ستة لإسلام أبى عبيدة بن الجراح على يديه .

١٠ ـ أقول : وممن أسلم على يديه وبدعوته أمه أم الخير سلمى بنت صخر حين انطلق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : هذه أمي برة بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت(٢) .

١١ ـ أقول وممن أسلم على يديه أبوه أبو قحافة عثمان بن عامر ـ يوم الفتح الأكبر ـ فتح مكة ـ حيث سعى أبو بكر حتى أتى بأبيه وأجلسه أمام النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه النبي إلى الإسلام فأسلم(٣) .

١٢ ـ أقول : وممن أسلم على يديه أسماء ، وعائشة وعبد الله أبناؤه ، وخادمه عامر بن فهيرة .

فيكون مجموع من أسلم على يديه خمسة عشر رجلاً وامرأة .

---

(١) ابن هشام ١ / ١٦٥٦ .

(٢) البداية والنهاية ٢ / ٣٠ ، حياة الصحابة ١ / ٤٠ ، صفة الصفوة ١ / ٢٤٢ .

(٣) راجع في ذلك ص ١٧ .

ومن عمله في الدعوة الفردية ماحكاه ابن إسحق فقال عن غزوة ذات السلاسل : « كان من الحديث في هذه الغزوة : أن رافع بن أبي رافع الطائي قال ... فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمرو بن العاص » إلى ذات السلاسل ، قال : فقلت : والله لأختارن لنفسي صاحباً ، قال : فصحبت أبا بكر ، قال فكنت معه في رحلة قال : وكانت عليه عباءة فدكية ، فكان إذا نزل بسطها ، وإذا ركبنا لبسها ثم شكلها عليه بخلال له ، وقال وذلك الذي يقول له أهل نجد حين تروا كفاراً : نحن نبايع ذا العباءة ؟! قال فلما دنونا من المدينة قافلين قال : قلت ياأبا بكر أبغى صحبتك لينفعني الله عز وجل بك ، فانصحني وعلمني ، قال : لو لم تسألني ذلك لفعلت قال : آمرك أن توحد الله ولاتشرك به شيئاً ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولاتتأمر على رجل من المسلمين أبداً ، قال : قلت يا أبابكر : أما أنا والله فإني أرجو أن لاأشرك بالله أحداً أبداً ، وأما الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فاغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبابكر لايشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهاني عنها ، قال : إنك إنما استجهرتني لأجهر لك ، وسأخبرك عن ذلك ، إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً ، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله جيرانه ، وفي ذمته ، فإياك لاتخفر الله في جيرانه فيتبعك الله خفرته فإن أحدكم يخفر في جاره ، فيظل ناتئاً عضلَهُ

غضباً لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشد غضباً لجاره قال : ففارقته على ذلك .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أبو بكر على الناس قال : قدمت عليه فقلت له : يا أبابكر ألم تك نهيتني عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال بلى وأنا الآن أنهاك عن ذلك .

قال : فقلت له : فما حملك على أن تلي أمر المسلمين ؟ قال لاأجد من ذلك بداً خشية على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة[1] .

وهكذا يكون هذا المجهود العظيم عند الصديق رضى الله عنه دافعاً غيره من الدعاة إلى التأسي به والسير على نهجه في دعوة الأفراد إلى الله بعد حمل الصفات الخلقية والعملية التي تنتسب إلى ما كان عليه رضى الله عنه .

ثانياً : تسخير علمه في نشر الدعوة ونصرتها :

هذه وسيلة من الوسائل الهامة في نشر الدعوة ونصرتها بالعلم ، وهي تتيح لكل أفراد الأمة أن تشارك في هذه الفضيلة الكبرى كل في مجال تخصصه العلمي حتى تقف الأمة بكل طوائفها خلف الدعوة .

وقد كان الصديق العتيق رضى الله عنه عالماً بالأنساب وله فيها الباع الطويل : قال السيوطي رحمه الله : « رأيت بخط الحافظ الذهبي رحمه الله : من كان فرد زمانه في فنه ... أبو بكر الصديق في النسب »[2] .

---

(١) ابن هشام ٤ / ١٠٤٠ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١٠٠ .

« وكان أعلم الناس بأنساب العرب فقد جاء عن جبير بن مطعم البالغ النهاية في ذلك أنه قال : إنما أخذت النسب من أبي بكر ، لاسيما أنساب قريش ، فإنه كان أعلم قريش بأنسابها وبما كان فيها من خير وشر ، ولكن كان مبغضاً إليهم لأنه كان يعد مساويهم ، وكان عقيل يجلس إليه في المسجد النبوي لأخذ علم النسب وأيام العرب ووقائعهم »(١) .

وقد استخدم الصديق رضى الله عنه هذا العلم الفياض وسيلة من وسائل الدعوة ليعلم كل ذي خبرة كيف يستطيع أن يسخر ذلك في سبيل الله ، على اختلاف التخصصات ، وألوان المعرفة ، سواء كان علمه نظرياً أو تجريبياً ، أو كان ذا مهنة مهمة في حياة الناس .

أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال : لما أمر الله عز وجل نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبوبكر إلى منى ، حتى دفعنا إلى مجلس العرب فتقدم أبو بكر فسلم ـ وكان أبو بكر مقدماً في كل حين وكان رجلاً نسابة ـ فقال : ممن القوم ؟

قالوا : من ربيعة . قال : وأي ربيعة أنتم ؟ ثم ذكر الحديث بطوله وفيه قال : ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكنية والوقار ، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيبات ، فتقدم أبو بكر فسلم قال علي ـ وكان أبو بكر مقدماً في كل حين ـ فقال لهم أبو بكر : ممن القوم ؟ قالوا : نحن بنوا شيبان بن ثعلبة فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عزفى قومهم ، وكان في القوم مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ،

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٤٤٢ .

والنعمان بن شريد وكان أقرب القوم إلى أبى بكر : مفروق بن عمرو ، وكان مفروق قد غلب عليهم بياناً ولساناً ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبى بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له : إنا لنزيد على الألف ، ولن يغلب ألف من قلة ، قال : فكيف النعمة فيكم ؟ قال علينا الجهد ، ولكل قومٍ جد ، قال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ قال : إنا أشد مانكون غضباً حين نلقى ، وإنا لنوثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يزيل لنا مرة ، ويزيل علينا مرة ، لعلك أخو قريش ؟ قال أبو بكر : إن كان بلغكم أنه رسول الله فهاهو ذا .

فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك . ثم التفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : إلى ماتدعو يا أخا قريش ؟ فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فجلس وقام أبو بكر يظلله بثوبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأن تؤوني وتمنعوني ، وتنصروني حتى أؤدي عن الله ماأمرني به ـ فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق ، والله غنى حميد .

قال له : وإلى ماتدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئاً » إلى قوله تعالى « فتفرق بكم عن سبيله » الآيات . فقال له مفروق : وإلى ماتدعو أيضاً ياأخا قريش ؟ فوالله ماهذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » إلى قوله تعالى « لعلكم تذكرون » . فقال له مفروق : دعوت والله ياقرشي إلى مكارم

الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك ، وظاهروا عليك ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال : وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا ، وصاحب ديننا فقال هانئ : قد سمعت مقالتك ياأخا قريش ، وصدقت قولك ، وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، لم نتفكر في أمرك ، وننظر في عاقبة ماتدعونا إليه زلة في الرأي ، وطيشة في العقل وقلة نظر في العاقبة ، وإنما تكون الذلة مع العجلة ، وإن من ورائنا قوماً نكره أن نعقد عليهم عقداً ، ولكن ترجع ونرجع ، وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب مربنا ، فقال المثنى : سمعت مقالتك ، واستحسنت قولك ياأخا قريش ، أعجبني ماتكلمت به ، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة ، إنما نزلنا بين صيرين أحدهما اليمامة والأخرى السمامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصيران ؟ فقال له أما أحدهما فطوق التزيد أي ماأشرف من الأرض ـ وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لانحدث حدثاً ، ولانؤي محدثاً ، ولعل هذا الأمر الذي تدعو اليه تكرهه الملوك ، فأما ماكان مما يلي على بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور ، وعذره غير مقبول ، فإن أردت أن ننصرك مما يلي العرب فعلينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماأسأتم الرد وإذ أفصحتم بالقول إنه لايقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه ، ثم نهض

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢ / ١٦٤ قال ابن كثير رحمه الله هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ، ومحاسن الأخلاق ، ومكارم الشيم ، وفصاحة العرب . البداية ٢ / ٣٠ ، انظر السيرة النبوية لابن حيان ص ٩٨ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضاً على يد أبى بكر ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج مما نهضنا حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي : كانوا صدقا صبرا ـ رضوان الله عليهم(١) .

أقول : هذا الحديث يخبرنا بما يمكن أن يفعله كل مسلم لدعوته ، فيسخر علمه لخدمتها أيا كان نوع هذا العلم ، ولو اتبع المسلمون ذلك في هذا العصر لاستطاعوا جذب كثير من الأنظار إلى هذه الدعوة .

ثالثا : قراءة القرآن في المسجد :

القرآن الكريم كتاب الدعوة الناطق ، وهو كلام الله الذي يقتحم القلوب فتحس بصدقه وهو زاد الدعاة في تبليغ دعوة الله .

إن الداعية يتحدث طويلاً والناس تنتظر الإقناع فإذا جاءت الآية القرآنية ، سلم الجميع ، وأحست القلوب ببرد اليقين يسري فيها فيزيدها إيماناً وهدى .

لذلك وجدنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل القرآن الكريم زادا للدعوة فيسمعه مفروق بن عمرو ـ كما في حديث البيهقي السابق عن علي رضى الله عنه ـ كما ثبت في السيرة أنه قرأ أوائل سورة فصلت أمام مفاوض قريش فسلم الرجل لهذا البيان العظيم ، وقال قولته المشهورة : إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه(١) .

والداعية لابد أن يكون في صحبة مستمرة للقرآن الكريم ، يقرؤه ويتدبره ، ويستخرج كنوزه ومعارفه ، وطرق الإقناع ، وسبل الهداية التي امتلأت بها

---

(١) ابن هشام ١ / ١٧٥ .

آياته الكريمه ويرتله على الناس ترتيلاً صحيحاً يحسن صوته حتى يؤثر في قلوبهم .

وعلى قدر توفيق الله للداعية وذكائه في حسن عرض القرآن الكريم – يكون تأثيره في المدعوين .

إن الدعاة مطالبون : أن يظهروا للناس ما في القرآن من إعجاز بياني وعلمي وتشريعي وما فيه من سبل إنقاذ الانسانية المعذبة من مآسيها وحروبها ، بأسلوب يناسب العصر ، ويكافئ ماوصل إليه الناس من تقدم في وسائل الدعوة والدعاية ، وقد أدرك سيدنا أبو بكر رضى الله عنه كيف تكون قراءة القرآن في المسجد وعلى ملأ من قريش وسيلة مؤثرة من وسائل الدعوة إلى الله :

أخرج البخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت : لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ – برك الغماد(1)– لقيه ابن الدغنة – وهو سيد القارة – فقال : أين تريد . فقال أبو بكر : أخرجني القوم فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي ، فقال ابن الدغنة : فإن مثلك ياأبا بكر لايخرج ولايخرج ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ... فأنا لك جار . ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم : إن أبابكر مثله

---

(1) بِرْكُ الغماد : موضع قديم بين حلي والقنفذة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وهو اليوم معروف بهذا الاسم بلدة مرفأ على الساحل جنوب مكة على قرابة ٦٠٠ كيل ، ولها واد يسمى بهذا الاسم ، والبِرْكُ نبات ذكي الرائحة يوضع مع الشاي كالنعنع . معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٤٢ .

لايخرج ولايخرج ، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ، فلم تكذب قريش جوار ابن الدغنة وقالوا له : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها ماشاء ، ولايؤذينا بذلك ولايستعلن به ، فإنا نخشى أن تُفتن نساؤنا وأبناؤنا ، فقال ابن الدغنة ذلك لأبي بكر .

فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولايستعلن بصلاته ولايقرأ في غير داره . ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً في فناء داره ، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه ، وينظرون اليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لايملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه .

وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فله أن يرد إليك ذمتك فإنا قد كرهنا أن نخفرك ـ أي ننقض عهدك ـ ولسنا مقرين لأبى بكر بالاستعلان ، قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال : قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن ترجع إلى ذمتي فإني لاأحب أن تسمع العرب أني خفرت في رجل عقدت له ، فقال أبو بكر : فإني أرد عليك جوارك ، وأرضى بجوار الله عز وجل[١] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه / باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ٥ / ٧٣ .

رابعاً : إنفاق المال وتوظيفه في خدمة الدعوة :

للمال في حياة الناس قديماً وحديثاً دوره الخطير ، ومهمته العظيمة إذ هو للحياة عصبها ، من امتلكه صارت أزمة كثير من الأشياء في يديه ، وأصغى له من يناديه بقلبه وأذنيه ، وسريعاً ما يلبي نداءه وينفذ ماأملاه عليه .

كما أن للمال في الدعوة دوره الذي لاينكر ، فهو المحرك لقواها ، والدافع لحركتها نحو الانتشار بين الناس بوسائل يدركها أرباب الدعوات .

إن نظرة إلى مايفعله النصارى والشيوعيون وغيرهم في الدعاية لمذاهبهم ، تجعل كل عاقل يدرك ماذا يفعل المال ، وكيف يجذب الكثير من الناس ويسخرهم وراء هذه الدعوات مهما كان نوعها .

إن أربع عشرة إذاعة تنصيرية تعمل ليل نهار في بث إرسالها بجميع ألسنة البشر ، وإن المليارات ترصد للمنصرين لاستغلال فقر المسلمين في بعض الديار وحاجتهم إلى المال لتنصيرهم ، وتلك حقائق واضحة لابد أن يتنبه لها المسلمون ، وأن ينفقوا من مال الله الذي آتاهم ، ويرصدوا الأموال الكافية للدعوة ، وأن يطوروا أساليب العمل باستخدام ماوصل إليه العلم الحديث من أدوات .

ولقد أدرك سيدنا أبو بكر رضى الله عنه هذه المعاني كلها ، وهو التاجر الموفور المال فاستخدم المال في الدعوة كوسيلة من وسائلها المهمة ، بل إن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه وظف المال في الدعوة توظيف الخبير الذي يدرك بذكاء المسلم وفطنته أي الوجوه في الإنفاق أولى وأهم للدعوة . فرأى العبيد والأرقاء الذين أسلموا يفتنون ويعذبون للرجوع إلى الكفر والشرك فيأبون ذلك فيشتد كفار مكة في الإيذاء بغية أن يحققوا مأربهم من فتنة المسلمين عن دينهم .

قال ابن إسحق ـ رحمه الله ـ عن مشركي مكة « ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم ، بالضرب ، والجوع ، والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم يفتونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم ، ومنهم من يصلب ويعصمه الله منهم ، وكان منهم بلال بن رباح صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول لا والله لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك : أحد أحد .

ثم ذكر ابن اسحق مرور أبي بكر الصديق رضى الله عنه ببلال رضى الله عنه وهو يعذب فقال لأمية : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ فقال : أنت أفسدته فأبعدته ، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فأعتقه وأراحه من العذاب ، وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والإماء منهم :

١ ـ بلال بن رباح .

٢ ـ عامر بن فهيرة .

٣ ـ أم عبيس .

٤ ـ زنيرة التي أصيبت في بصرها ثم رده الله تعالى إليها(١) .

٥ ـ النهدية .

---

(١) زنيرة بكسر الزاي وتشديد النون .

٦ ـ النهدية وابنتها : اشتراهما من بني عبد الدار . بعثتهما سيدتهما تطحنان فسمعهما أبو بكر وهي تقول لهما : لا والله لا أعتقكما أبدا !! فقال أبو بكر : حل ياأم فلان فقالت : حل أنت أفسدتهما فأعتقهما فقال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وبكذا . قال : قد أخذتهما ، وهما حرتان ... أرجعا إليها طحينها ، قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها ؟ قال ذلك إن شئتما(١) .

٧ ـ جارية من بني مؤمل ـ حي من بني عدي ـ وإسمها لُبَيْنَة ـ وكان عمر يضربها على الإسلام(٢) .

٨ ـ أبو فكيهة واسمه أفلح وقيل يسار : كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف ، أسلم مع بلال فأخذه أمية وربط في رجله حجراً ، وأمر به فجر ثم القاه في الرمضاء ، ومر به جُعْل « حيوان يشبه الخنفساء » فقال له أمية أليس هذا ربك ؟ فقال : الله ربي وربك ورب هذا ، فخنقه خنقاً شديداً ومعه أخوه أبي بن خلف يقول : زده عذابا حتى يأتي بسحره ، ولم يزل في تلك الحال حتى ظنوه قد مات ثم أفاق فمر به أبو بكر رضى الله عنه فاشتراه وأعتقه(٣) .

أقول : هكذا يوظف الرجل المسلم ماله ، ولكنه قد لايسلم من عتاب وإنكار من حوله !! مثلما قال أبو قحافة لابنه أبى بكر رضى الله عنهما : يابني إني أراك تعتق ضعافا فلو أنك إذ فعلت مافعلت أعتقت رجالاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك ، فيقول الصديق : ياأبت إني أريد ما أريد . وهو بهذه العبارة ينطق بفهم ثاقب يبرهن به أن المسلم يعرف موضع قدميه وهو يعمل لدعوته .

---

(١) ابن هشام ١ / ٢١٠ .

(٢) البداية والنهاية ٣ / ٥٨ .

(٣) الحلية لأبي نعيم ١ / ١٤٠ ، الطبري ٢ / ٣٢٨ ، الكامل لابن الاثير ٢ / ٤٧ ، حياة الصحابة ١ / ٢١٠ .

ولم يقف الصديق في إنفاقه للمال عند هذا ، بل بذل ماله في كل موقف احتاج فيه المسلمون إلى ذلك .

أخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة قال : أخبرني أبي قال : أسلم أبو بكر يوم أسلم وله أربعون ألف درهم ، وفي رواية الذهبي أربعون ألف دينار .

وعن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه قال : كان أبو بكر معروفاً بالتجارة . لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أربعون أهل درهم فكان يعتق منها ، ويقوي المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم ، ثم كان يفعل فيها ماكان يفعل بمكة[1] .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، ووافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً قال : فجئت بنصف مالي . قال : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماأبقيت لأهلك » ؟ قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ماعنده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماأبقيت لأهلك » ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله .. فقلت لاأسابقك إلى شئ أبدا[2] .

وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : أرسل إلينا آل بكر بقائمة شاة ليلاً ، فأمسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو قالت فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت قال تقول للذي تحدثه : هذا على غير مصباح[3] .

---

(١) الطبقات الكبرى ١ / ١٤٩ ، والخلفاء للذهبي ص ١٠٧ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي كتاب المناقب / باب في مناقب أبي بكر وعمر رضى الله عنهما كليهما ٥ / ٥٧٤ .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند عن حميد عن عائشة ٦ / ٩٤ .

ذكر ابن عبد البر عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلفنا وخلف بناته . فلما استقر بعث زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع رضي الله عنهما وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذاها من أبى بكر رضى الله عنه ليشتريا به مايحتاجان إليه من الظهر - أي الإبل -[1] .

وبذلك استحق سيدنا أبو بكر رضى الله عنه من النبي هذه المكافأة العظمى :

فقد أخرج أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما نفعني مال قط مانفعني مال أبى بكر ، فبكى أبو بكر وقال : وهل أنا ومالي الا ملك لك يا رسول الله »[2] .

---

(١) الإستيعاب ٤ / ٤٥٠ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٢٥٣ ، انظر تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٦ وراجع البداية ١ / ٤٧٧ .

خامساً : الهجرة لنصرة الدعوة :

عاندت قريش دعوة الحق ، واشتدت في أذى المسلمين ، والنيل منهم فمنهم من هاجر إلى الحبشة مرة أو مرتين فراراً بدينه .. ثم كانت الهجرة الى المدينة المنورة ولقد نزل القرآن يقول للنبي صلي الله عليه وسلم « وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً »(١) .

قال قتادة : « أدخلني مدخل صدق » المدينة ، « وأخرجني مخرج صدق » من مكة ، « واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً » كتاب الله وفرائضه وحدوده(٢) .

والمعلوم أن سيدنا أبا بكر استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فقال له « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً » فكان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه يطمع أن يكون في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم .

ولقد أدرك أهل مكة أن الاسلام يقوى يوماً بعد يوم ، وأن المسلمين يهاجرون إلى المدينة فيجدون بها منعة ، فخافوا خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فاجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا إلى أن اتفقوا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم واجتمع رأيهم على ذلك ورسم لهم أبو جهل خطة القتل فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة .

ونرى من خلال قصة الهجرة سيدنا أبا بكر رضى الله عنه وهو يقوم بمهمة في غاية الأهمية للدعوة وتتمثل فيما يلي :

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٥٨ .

أ ـ تجهيز الرواحل :

بعد أن قرأ أبو بكر رضى الله عنه ـ وهو الرجل الذكي اللبيب ـ في كلام النبي صلي الله عليه وسلم إشارة إلى أنه سوف يكون صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، وبخاصة حينما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له « على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي » فيقول : أو ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ فيقول « نعم » . حبس الصديق رضى الله عنه نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه فابتاع راحلتين فحبسهما في داره وكان ثمنهما ثمانمائة درهم ، وأخذ يعلفهما ورق السمر أربعة أشهر إلى ستة أشهر[1] وحين بدأ التنفيذ أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يدفع ثمن راحلته حيث قال « بثمنها يا أبابكر »[2] فدفع النبي صلى الله عليه وسلم ثمن راحلته ليعلم المسلمين عامة والدعاة خاصة الحرص على الدعوة والأخذ بالأسباب الصحيحة في نصرتها ، والإعداد العلمي لكل خطوة من الخطوات اللازمة بنجاحها ، والبذل المالي هنا يمثل حجر الزاوية في ذلك .

ب ـ استئجار الدليل :

قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه باستئجار الدليل وهو عبد الله بن أريقط ليكون مع الركب المبارك إلى المدينة ـ ونحن نلاحظ هنا أن الصديق كان فطناً في اختياره ، فتحسس فيه صفات الرجولة مع المهارة حيث وصف أهل السير ابن أريقط بأنه « خريت » أي الهادي الماهر بالهداية[3] .

وحيث يتفق سيدنا أبو بكر رضى الله عنه مع عبد الله بن أريقط يواعده أن ينتظر منه جواباً في يوم من الأيام ودفع إليه الراحلتين يرعاهما لمعادهما .

---

(١) ابن هشام ٢ / ٣٣٤ والطبري ٢ / ٣٧٦ .

(٢) ابن هشام ٢ / ٣٣٧ ، البداية ٣ / ١٨٢ ، الطبري ٢ / ٣٧٩ .

(٣) البداية ٣ / ١٨٢ ، انظر تاريخ أبي الفداء ١ / ١٣٢ .

جـ ـ صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة :

أذن الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة فخرج إلى بيت سيدنا أبى بكر رضى الله عنه في وقت فيه تعمية على المشركين وحذر منهم .. إذ خرج إليه في وقت قل مايخرج فيه أحد وهو وقت الظهيرة ، ولما علم الصديق بقدوم النبي صلي الله عليه وسلم خرج مرحباً به قائلا : فداء له أبي وأمي ، والله ماجاء به الساعة إلا أمر قد حدث ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم « فاستأذن فأذن له فقال : « أخرج عني من عندك ؟ » فقال : إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يارسول الله ، قال : فإنه أذن لي في الخروج . فقال سيدنا أبو بكر : والصحبة بأبي أنت وأمي ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « نعم » تقول عائشة : فما رأيت احدا يبكي من الفرح كما رأيت أبا بكر يبكي من فرحه[1] .

ولم يعلم أحد بخروج النبي صلي الله عليه وسلم سوى سيدنا علي رضى الله عنه وأبى بكر وآل أبى بكر رضى الله عنهم ، مما يعطي في المحافظة على الأسرار والحيطة والحذر من الكفار درساً عظيماً للأمة .

وعاد النبي صلي الله عليه وسلم فأمر علياً أن ينام مكانه وغطاه ببرده ليعمى على الكفار خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم تحرسه عناية الله عز وجل حتى وصل إلى بيت أبى بكر ، فخرج معه من خوخة في ظهر البيت فانطلقا يسيران تجاه الغار .

---

(١) الطبري ٢ / ٣٨٧ وانظر تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس للديار بكرلي ١ / ٣٣٠ ومابعدها . وانظر حديث الإمام البخاري الموجود في الفقرة التالية « د » نفس الصفحة .

د ـ خدمة النبي صلى الله عليه وسلم والحرص على دفع الضر عنه :

لقد أحب سيدنا أبو بكر رضى الله عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً صار به أحب إليه من نفسه وماله وولده لذا ظل حريصاً على حياة النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، ويعد نفسه لفداء النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء الخطر ، وإن المسلم ليقف أمام مافعله الصديق رضى الله عنه في هذا الأمر فيزداد في عينه إكباراً ولا يجد له كفاءا وثناء إلا أن يدعو الله له بالفردوس الأعلى .

وعن خدمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة يتحدث الصديق رضي الله عنه فيما رواه البخاري رضى الله عنه عن البراء بن عازب قال : اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهما فقال لعازب : مر البراء فليحمله إلى منزلي . فقال : لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه ؟ فقال أبو بكر : خرجنا فأدلجنا فأحثثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا ، وقام قائم الظهيرة فضربت بصري هل نرى ظلاً نأوي إليه؟ فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية من ظلها فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرشت له فروة ، وقلت : اضطجع يارسول الله ، فاضطجع ، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فإذا أنا براعي غنم فقلت : لمن أنت ياغلام ؟ فقال : لرجل من قريش فسماه فعرفته ، فقلت : هل في غنمك لبن ؟ قال : نعم ، قلت : هل أنت حالب لي ؟ قال : نعم فأمرته فأعتق شاة منها ، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعي إداوة على فمها خرقة فحلب لي كثبة من اللبن « لبن قليل » فصببت على القدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته وقد

استيقظ ، فقلت : يا رسول الله اشرب ، فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن جعشم على فرس له ، فقلت يارسول الله : هذا الطلب لحقنا ، قال : « لاتحزن إن الله معنا » . حتى دنا منا ، فكان بيننا قدر رمح أو رمحين ، أو قال رمحين أو ثلاثة قلت : يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا ، وبكيت فقال : « لم تبكي ؟ قلت : أما والله لاأبكي على نفسي ، ولكن أبكي عليك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على سراقه فقال : اللهم اكفناه بما شئت ، فساخت قوائم فرسه ، إلى بطنها في أرض صلد ، ووثب عنها ، وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه . فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب[١] .

ولما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وخرج الناس يستقبلونه رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخله ومعه أبو بكر في مثل سنه ، وأكثرهم لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك فما عرفوه من أبى بكر حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم فأظله بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] .

هذه فضيلة عظمى حبا الله عز وجل بها الصديق رضي الله عنه لتثبت أن الهجرة وسيلة لنشر الدعوة وأن موطن الداعية حيث تكون مصلحة الدعوة ، والهجرة في عصرنا هذا تعني انتقال الداعية بالدعوة في شتى بقاع الأرض لتبليغها ، والحركة بالدعوة تعطى ثماراً نافعة للأمة فتحيي مواتها ، وتنقذها من الغفلة التي بسطت ردائها على الناس .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب المهاجرين ٥ / ٣ .
(٢) الطبري ٢ / ٣٨٢ ، البداية ٣ / ١٩٤ .

سادساً : تربية البيت على الإسلام :

التربية وسيلة عملية من وسائل الدعوة المؤثرة التي لها نتائج خطيرة في حياة المسلمين :

إن القيام بهذه الوسيلة يعني تكون المجتمع الفاهم لدينه ، المدرك لحكمة وجوده على الأرض الساعي ليل نهار لصبغ حياته بصبغة الله عز وجل .

كما أن إهمالها معناه تفكك المجتمع وجهله بدينه ، وتلك قاصمة الظهر التي تؤدي إلى ضعف المسلمين .

والداعية الفقيه يدرك أنه إذا عمل لدعوة الناس إلى الله وتربية الأجيال على الإسلام فتربيته بيته أولى لأن بيت الداعية مطمح أنظار الناس ومحل قدوتهم .

ولقد كان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه داعية من طراز فريد أدرك أن من أهم واجباته كداعية دعوة أهله وذويه إلى الاسلام ، ونشر جو الدعوة في بيته ، وقد رأينا كيف بر بأمه فكان سبباً في إسلامها ، وكيف حرص على إسلام أبيه يوم الفتح . وهو بهذا يلبي النداء القرآني : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً »(١) .

وقد ربى سيدنا أبو بكر رضى الله عنه أولاده على الإسلام ونجح بفضل الله في هذا الدور الكبير والخطير . فظهرت بركة ذلك في الأبناء مع أبيهم في الهجرة والجهاد في سبيل الله عز وجل .

ونأخذ دورهم في الهجرة مثالا على ذلك .

---

(١) سورة التحريم جزء من الآية ٦ .

قام أبناء الصديق بعدة مهمات خطيرة في مجال التنفيذ العملي لخطة الهجرة المباركة :

أولاً : دور عبد الله بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ :

ربى عبد الله على حب دينه ، والعمل لنصرته ببصيرة نافذة وفطنة كاملة وذكاء متوقد ، يدل على العناية الفائقة التي اتبعها سيدنا أبو بكر في تربيته وقد رسم له أبوه دوره في الهجرة فقام به خير قيام ، وكان يتمثل في التنقل بين مجالس أهل مكة يتسمع أخبارهم ، وما يقولونه في نهارهم ، ثم يأتي الغار إذا أمسى فيحكي للنبي صلى الله عليه وسلم ولأبيه الصديق رضى الله عنه مايدور بعقول أهل مكة ومايدبرونه ، وقد أتقن عبد الله هذا الواجب بطريقة رائعة فلم تأخذ واحدا من أهل مكة ريبة فيه ، وكان يبيت عند الغار حارساً حتى إذا اقترب النهار عاد إلى مكة فما يشعر به أحد[1] .

ثانياً : دور أسماء وعائشة « رضى الله عنهما » :

كان لأسماء وعائشة دور عظيم أظهر فوائد التربية الصحيحة حيث قامتا عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر ليلة الهجرة بتجهيز طعام للنبي صلى الله عليه وسلم ولأبيهما :

تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : « فجهزناهما ـ تقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباها ـ أحسن الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فلذلك سميت ذات النطاقين »[2] .

---

(١) السيرة النبوية لابن حبان ص ١٢٩ ، والسيرة الحلبية ٢ / ٢١٣ ، البداية ٣ / ١٨٢ .
(٢) البداية والنهاية ٣ / ١٨٤ ، والكامل لإبن الأثير ٢ / ٧٢ .

ثالثاً : دور أسماء في تحمل الأذى في سبيل الله :

أبرزت لنا أسماء رضى الله عنها دور المسلمة الفاقهة لدينها ، المحافظة على أسرار الدعوة المتحملة لتوابع ذلك من الأذى والعنت :

قال ابن إسحق : وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما ، قالت أسماء : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فواقفوا على باب أبى بكر فخرجت إليهم فقال : أين أبوك يابنة أبى بكر ؟ قلت : والله لاأدري أين أبي ؟ قالت فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح معها قرطى ثم انصرفوا »(١) .

رابعاً : دور أسماء رضى الله عنها في بث الأمان والطمأنينة في البيت :

خرج أبو بكر رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ماله كله وهو ماتبقى من رأسماله ـ وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم ـ وجاء أبو قحافة ليتفقد بيت ابنه ، ويطمئن على أولاده .

تقول السيدة أسماء رضى الله عنها : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه أبو بكر ، احتمل أبو بكر ماله كله معه ـ خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم ـ فانطلق بها معه ، قالت : فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . فقلت : كلا يا أبة إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، قالت : وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده ، فقلت يا أبة

---

(١) الطبري ٢ / ٣٧٩ ، والبداية ٣ / ١٨٧ .

ضع يدك على هذا المال فوضع يده عليه فقال : لابأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ماترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك »[1] .

خامساً : دور عامر بن فهيرة ـ مولى أبي بكر رضي الله عنه ـ :

من العادة عند كثير من الناس إهمال الخادم ، وقلة الاكتراث بأمره ، لكن الدعاة الفاقهين لايفعلون ذلك ، إنهم يبذلون جهدهم لهداية من يلاقوه لذا أدب الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاه وعلمه ، فأضحى عامر جاهزا لفداء الإسلام وخدمة الدين .

وقد رسم له سيدنا أبو بكر رضي الله عنه دوراً هاماً في الهجرة ، فكان يرعى الغنم مع رعيان مكة لكن لايلفت الأنظار لشئ ، حتى إذا أمسى أراح بغنم سيدنا أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم فاحتلبا وذبحاً .

ثم يكمل عامر دور عبد الله بن أبي بكر حين يغدو من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه عائداً إلى مكة فيتتبع آثار عبد الله ليعفي عليها مما يعد ذكاء ، وفطنة في الإعداد لنجاح الهجرة .

سادساً : هجرة البيت إلى المدينة المنورة :

بعد وصول النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه بفضل الله إلى المدينة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة يطلب بناته ، وزوجته سودة بنت زمعه رضي الله عنها ، وأرسل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه : عبد الله بن أريقط ببعيرين أو ثلاثة ، وكتب إلى عبد الله ابنه أن يحمل زوجه أم رومان ، وعائشة ، أسماء ، فخرجوا مهاجرين حتى قدموا المدينة مصطحبين[2] .

---

(١) طبقات ابن سعد ١ / ١٢٣ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٣٢٧ ، البداية ٣ / ١٧٧ .
(٢) الطبري ٢ / ٤٠٠ .

الباب الثاني

أبو بكر في المدينة : الدعوة والداعية

الفصل الأول

أبو بكر في ميادين الجهاد

استقر الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فآخى بين المهاجرين والأنصار ، ثم أقام المسجد ، وأبرم المعاهدة مع اليهود .

وكان أبو بكر رضى الله عنه في فترة حياة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وزير صدق لازم النبي صلى الله عليه وسلم في كل أحواله ولم يغب عن مشهد من المشاهد ولم يبخل بمشورة أو مال أو رأي .

قال ابن سعد وابن الجوزي : ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير أن أبا بكر شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بدرا والمشاهد كلها ، ولم يفته منها مشهد ، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين انهزم الناس ودفع إليه النبي صلى الله عليه وسلم رايته العظمى يوم تبوك وكانت سوداء(١) .

وقال ابن الأثير : ولم يختلف أهل السير في أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشهد من مشاهده كلها(٢) .

وقال الزمخشري : إنه ـ يعني أبا بكر رضى الله عنه ـ كان مضافا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبد ، فإنه صحبه صغيرا ، وأنفق ماله كبيرا ، وحمله الى المدينة براحلته وزاده ، ولم يزل ينفق عليه ماله في حياته ، وزوجه ابنته ، ولم يزل ملازما له سفراً وحضراً ، فلما توفي دفنه في حجرة عائشة أحب النساء إليه صلى الله عليه وسلم(٣) .

---

(١) الطبقات الكبرى ١ / ١٢٤ ، صفة الصفوة ١ / ٢٤٢ .
(٢) أسد الغابة ٣ / ٣١٨ .
(٣) خصائص العشرة الكرام البررة ص ٤١ .

وأخرج البخاري عن سلمة بن الأكوع : غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات مرة علينا أبو بكر ، ومرة علينا أسامة [1] .

ونحن سنتابع حياة الصديق رضي الله عنه الجهادية مع النبي صلى الله عليه وسلم لنرى كيف يكون الداعية العامل المجاهد بماله وسيفه ، وهاك التفصيل :

أبو بكر رضى الله عنه في بدر الكبرى :

كانت أول وقعة للمسلمين أمام كفار مكة غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة واشترك فيها الصديق رضى الله عنه :

أ ـ أبو بكر في المشورة :

علم النبي صلى الله عليه وسلم بنجاة العير وخروج قريش بجيشها ، وأدرك صلى الله عليه وسلم أن الله أراد للمسلمين النفير فاستشار الناس فيما يفعل ، قال ابن اسحق : فقام أبو بكر فقال وأحسن ، ثم قام عمر فقال وأحسن[2] .

ب ـ أبو بكر يقوم بالاستطلاع مع النبي صلى الله عليه وسلم :

قال ابن إسحق : ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ومابلغه

---

(١) أخرجه البخاري / كتاب المغازي باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة إلى الجرقات من جهينة ٥ / ١٨٣ .

(٢) ابن هشام ٢ / ٤٤٧ .

عنهم ، فقال الشيخ : لاأخبركما حتى تخبراني ممن أنتم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ، فقال : أو ذاك بذلك ؟ قال : نعم قال الشيخ : بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم في مكان كذا وكذا ، للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبلغني أن قريشاً خرجوا في يوم كذا وكذا فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم في مكان كذا وكذا ، للمكان الذي به قريش ، فلما فرغ من خبره قال ممن أنتم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه ، قال الشيخ : من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟[1] .

جـ - أبو بكر في حراسة القائد صلى الله عليه وسلم في عريشه :

قال ابن إسحق : ثم عدل النبي صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه ليس معه فيه غيره[2] .

وروى البزار في مسنده من حديث محمد بن عقيل عن علي أنه خطبهم فقال : ياأيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا أنت ياأمير المؤمنين ، فقال أما إني مابارزني أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر : إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوى إليه أحد من المشركين ؟ فوالله مادنا منه أحد إلا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله على وسلم لايهوى إليه أحد من المشركين إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس . قال : ولقد رأيت رسول الله صلى

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٤٤٨ .

(٢) ابن هشام : ٢ / ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

الله عليه وسلم ، وأخذته قريش فهذا يحاده وهذا يتلتله ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً ؟ فوالله مادنا منا أحد إلا أبوبكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ ثم رفع عليّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال علي : فوالله لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، وذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا رجل أعلن إيمانه »[١] .

هذه خصوصية للصديق رضى الله عنه حيث هو مع الرسول صلى الله عليه وسلم في العريش كما كان معه في الغار ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الابتهال والتضرع والدعاء ويقول : « اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعدها في الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول : « اللهم أنجز لي ماوعدتني ، اللهم نصرك » ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه وجعل أبو بكر رضى الله عنه يلتزمه من وراءه ويسوي عليه رداءه ويقول مشفقا عليه من كثرة الابتهال : يارسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ماوعدك .

وحكى السهيلي عن قاسم بن ثابت أن الصديق إنما قال بعض مناشدتك ربك من باب الإشفاق لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط رداؤه عن منكبيه فقال : بعض هذا يارسول الله . أي لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر ؟ وكان رضى الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] .

---

(١) أخرجه البزار في مسنده / مسند علي بن أبي طالب مخطوطة المسند ص ٣٣٧ مكتبة إحياء التراث الاسلامي جامعة أم القرى مكة المكرمة ، قال البزار : لانعلمه يروى إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد .

(٢) الروض الآنف ٥ / ١٣٠ .

قال الطبري فأنزل الله تبارك وتعالى « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين »[1] .

فأخذ أبو بكر بيده : حسبك يانبي الله فقد ألححت على ربك ــ وهو في الدرع ــ فخرج وهو يقول : « سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر »[2] .

د ــ أبو بكر يتلقى البشارة بالنصر :

في أثناء هذه الابتهالات الجليلة من رسول الله صلي الله عليه وسلم « إذ به يتلقى البشارة بالنصر من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال ابن إسحق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ماوعده من النصر ويقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد » وأبو بكر رضى الله عنه يقول : « يانبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله عز وجل منجز لك ماوعدك ، وقد خفق النبي صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبابكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه الفقع » يعني الغبار ، قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم »[3] .

هـ ــ الصديق يقاتل بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لما اشتد أوار المعركة وحمى وطيسها نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرض الناس على القتال والناس على مصافهم صابرون يذكرون الله كما أمرهم سبحانه بقوله : « ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »[1] .

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٩ .

(٢) سورة القمر ٤٥ ، ٤٦ والخبر في تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٨ .

(٣) ابن هشام ٢ / ٤٥٧ .

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٤٥ .

قال الأموي في مغازيه :

« ... وقد قاتل بنفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم قتالا شديدا ببدنه ، وكذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال ، وقاتلا بالأبدان جمعا بين المقامين الشريفين »[1] .

ونقل صاحب البداية عن الإمام أحمد بسنده عن سيدنا علي رضى الله عنه قال : قيل لعلي ولابي بكر رضى الله عنه يوم بدر : مع أحدكما جبريل ، ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولايقاتل ـ أو قال : يشهد الصف »[2] .

وقد كان أبو بكر في الميمنة ، ولما نزلت الملائكة يوم بدر تنزيلا كان جبريل على أحد المجنبتين في خمسمائة من الملائكة ـ أي في ناحية الصديق رضى الله عنه ، كما كان ميكائيل على المجنبة الأخرى في خمسمائة من الملائكة ـ أي في ناحية أبي الحسن علي رضى الله عنه .

ونقل ابن كثير أيضا عن مغازي الأموي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشي بين القتلى ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ونفلق هاما ... فيقول أبو بكر : من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما[3] .

---

(١) انظر البداية ٣ / ٢٧٨ .

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي شيبه ١٢ / ١٦ وأخرجه الحاكم المستدرك / كتاب معرفة الصحابة / باب أبي بكر ٦٨/٣ ، وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في التلخيص . اراجع إلى البداية ٢٧٩/٣ ، ومغازي الواقدي ٥٦/١ .

(٣) البداية ٣/ ، وهذا بيت من الشعر تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال النبي بعض البيت وأكمل أبو بكر حتى لاينطق رسول الله شعرا .

و ـ أبو بكر والأسرى :

نصر الله المؤمنين في بدر نصرا مبينا حيث قتل من المشركين سبعون ، وأسر سبعون ، واستشار النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه أبابكر وعمر وعليا رضى الله عنه فقال أبو بكر : يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإني أرى أن نأخذ منهم الفدية فيكون ماأخذنا قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عنصرا ، ورأى عمر قتلهم » .

وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماتقولون في هؤلاء الأسرى ؟ » فقال أبو بكر : يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستعن بهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وقال عمر : يارسول الله أخرجوك وكذبوك ، قربهم فاضرب أعناقهم ، وقال عبد الله ابن رواحة : يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا .

قال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئا ، فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة[١] وإن مثلك ياأبا بكر كمثل إبراهيم قال : « فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم »[٢] .

ومثلك ياأبا بكر كمثل عيسى قال : « إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم »[٣] .

وإن مثلك ياعمر كمثل نوح قال : « رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا »[٤] .

---

(١) ابن هشام ٢ / ٤٧٢ .

(٢) جزء من الآية ٣٦ سورة ابراهيم .

(٣) سورة المائدة ١١٨ . (٤) سورة نوح ٢٦ .

وإن مثلك ياعمر كمثل موسى قال : « ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم »[1] .

وبعد بدر غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني سليم وغزا غزوة السويق ، وذى أمر ، وأجلى يهود بني قينقاع إلى أن جاءت أحد وأبو بكر معه في كل ذلك »[2] .

---

(١) جزء من الآية ٨٨ من سورة يونس ، هذا والحديث أخرجه احمد في المسند ١/٣٨٣ ، ٣٨٤ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٢) روى الواقدي عن الزهري : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من بني سُلَيْم كثيرا ببحران ، فهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظهر وجها ، فخرج في ثلاثمائة من أصحابه فأغذوا السير ـ أسرعوا ـ حتى إذا كانوا ببحران مسافة ليلة ، لقى رجلا من بني سليم ، فاستخبروه عن القوم وعن جمعهم ، فأخبرهم أنهم قد افترقوا أمس ، ورجعوا إلى مائهم ، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فحبس مع رجل من القوم ، ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى ورد بحران ، وليس به أحد ، وأقام أياما ، ثم رجع ولم يلق كيدا ـ المغازي ١ / ١٩٦ .
أما غزوة السويق : فقد قام أبو سفيان حين أقسم وحرم على نفسه الدهن حتى يثأر من محمد وأصحابه فخرج في مائتي راكب حتى قدم المدينة ، وقتل رجلاً من الأنصار مع أجيره ، وحرق بيتين وحرثا ، ثم عاد هاربا فتتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل أبو سفيان يتخفف ومن معه من أحمالهم فيلقون السويق ـ وهو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن ثم يتزود به ملتوتا بماء أو سمن أو عسل ـ فسميت الغزوة بذلك ، المغازي ١/١٩١ ، وغزوة ذي أمر تمت حين بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن جمعا من ثعلبة ، ومحارب بذى أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين وخرج في أربعمائة وخمسين ومعهم أفراس ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هربوا من رؤوس الجبال ، فلم يلاق رسول الله أحد . المغازي ١/١٩٣ . وبنو قينقاع كانت غزوتهم يوم السبت للنصف الاول من شوال على رأس عشرين شهرا ـ المغازي ١/١٧٨ وراجع في بدر ومابعدها والغزوات إلى أحد : الاكتفاء ٢/١٤ ، عيون الأثر ١/٢٤١ ، الطبري ٢/٢١ .

أبو بكر في أحد :

من المعلوم أن كفار مكة لما أصيبوا في غزوة بدر الكبرى وهزموا لم يستسلموا لهذه الهزيمة ولم يفتحوا عيونهم للحق الذي انتصر ، بل سيطرت عليهم شياطين الجن والإنس لدفعهم إلى مجابهة أعظم مع الإسلام والمسلمين ، لذا حين رجعت تجارتهم من رحلتها رابحة مشى شياطينهم إلى أبي سفيان ومن له حظ في تلك التجارة وعرضوا تجهيز الجيش بهذه الأموال ففعلوا !!

قال ابن إسحق : ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله قوله :

« إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون »[١] .

وقد جمع المشركون جموعهم فوصلت أخبارهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يقيم في المدينة ليقاتلهم فيها إذا دخلوها ، واستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس فتحمس من لم يشهدوا بدرا ، وطالبوا بالخروج إلى المشركين . ولبس النبي صلى الله عليه وسلم ثياب الحرب فقالوا : ندع الأمر لك يارسول الله فلو شئت لأقمنا في المدينة كما رأيت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ماينبغي لنبي أن يضع أداة الحرب بعد مالبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » فخرجوا فالتقوا بعدوهم وكانت لهم الغلبة أول الأمر حتى ترك الرماة أماكنهم فأحاطت خيول المشركين بهم وكان ماكان[٢] .

---

(١) سورة الانفال الآية ٣٦ وانظر سيرة ابن هشام ٥٨١/٣ ، مغازي الواقدي ١٩٩/١ .
(٢) راجع في ذلك الطبري ٤٩٩/٢ ، الكامل ١٠٣/٢ ، تاريخ خليفة ٢٩/١ .

قال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا ابن مبارك عن إسحق عن يحيى ابن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر إذا ذكر أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد ، فرأيت رجلا يقاتل في سبيل الله دونه ، وأراه قال حمية ، قال قلت : كن طلحة حيث فاتني مافاتني ، فقلت : يكون رجلا من قومي أحب إلي ، وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه فإذا هو أبو عبيدة ، فانتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته ، وشج وجهه ، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكما صاحبكما » يريد طلحة وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله ، قال : ذهبت لأنزع من وجهه ، فقال أبو عبيدة أقسم عليك بحقي لما تركتني فتركته فكره تناولها فيؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزم عليه بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقه ، وذهبت لأصنع ماصنع فقال : أقسمت عليك بحقي لما تركتني ، قال ففعل مثلما فعل في المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس هتما .. فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية ، وضربة ، وإذا قد قطعت اصبعه فأصلحنا من شأنه »[1] .

بهذا تظهر لنا نباهة الصديق رضى الله عنه ، وحرصه على سلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسرعة الحركة في الدفاع عنه .

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده كتاب السيرة النبوية ، باب ماجاء في غزوة أحد منحة المعبود ٢ / ١٩ .

يقول الطبري رحمه الله : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحق قال : كان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول لله صلى الله عليه وسلم ـ كما حدثني ابن شهاب الزهري ـ كعب بن مالك أخو بني سلمة قال : عرفت عينيه تزهران تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن أنصت فلما عرف المسلمون رسول الله صلى لله عليه وسلم ، نهضوا به ، ونهض نحو الشعب ومعه علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث ابن الصمة في رهط من المسلمين(١) .

أبو بكر في حمراء الأسد :

اغتر المشركون بما حدث للمسلمين في أحد ، وتلاوموا كيف تركوا المسلمين دون أن يقضوا عليهم ويستأصلوا شافتهم !!

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين مع مابهم من جراحات وقرح شديد للخروج في إثر المشركين وقال : « لاينطلقن معي إلا من شهد القتال »

فاستجابوا لله ولرسوله مع مابهم من البلاء وانطلقوا فقال الله في كتابه :

« الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم »(٢) .

---

(١) الطبري ٥١٨/٢ وراجع البداية والنهاية ٤٨/٤ والكامل ١٠٩/٢ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ١٧٢ .

ووصل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على بعد ثمانية أميال فأقام بها الاثنين والأربعاء ثم رجع إلى المدينة[1] .

روى البخاري : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » . قالت لعروة : ياابن أختي كان أبواك منهم : الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما[2] .

أبو بكر في غزوة بني النضير :

خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية من بني عامر على وجه الخطأ لأن عمرا لم يعلم بالعهد الذي بين بني عامر وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد ، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : نعم ياأبا القاسم نعينك على ماأحببت ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد .

قالوا : فمن يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٧٢ .

(٢) حمراء الأسد : جبل أحمر جنوب المدينة على عشرين كيلا إذا خرجت من ذي الحليفة تؤم مكة رأيت حمراء الاسد جنوبيا ، وتقع حمراء الأسد على الضفة اليسرى لعقيق الحسا على الطريق من المدينة الى الفُرُع - معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ١٠٥ بتصرف .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج إلى المدينة ، فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه فرأوا رجلاً مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال : رأيته داخلا المدينة .

فأقبل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدي : فبعث النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهل النفاق يحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر ، فقويت نفوسهم وحمى حيى بن أخطب وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لايخرجون ، ونابذوه بنقض العهد فعند ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالخروج إليهم فحاصروهم خمس عشرةليلة فتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق ، ثم أجلاهم على أن لهم ماحملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة فنزلت سورة الحشر(١) .

أبو بكر في الخندق وبني قريظة :

قام اليهود بقيادة سلام بن أبي الحقيق ، وحُيَيٍّ بن أخطب وغيرهما بتأليب أهل مكة ضد الاسلام والمسلمين .

وسأل كفار مكة اليهود وقالوا : يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم

---

(١) البخاري في صحيحة كتاب المغازي - باب حديث بني النضير ١١٢/٥ ، ومغازي الواقدي ٣٦٣/١ ، ابن هشام ٦٨٢/٣ ، البداية ٨٦/٤ ، الكامل ١١٩/٢ ، فتوح البلدان ١ / ٣١ .

خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه !! فهم الذين أنزل الله فيهم « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا »[١] .

فلما قالوا ذلك لقريش تجرأ أهل مكة على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج اليهود فجمعوا القبائل الأخرى فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بما يدبر أهل مكة حفر الخندق حول المدينة ، واجتهد معه المهاجرون والأنصار حتى أقبلت مكة فحاصرت المدينة قرابة شهر كامل ، واشتد الأمر ، وعظم الخطب ، ونشر المنافقون أكاذيبهم ولكن الله ثبت المؤمنين وأرسل جنوده وريحا شديدة ، فولت قريش الأدبار وهزمت الأحزاب « ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا »[٢] .

وبعدها غزا النبي صلى الله عليه وسلم بني قريظة حيث جاء جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل بعد الخندق وقال يامحمد : أوضعتم أسلحتكم ؟ فقال وضعنا أسلحتنا ، فقال إنا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهض إلى بني قريظة فانتهى أمر بني قريظة إلى حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بالقتل والسبي[٣] .

وفي الغزوتين كان الصديق مرافقا للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كما ثبت لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أبدا[٤] .

---

(١) سورة النساء آية ٥١ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٩ .

(٣) ابن هشام ٣ / ٦٩٩ ، الطبري ٢ / ٥٦٤ ، الكامل ٢ / ١٢٢ ، البداية ٤ / ٩٤ ، فتوح البلدان ١ / ٤ .

أبو بكر في بني المصطلق :

وصل خبر بني المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يعدون لغزو المدينة فخرج إليهم كما قال الواقدي ـ لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبى بكر الصديق ، ويقال إلى عمار بن ياسر وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة . ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى في الناس أن قولوا لا إله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا ، فتراموا بالنبل ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ، ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد(١).

أبو بكر في نجد :

أخرج ابن سعد عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر إلى نجد وأمره علينا فبيتنا ناسا من هوازن فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات ، وكان شعارنا أمِتْ أمِتْ(٢) .

أبو بكر في الحديبية :(٣)

خرج النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد زيارة البيت الحرام لايريد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة وقيل أربع عشرة مائة .

---

(١) ابن هشام ٧٥٧/٣ ، الطبري ٦٠٤/٢ ، الكامل ١٣٠/٢ ، تاريخ خليفة ٤٧/١ ، البداية ١٥٧/٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٤/١ وأخرجه أبو داود / كتاب الجهاد / باب في البيات ٤٣/٣ .

(٣) الحديبية بضم الحاء المهملة ، وتشدد ياءها وتخفف . وهي على بعد (٢٢) اثنين وعشرين كيلا غرب مكة على طريق جدة القديم . وهو الطريق الذي يمر بالحديبية ثم حداء ـ ثم على بحره ـ ثم على أم السلم فجدة . بها مسجد الشجرة قيل إن مكانه لم يثبت وهو اليوم مهدم ، وبها بيوتات يعدها الناظر ، ومسجد غير مسجد الشجرة يصلي فيه ، وبها مخفر للشرطة وهي خارج الحرم غير بعيدة منه علي مرأى ، وملاكها الأشراف ذوو ناصر . معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٩٤ .

وقد أبطأ الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير منهم ، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العرب ، وساق معه الهدي ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عينا له من خزاعة فعاد بالخبر أن أهل مكة جمعوا جموعهم لصده عن الكعبة فقال : « أشيروا عليَّ أيها الناس » فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لاتريد حربه أو قتل أحد ، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه ، قال امضوا على اسم الله .

وقد ثارت ثائرة قريش وحلفوا أن لايدخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة عنوة ثم قامت المفاوضات بين أهل مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عزم النبي صلى الله عليه وسلم على إجابة أهل مكة على طلبهم إن أرادوا شيئاً فيه صلة رحم .

أبو بكر يحضر المفاوضات :

كان أول من أتى يريد الحديث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدَيْلُ بن ورقاء في رجال من خزاعة فلما علم بمقصد النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين رجع إلى أهل مكة فقال :

إن محمدا لم يأت لحرب ، وإنما أتى لزيارة البيت ، فرد عليه أهل مكة ردا لايحبه ، ثم بعثوا مكرز بن حفص فنقل إليهم ماقاله بديل بن ورقاء ، ثم بعثوا بحليس بن علقمة فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما رآه رجع دون أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رآه فحدث أهل مكة بما رأى فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابي لاعلم لك .

ثم بعث أهل مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فدار هذا الحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينه واشترك في هذا الحوار أبو بكر رضى الله عنه وبعض أصحابه .

قال عروة : يامحمد أجمعت أوباش الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ إنها قريش قد خرجت معها « العوذ المطافيل » ـ أي خرجت رجالاً ونساء صغارا وكبارا ـ قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله ألاتدخلها عليهم عنوة ، وايم الله لكأني بهؤلاء يقصد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد انكشفوا عنك !!

فاغتاظ سيدنا أبو بكر وقال لعروة : امصص بظر اللات ـ وهي صنم ثقيف ـ أنحن ننكشف عنه ؟

وينتهي الحوار برجوع عروة إلى أهل مكة فأخبرهم الخبر مطالبهم بإبداء الرأي بناء على ماسمعوا .

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أهل مكة ليحدثهم فحبسوه ، وأشيع بين المسلمين أن عثمان قد قتل فقال النبي صلي الله عليه وسلم : لانرجع حتى نناجز القوم ودعا إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، ثم ظهر بعد ذلك كذب هذا الخبر .

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو .

وروى الطبري عن عكرمة : أنه لما جاء سهيل بن عمرو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم أمركم(١) .

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٢٨ وانظر في صلح الحديبية ابن هشام ٢/٧٧٤ ـ الكامل ٢/١٣٥ البداية ٤ / ١٧٦ .

قال ابن كثير في البداية والنهاية عن إسحق : فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم أطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح[1] .

رأي أبو بكر في الصلح :

حضر الصديق رضي الله عنه الصلح وسمع المفاوضات ، وأصغى إلى حديث سهيل مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ورضى بما توصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم مع سهيل رغم ماقد يظهر للمرء أن في هذا الصلح بعض التجوز أو الإجحاف بالمسلمين .

ولكن أبا بكر رضى بذلك ولم يناقش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقينه بأن النبي صلى الله عليه وسلم لاينطق عن الهوى ، وأنه فعل ذلك لشئ أطلعه الله عليه .

ولذلك رأيناه يقابل رأي عمر بن الخطاب رضى الله عنه بهذا المنطق الفريد : إنه رسول الله فالزم غرزه .

قال ابن إسحق عن الزهري : فلما التأم الأمر ، ولم يبق الا الكتاب وثب عمر رضى الله عنه فأتى أبا بكر فقال ياأبا بكر أليس برسول الله ؟ فقال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين . قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا . قال أبو بكر : ياعمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله[2] .

---

(١) البداية والنهاية ٤ / ١٧٦ .

(٢) ابن هشام ٢ / ٧٧٤ .

أبو بكر في غزوة خيبر[1] :

حاصر النبي صلى الله عليه وسلم خيبر واستعد لقتالهم ، فكان أول قائد يرسله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح ، وقد جهد ، ثم بعث عمر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح ، ثم قال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، فكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه[2] .

أبو بكر يشير بعدم قطع نخيل خيبر :

أشار بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل حتى يثخن في اليهود ورضي النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فأسرع المسلمون في قطعه، فذهب الصديق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأشار عليه بعدم قطع النخيل لما في ذلك من الخسارة مع المسلمين سواء فتحت خيبر عنوة أو صلحا فقبل النبي صلى الله عليه وسلم مشورة الصديق ونادى المسلمين بالكف عن قطع النخيل فرفعوا أيديهم[3] .

---

(١) خيبر : بلد كثير الماء ، والزرع والأهل ، وكان يسمى ريف الحجاز ، وأكثر محصولاته التمر ويبعد عن المدينة ١٦٥ مائة وخمسة وستون كيلا شمالا على طريق الشام المار بخيبر فتيماء ، وقاعدته بلدة « الشُرَيْف » وأهلها الملاك جلهم من قبيلة « عَنَزَة » أما السكان فخليط من الناس ، وأكثرهم الخيابرة واحدهم خيبري ، وهم أناس سود البشرة من بقايا الرق ، معجم المعالم الجغرافية ص ١١٨ .

(٢) ابن هشام ٣ / ٧٩٧ ، فتوح البلدان ١ / ٣٦ .

(٣) راجع مغازي الواقدي ٢ / ٦٤٤ .

ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى وادي القرى[1] فحاصر اليهود فيه وفتحها عنوة وأغنم الله المسلمين أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بوادي القرى أربعة أيام فقسم ماأصاب ، وترك الأرض والنخيل في يد اليهود ، وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ماوطئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفدك ، ووادي القرى ، صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية وأقاموا بأيديهم أموالهم[2] .

أبو بكر في بني فزارة :

سار الصديق رضى الله عنه في الجهاد هذه المسيرة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ثابت القدمين شجاع لايهاب موتا ، ولايخاف عدوا .

وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم على سرية إلى بني فزارة فغزاهم .

روى الإمام أحمد رضى الله عنه من طريق إياس بن سلمة عن أبيه حدثني أبي قال : خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة ، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم علينا ، فغزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا على الماء من مر قبلنا قال سلمة ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل فرميت بسهم

---

(١) وادي القرى : نسبة إلى كثرة القرى فيه ، ويعرف اليوم بوادي العلا ، مدينة عامرة شمال المدينة المنورة على قرابة ٣٥٠ كيلا ، كثير المياه والزرع والأهل ، معجم المعالم الجغرافية ص ٢٥ ، انظر فتوح البلدان ١ / ٤٨ .

(٢) ابن هشام ٣ / ٨٠٠ ، ٨١٣ فتوح البلدان ١ / ٤٨ .

فوقع بينهم وبين الجبل . قال : فجئت بهم أسوقهم إلى أبى بكر حتى أتيته على الماء ، وفيهم امرأة عليها قشع من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب قال فنفلني أبو بكر ، فما كشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوبا ، قال فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال لي « ياسلمة هب لي المرأة » قال : فقلت والله يارسول الله لقد أعجبتني وماكشفت لها ثوبا ، قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال لي « ياسلمة هب لي المرأة » قال : فقلت والله يارسول الله لقد أعجبتني وماكشفت لها ثوبا ، قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال لي « ياسلمة هب لي المرأة » قال : فقلت والله يارسول الله والله ماكشفت لها ثوبا وهي لك يارسول الله ، قال فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة »(١) .

أبو بكر في عمرة القضاء مع النبي صلي الله عليه وسلم :

عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلي مكة في ذي القعدة ليعتمر عمرة القضاء مكان عمرته التي صده المشركون عنها .

قال ابن إسحق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته سنة سبع فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمدا في عسر وجهد وشدة .

---

(١) أحمد ٤ / ٤٣٠ ، ورواه أبو داود في سننه ك الجهاد / باب الرخصة في المدركين يفرق بينهم ٣ / ٦٤ ومعنى القَشْعُ ـ الفَرْوُ الخَلِق . وابن سعد في الطبقات ٤ / ١٦٤ لجنة نشر الثقافة .

وقد كان الصديق رضي الله عنه في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العمرة المباركة :

قال ابن اسحق : فحدثني من لا أتهمه عن عبد الله بن عباس قال لنا : صفوا لنا عند دار الندوة لينظروا إليه صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال : رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ثم استلم الركن ثم خرج يهرول ويهرول معه أصحابه حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أشواط ومشى في سائرها .

وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأقام ثلاثة أيام ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب بن عبد العزى : نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فقال سعد بن عبادة : كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لايخرج ، ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلا وحويطبا فقال : « إني قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون » فقالوا : نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع فأذن بالرحيل[1] .

---

(١) ابن هشام ٣ / ٨٢٧ .

أبو بكر في غزوة ذات السلاسل :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل على مشارف الشام في بلي ، وعبد الله ، وقضاعة ، فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين رضى الله عنهم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : قال موسى بن عقبة : فلما قدموا على عمرو قال أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستمده بكم ، فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين ، فقال عمرو : إنما أنتم مدد أمددته ، فلما رأى ذلك أبو عبيدة ، وكان رجلاً حسن الخلق ، لين الشكيمة ، قال : تعلم ياعمرو أن آخر ماعهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » ، وإنك إن عصيتني لأطيعنك ، فسلم أبو عبيدة الامارة لعمرو بن العاص[1] .

أخرج ابن سعد عن أبي عون عن شيخ من بني أسد قال : رأيت أبا بكر في غزوة ذات السلاسل كأن لحيته « لهاب العرفج » شيخاً خفيفا أبيض على ناقة له أدماء[2] .

---

(١) ابن هشام ١٠٤٠/٤ ، والبداية والنهاية ٢٧٣/٥ ، وانظر الكامل لابن الأثير ١٥٦/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ١٣٤/١ . والعَرْفَج : نبت ، قيل هو ضرب من النبات سهلي سريع الانقياد واحدته عرفجة وقال أبوزياد طيب الرائحة ، ولهب شديد الحمرة ويبالغ في حمرته فيقال كأن لحيته ضرام عرفجة وفي حديث أبى بكر كأن لحيته ضرام عرفجة ، لسان العرب ١٤٧/٣ ، النهاية في غريب الحديث ٢١٨/٣ .

أبو بكر في فتح مكة :

دخلت سنة ثمان من الهجرة ، وجاء شهر رمضان المعظم وفيه تم الفتح الأعظم .

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ماذكره ابن اسحق قال : حدثني الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعا قالا : في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل ، فتواثبت خزاعة وقالوا نحن ندخل في عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم ، فمكثوا في ذلك نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرا ، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلا بماء يقال له الوتير ـ وهو قريب من مكة ـ وقالت قريش مايعلم بنا محمد ، وهذا الليل ومايرانا من أحد فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عمرو بن سالم إلى المدينة فأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا :

اللهم إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيك الأتلدا

فانصر هداك الله نصرا أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نصرت ياعمرو بن سالم »

وتجهز النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته للخروج إلى مكة ، وكتم الخبر ، ودعا الله أن يعمي على قريش حتى تفاجأ بالجيش المسلم يفتح مكة .

وخافت قريش أن يعلم النبي صلى الله عليه وسلم بما حدث فخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد ، أشدد العقد ، وزدنا في المدة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ولذلك قدمت ؟ هل كان من حدث قبلكم ؟ فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لانغير ولانبدل ، فخرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم يقصد مقابلة الصحابة عليهم الرضوان[1] .

أبو بكر وأبو سفيان :

قابل أبو سفيان سيدنا أبا بكر رضى الله عنه فقال : جدد العقد ، وزدنا في المدة ، فقال أبو بكر : جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم .

وهنا تظهر فطنة الصديق وحنكته السياسية ، ثم يظهر الإيمان القوي بالحق الذي هو عليه ويعلن أمام أبى سفيان دون خوف أنه مستعد لحرب قريش بكل مايمكن ، ولو وجد الذر تقاتل قريشا لأعانها عليها .

بين عائشة وأبى بكر رضي الله عنهما :

الملاحظ من الروايات أن الصديق لم يكن يعلم بما فعلت قريش ، فقد دخل على أم المؤمنين عائشة ، وهي تغربل حنطة وقد أمرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن تخفي ذلك .. فقال لها أبو بكر : يابنية لم تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت ، فقال : أيريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو ؟ فصمتت ، فقال لعله يريد بني الأصفر ـ أي الروم ـ فصمتت ، فقال لعله يريد أهل نجد ؟

---

(١) ابن هشام ٤ / ٥٨١ ، وانظر الطبري ٣ / ٤٢ ، الكامل ٢ / ١٦١ ، فتوح البلدان ١ / ٤٩ .

فصمتت ، فقال لعله يريد قريشا . فصمتت ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الصديق له : يارسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً ؟ قال : نعم . قال : فلعلك تريد بني الأصفر ؟ قال : لا ، قال : أتريد أهل نجد ؟ قال : لا ، قال : فلعلك تريد قريشا ؟ قال : نعم ، قال : أبو بكر يارسول الله أليس بينك وبينهم مدة ؟ قال : « ألم يبلغك ماصنعوا ببني كعب » ؟

وهنا يسلم أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم ويجهز نفسه ليكون مع القائد صلى الله عليه وسلم في هذه المهمة الكبرى وذهب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف منهم أحد[1] .

أبو بكر يدخل مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم :

يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وبجانبه أبو بكر حيث يروي الواقدي قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل فابتسم إلى أبى بكر رضي الله عنه وقال : ياأبا بكر كيف قال حسان ؟ فأنشد أبو بكر :

١ ـ عَدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لَمْ تَرَوْهَا   تُثِيرُ النَّقْـعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

٢ ـ يبارِيْنَ الأسِنَّةَ مُصْغِيـاتٍ   عَلى أكْتَافِهَا الأسَلُ الظِّمَاءُ

٣ ـ تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّـرَاتٍ   تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمْرِ النِّسَاءُ[2] .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ادخلوها من حيث قال حسان »[3] .

---

(١) ابن هشام ٤ / ٨٥٧ ، مغازي الواقدي ٢ / ٧٩٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ٧٢/٣ وانظر مغازي الواقدي ٨٢٥/٢ . وقد نقلت الابيات من ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور / وليد عرفات ١٧/١ .

(٣) المرجع السابق ، وانظر الطبري ٣ / ٤٢ .

ووسط هذا الجو العظيم لهذا الفتح الأكبر أراد أبو بكر أن تتم النعمة وتعظم بإسلام أبيه أبى قحافة .

وقد كان أبو قحافة يراقب خيل المسلمين من بعيد ، ويقول لأصغر بناته : اظهري بي على أبي قبيس ـ وقد كف بصره ـ فأشرفت به عليه فقال : أي بنية ماذا ترين ؟ قالت أرى سوادا مجتمعا . قال : تلك الخيل ، قالت وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك السواد مقبلا ومدبرا قال : أي بنية ذلك الوازع الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها . ثم قالت : قد والله انتشر السواد فقال : قد والله إذن دفت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي ، فانحطت به ، وتلقاه الخيْل قبل أن يصل الى بيته .

وجاء أبو بكر إلى أبيه وانطلق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر : يارسول الله هو أحق أن يمشي إليك ، فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال : أسلم فأسلم ، فهنأ النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بإسلام أبيه[1] .

---

(١) ابن هشام ٤ / ٨٦٤ ، مغازي الواقدي ٢ / ٨٢٤ .

أبو بكر في غزوة حنين[1] :

أتم الله على نبيه فتح مكة ، وفرح المسلمون بذلك الفتح المبين ، وسمعت هوازن الأخبار بهذا الفتح فقام ملكها مالك بن عوف فجمع هوازن ، وانحازت إليها ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال وهم قليل ، ولم يحضرها من هوازن كعب بن كلاب .

وقد أشار دريد بن الصمة على مالك بن عوف بعدم الخروج لقتال النبي صلى اله عليه وسلم والمسلمين ، فقال له مالك : انك قد كبرت وكبر عقلك !!

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم بما أعدت هوازن فأرسل إليهم عبد الله بن أبي حدرد ليأتي بخبرهم فدخل فيهم حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من الحرب ، وسمع من مالك ، وعاد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأستعار من صفوان بن أمية أدرعاً وأفراساً ، واستعد النبي صلى الله عليه وسلم وخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين ، فسبق المسلمين إليها ، فأعد وتهيأ بقومه في مضايق الوادي وأحنائه .

وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح ، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم ، وانكفأ الناس مهزومين لايقبل أحد على أحد ، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حنين واد من أودية مكة ، يقع شرقها بقرابة ثلاثين كيلا ، يسمى اليوم وادي الشرائع وأعلاه الصدر ـ صدر حنين ـ ، والشرائع على بعد ٢٨ ثمانية وعشرين كيلا من المسجد الحرام ، وهي عين وقرية نسب الوادي إليها ، كانت عينها تسمى المشاسن ، أجرتها زبيدة إلى مكة ، ثم انقطعت عن مكة ، ولايعرف اليوم اسم حنين إلا الخاصة من الناس : معجم المعالم الجغرافية ص ١٠٧ ، وراجع ابن هشام ٨٨٩/٤ ، مغازي الواقدي ٨٨٥/٣ ، الطبري ٧٠/٣ .

ذات اليمين يقول : « أين أيها الناس ؟ هلم إليّ أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » وركبت الإبل بعضها بعضا ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ، ومعه رهط من آل بيته ، علي بن أبي طالب ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث ، والفضل ابن العباس ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسامه بن زيد ، ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر الصديق ، وعمر ، والعباس ، آخذ بزمام بغلته البيضاء(١) .

قال ابن إسحق : وجاء رجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه ، فبينما هو كذلك إذ هوى إليه علي بن أبى طالب ورجل من الانصار يريدانه فأتى عليّ من خلفه ، فضرب عرقوبى الجمل فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطن بها قدمه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله ، قال واحتد الناس . فوالله مارجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) .

وعن أبى قتادة قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين علا رجلا من المسلمين ، فاستدرت له حتى أتيته من ورائه حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه ، فأقبل علي فضمني ضمة وجدت فيها ريح الموت حتى أدركه الموت فأرسلني ، فلحقت بعمر بن الخطاب فقلت مابال الناس ؟ قال : أمر الله ، ثم إن الناس رجعوا ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه » ، فقمت فقلت من يشهد لي ؟ ثم جلست ، ثم قال : « من قتل قتيلا له

---

(١) ابن هشام ٨٩٨/٤ ، وانظر صحيح مسلم كتاب الجهاد / باب غزوة حنين ٩٢/٢ .

(٢) المرجع السابق .

عليه بينة فله سلبه » فقمت فقلت من يشهد لي ؟ ثم جلست ، ثم قال الثالثة مثله فقال رجل : صدق يارسول الله ، وسلبه عندي فأرضه عني ، فقال أبو بكر الصديق : لاها الله إذاً لايعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله يعطيك سلبه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فأعطه ، فبعت الدرع فابتعت به مخرفا - أي بستاناً - في بني سلمة فإنه لأول مال تأثلته في الاسلام[1] .

أبو بكر في غزوة الطائف واستشهاد ولده عبد الله فيها :

أتم الله على نبيه النصر في غزوة حنين ، فلحق فل ثقيف بالطائف ، فأغلقوا أبواب مدينتهم فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن كانوا معه في حنين فحاصرهم ثلاثين ليلة أو قريبا من ذلك[2] .

روى البيهقي بسنده إلى أبى نجيح السلمي قال : حاصرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم قصر الطائف ، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له عدل محرر » ، فبلغت يومئذ ستة عشر سهما . فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رمى بسهم في سبيل الله فهو له - درجة في الجنة - ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ، وأيما رجل مسلم أعتق رجلا مسلماً فإن الله جاعل وقاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله عز وجل جاعل وقاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها محرره من النار »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري وقد سبق تخريجه ص ٦١ .

(٢) ابن هشام ٤/٩٢٠ ، الطبري ٣/٨٢ ، مغازي الواقدي ٣/٩٢٢ ، فتوح البلدان ١/٦٦ وانظر صحيح مسلم كتاب الجهاد / باب غزوة الطائف ٢/٩٤ .

(٣) البيهقي في السنن الكبرى / كتاب العتق / باب فضل إعتاق النسمة ١٠ / ٢٧٢ .

ووقعت جراحات في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وشهادة ، ولكنه انصرف عنهم ولم يؤذن فيهم ، فقدم المدينة فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا ، وممن استشهد من المسلمين في هذه الغزوة عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنهما رمي بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحق في تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف : ومن بني تيم بن مرة : عبد الله بن أبي بكر الصديق ، رمي بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم[1] .

ويعلق الإمام ابن كثير رحمه الله على رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف دون أن يقتحمها أو يفتحها فيقول : وكانت الحكمة الالهية تقتضي أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يستأصلوا قتلا ، لأنه تقدم أنه عليه السلام لما كان قد خرج الى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل ، وذلك بعد موت عمه أبى طالب ، فردوا عليه وكذبوه ، فرجع مهموما فلم يستفق إلا عند ـ قرن الثعالب ـ فإذ هو بثقامه وإذا فيها جبريل فناداه ملك الجبال فقال : يامحمد إن ربك يقرأ عليك السلام ، وقد سمع قول قومك لك ، وماردوا عليك ، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال : « بل أستأنى بهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لايشرك به شيئا » فناسب قوله « بل أستأنى بهم » أن لايفتح حصونهم لئلا يقتلوا عن آخرهم ، وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان سنة تسع[2] .

---

(١) ابن هشام ٤ / ٩٢٤ .

(٢) البداية والنهاية ٤ / ٣٥٢ .

وقال ابن الأثير : « قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسبب ذلك أنهم ائتمروا بينهم ورأوا أن من يحيط بهم من العرب من نصبوا لقتالهم ، وشنوا الغارات عليهم ... فخرجوا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلهم قبة في المسجد[1] .

وقال ابن اسحق : فلما دنوا من المدينة ونزلوا « قناة »[2] ألفوا المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ذهب يشتد ليبشر النبي صلى الله عليه وسلم بقدومهم فلقيه أبو بكر الصديق فأخبره عن ركب ثقيف أن قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شروطاً ويكتبوا كتابا في قومهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك لاتسبقني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم[3] .

أبو بكر يختار لهم إماماً :

أسلم أهل الطائف ، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ، ثم أراد أن يؤمر عليهم فأشار أبو بكر بعثمان بن أبى العاص ـ وكان أحدثهم سنا ـ فقال الصديق : يارسول الله إنى رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن .

---

(١) الكامل ٢ / ١٩٣ .

(٢) قناة : واد فحل يستسيل مناطق شاسعة من شرق الحجاز تصل إلى مهد الذهب جنوباً ، وإلى أواسط حرة خيبر شمالا أما من الشرق فإنه يأخذ مياه الربذه ورحرحان والشقران ، على قرابة ١٥٠ مائة وخمسين كيلا من المدينة ، انظر معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية .

قال ابن كثير : وذكر موسى بن عقبة أن وفدهم كان إذا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفوا عثمان بن أبي العاص في رحالهم فإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم فسأله عن العلم واستقرأه القرآن فإن وجده نائما ذهب إلى أبى بكر ، فلم يزل حتى فقه في الاسلام وأحبه الرسول صلى الله عليه وسلم حبا شديدا .

أبو بكر في غزوة تبوك :

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال الروم وغزوهم في تبوك ، وكان ذلك في حر شديد ، وضيق من الحال فلم يكتم النبي صلى الله عليه وسلم الخبر عن أصحابه لما يعلمه من المشقة والسفر الطويل في هذه الغزوة ، فخرج معه مايقرب من ثلاثين الفا .

والشدة دائما تظهر الرجال ، ومن ثم ثبت المؤمنون الصادقون مع النبي صلى الله عليه وسلم ، بينما أخذ المنافقون يتخلف الواحد منهم تلو الآخر .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا محمد أخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيل في قوله تعالى « الذين اتبعوه في ساعة العسرة »[١] قال : خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد ، وخرجوا في حر شديد فأصابهم في يوم عطش ، حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ، ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عُسْرة في الماء ، وعسرة في النفقة ، وعسرة في الظهر[٢] .

---

(١) سورة التوبة جزء من الآية ١١٧ .

(٢) انظر كشف الاستار عن زوائد البزار أخرجه البزار في مسنده ـ كتاب الجهاد ـ باب غزوة تبوك .

وعن عبد الله بن عباس فيما رواه عبد الله بن وهب بسنده أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثنا عن شأن ساعة العسرة ، فقال عمر : خرجنا إلي تبوك في قيظ شديد فنزلنا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرشه ، ثم يجعل مابقى على كبده ، فقال أبو بكر الصديق : يارسول الله إن الله عودك في الدعاء خيرا فأدع الله لنا ، فقال : « أو تحب ذلك ؟ » قال : نعم ، قال : فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء ـ أي تهيئت لإنزال مائها » فأطلت ـ أي أنزلت مطرا خفيفا ـ ثم سكبت فملأوا مامعهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر »[1] وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ، ولم يقدم عليه الروم ، ولا العرب المتنصرة فعاد إلى المدينة[2] .

أبو بكر أمير الحج :

جاء موسم الحج سنة تسع من الهجرة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الحج ليقيم للمسلمين حجهم ، وأهل الشرك على منازلهم من حجهم ، لم يصدوا بعد عن البيت ، ومنهم من له عهد مؤقت إلى أمد ، فلما خرج أبو بكر رضي الله عنه بمن معه من المسلمين أنزل الله عز وجل قوله « براءة من الله ورسوله » إلى قوله تعالى « وأذان من الله ورسوله إلى الناس

---

(١) للهيثمي ـ قال الهيثمي : رواه البزار ، والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار ثقات ٣٥٤/٢ .

(٢) انظر في غزوة تبوك : ابن هشام ٩٤٣/٤ ، فتوح البلدان ٧١/١ ، مغازي الواقدي ٩٨٩/٣ .

يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » فقيل يارسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال : « لايؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي » ثم دعا علي بن أبي طالب فقال : « أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : ألا إنه لايدخل الجنة كافر ، ولايحج بعد العام مشرك ، ولايطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته »[١]

فخرج علي بن أبى طالب على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق فلما رآه أبو بكر قال : أمير أو مأمور ؟ فقال بل مأمور ، ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كانوا يوم النحر قام علي بن أبى طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجل للناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأمنهم وبلادهم ، ثم لاعهد لمشرك ولا ذمة إلا من كان له عند الرسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ، فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان[١] .

وقد ظفر الصديق بهذه المنزلة العظيمة لتكون منقبة له ، والواضح هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعزله عن إمارة الحج ، وقام سيدنا علي رضى الله عنه بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان هذا الأمر تمهيدا جليل المقام لحج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حتى إذا كانت حجة الوداع قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المناسك وقد حيل بين الكفار وبينها ، ومنع منها المشركون ، ومنع طواف العرايا حول البيت ، حتى تنتهي معالم الشرك ، ويصبح الأمر خالصاً لله وحده .

---

(١) ابن هشام ٩٧٠/٤ ، مغازي الواقدي ٣ / ١٠٧٦ ، البداية ٣٣/٥ ، الكامل ١٩٩/٢ ، تاريخ الخميس ٢ / ١٤١ .

أبو بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :

خرج الصديق مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، وهي حجة البلاغ ، وحجة الإسلام .

روى الإمام أحمد رضى الله عنه بسنده إلى عبد الله بن الزبير عن أبيه أن أسماء بنت أبى بكر قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجاً حتى أدركنا « العرج »[١] نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلست عائشة إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم ، وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام لأبى بكر فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه ، فطلع وليس معه بعيره !! فقال : أين بعيرك ؟ فقال : أضللت البارحة ! فقال أبو بكر :

بعير واحد تضله !! فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ويقول : « انظروا إلى هذا المحرم ومايصنع »[٢] .

---

(١) العَرْج : واد فحل من أودية الحجاز التهامية ، كان يطؤه طريق الحجاج من مكة إلى المدينة على ١١٣ مائة وثلاثة عشر كيلا ، انظر معجم المعالم الجغرافية ص ٢٠٣ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٦ / ٣٤٤ .

الفصل الثاني

الثبـــات في المحـــن

الثبات في المحن

عاش الصديق رضى الله عنه حياة الجهاد والقتال مع النبي صلى الله عليه وسلم كما عاش معه بقية حياة الدعوة لايدخر جهدا في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل ، والداعية في بذله وعطائه يعلم أن الابتلاء سنة من سنن الله في الدعوات ، وأن أعداء الدعوة حين يرونها منتصرة ، تغلي مراجل الحقد في قلوبهم ، فيعملون ليل نهار للكيد لها وللرجال القائمين بها ، المجاهدين في سبيلها وقد رأينا سيدنا أبا بكر رضى الله عنه صاحب جهد وجهاد لايعرف الملل ولا التعب ، وصاحب إنفاق لايعرف البخل أو الشح ، فكانت عين الأعداء عليه ، فبحثوا له عن مكيدة تعطل جهاده ، وتوقف إنفاقه ، وتعطل دعوته .

وفي المدينة كانت عين الكارهين من المنافقين والحاقدين من اليهود تعمل في دأب لضرب الإسلام ودعاته ، وقد بدءوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق رضى الله عنه وذلك في حادثة الإفك وأرادوا بذلك توجيه عمل مدمر للإسلام كله .

وكانت المحنة قاسية على نفس النبي صلى الله عليه وسلم ونفس صاحبه الصديق رضى الله عنه ونحن ندرس هذه الحادثة الأليمة ليتعلم الدعاة منها كيف يكون الثبات في المحن ، والتؤدة في مقاومة الإشاعات وسيلة من وسائل الدوة المؤثرة . مع ملاحظة أني قد اكتفيت بمثال واحد فقط ومن أراد المزيد من الأمثلة فليراجع ص ٦٥ / ٦٦ .

أبو بكر وحديث الإفك :

عاد النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ، وكانت معه أم المؤمنين عائشة رضى لله عنها ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم منزلاً قريباً من المدينة فبات به بعض الليل ، ثم أذن مؤذن في الناس بالرحيل ، وكانت أم المؤمنين في بعض حاجتها ، فوقع عقدها ، فلما عادت من البحث عنه لم تجد القوم ، فتلففت بجلبابها وهي تعلم أنهم حين يفتقدونها سيعودون إليها ، فمر بها صفوان بن المعطل الصحابي الجليل فلما رآها قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ترد عليه ، فقرب البعير واستأخر حتى ركبت ، وانطلق سريعا يطلب الناس فلم يدركهم حتى جاء الصبح ونزل الناس ، فدخل صفوان يقود البعير .

هذا مجمل ماحدثت به عائشة رضى الله عنها وأورده ابن إسحق ، وأخرجه البخاري ومسلم عن الزهري(١) .

والناظر إلى المدينة المنورة في ذلك الوقت يجد بها المنافقين يشتدون في الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين قال الله تعالى فيهم :

« لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين »(٢) .

---

(١) ابن هشام ٣ / ٧٦٥ ، البخاري في صحيحه كتاب المغازي / باب حديث الإفك ١٤٨/٥ ، مسلم / كتاب التوبة / باب في حديث الإفك ٥٠٨/٢ ، ٥١٠ .

(٢) التوبة الآية ٤٧ .

فلما رأى المنافقون ومن تبعهم أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها يقود بعيرها صفوان أدركوا أن الفرصة قد حانت لضرب المسلمين في مقتل . لأنهم لو نجحوا في قذف عائشة بالزنا لطعنوا نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم في أعز زوجة لديه ، ولضاع المسلمون إلى الأبد .

ونشر المرجفون مع اليهود الخبر في المدينة حتى انتشر كما تنتشر النار في الهشيم ، وتمرض أم المؤمنين وهي لاتعلم بما حدث ويحدث ، وتستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن تمرض في بيت أبيها فيأذن لها .

ثم شاء الله أن تخرج في حاجتها مع امرأة فأخبرتها بما حدث فرجعت إلى بيت أبيها ، حتى ظنت أن البكاء سيصدع كبدها ، وقالت لأمها : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ولاتذكرين لي من ذلك شيئا !!

قالت : أي بنية خففي عليك الشأن ، فوا الله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها .

تقول أم المؤمنين : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس ولاأعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس مابال رجال يؤذونني في أهلي ؟ ويقولون عليهم غير الحق ؟ ، والله ماعلمت عليهم إلا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه إلا خيرا ، ولايدخل بيتا من بيوتي إلا وهو معي[١] .

---

(١) ابن هشام ٣ / ٧٦٧ ، والحديث أخرجه مسلم في كتاب التوبة / باب في حديث الإفك ٢ / ٥٠٨ / ٥١٠ .

وقد عاش الصديق رضى الله عنه وبيته أقسى وأشد الأيام ، ودخل عليهم مالم يدخل على أهل بيت غيرهم .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يوصي عائشة بالصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

« ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواي ، وعندي امرأة من الأنصار وأنا أبكي وهي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال « ياعائشة إنه قد كان مابلغك من قول الناس ، وإن كنت قد قارفت سوءا مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، قالت فوالله إن هو إلا أن قال ذلك فقلص دمعي حتى ماأحس منه شيئا ، وانتظرت أبوي أن يجيبا عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجيبا .

قالت وايم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأنا من أن ينزل الله في قرآناً يقرأ به ، ويصلى به ، ولكني كنت أرجو أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه شيئا يكذب الله به عني ، لما يعلم من براءتي ، ويخبر خبرا ، وأما قرآنا ينزل فوالله لنفسي كانت أحقر من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالا والله ماندري بما نجيبه .

قالت : والله ماأعلم أهل بيت دخل عليهم مادخل على آل أبي بكر في تلك الأيام .

قالت : فلما استعجما علي استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أني منه بريئة لأقولن مالم يكن . ولئن أنكرت لاتصدقونني ، قالت ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن أقول كما قال أبو يوسف « فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون »

فوالله مابرح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ماكان يتغشاه فسجى بثوبه ، ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه ، أما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت فو الله مافزعت ، وماباليت ، قد عرفت أني بريئة ، وأن الله غير ظالمي ، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ، ماسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ماقاله الناس .

قالت : ثم سُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وإنه ليتحدر من وجهه مثل الجمان في يوم شات فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : أبشري ياعائشة قد أنزل الله عز وجل براءتك ، قالت : فقلت الحمد لله ، ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ماأنزل الله من قرآن في ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصحوا بالفاحشة فضربوا حدهم ، وسئل عن ابن المعطل فوجد حصورا لايأتي النساء[١] .

وفي صحيح مسلم : قال عروة قالت عائشة : والله إن الرجل الذي قيل له ماقيل ليقول : سبحان الله ، فوالذي نفسي بيده ، ماكشفت عن كنف أنثى قط قالت : ثم قتل بعد ذلك شهيدا في سبيل الله[٢] .

---

(١) ابن هشام ٣ / ٧٧٣ .

(٢) صحيح مسلم كتاب التوبة / باب في حديث الإفك ٢ / ٥١٠ .

من هنا نرى بيت الداعية قد يتعرض لهزة عنيفة مدبرة من أعداء الدعوة ، ومن بعض المسلمين الذين يضعفون أمام الشيطان فيسارعون في الإثم والعدوان ، والداعية يفوض الأمر إلى الله وحده ، ويعيش معتصما بجنابه ، عائذا به من شر أعدائه ، وما يدبرونه بليل أو نهار .

كما تظهر دروس بالغات أمام الصف المسلم حين يقع البعض منهم في المخالفة بالتقول على المسلمين أو فعل مايسئ إليهم ، والصف قد تعلم من قصة الإفك وجوب التثبت ، وحفظ الله ، وعدم الاهتزاز في مسيرته إن قصر البعض أو خرج عن الجادة فتلك طبيعة البشر .

وقد يسأل سائل : كيف يكون الثبات في المحن والصبر على البلاء وسيلة من وسائل الدعوة ؟

وأقول إنه وسيلة هامة لما يلي :

١ ـ إن قبول الداعية للاختبار ، ورضاه بالقضاء والقدر يعطي للمدعوين دليلا على صدقه في دعوته ، ويقينه في أنها الحق الذي يفدى بالأرواح ، وإذا كان الأمر كذلك أثر في المدعوين أثرا عميقا ، وبخاصة من كان بعيدا عن المؤثرات التي تحول بينه وبين الإذعان للحق من التبعية للرؤساء ، أو أصحاب المناصب ، أو التمسك بمواريث الآباء الجاهلية ، أو غير ذلك من سبل الصدود عن دعوة الله عز وجل .

لذا قال الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإى المرسلين »[1] .

---

(١) سورة الأنعام ٣٤ .

٢ ـ إن صبر الداعية على البلاء ، ورضاه بأمر القضاء سبب لنزول نصر الله عز وجل ، وتحطيم لمعنويات الكافرين والمعاندين للدعوة وإبطال لمكايدهم ، لذا يقول الله عز وجل : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا ، إن الله بما يعملون محيط »[1] .

ويقول تعالى : « إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون . »[2] .

---

(١) سورة آل عمران ١٢٠ .

(٢) التوبة ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .

الفصل الثالث

أبو بكر وزيراً للنبي صلى الله عليه وسلم

عاش الصديق رضى الله عنه وزير صدق للنبي صلى الله عليه وسلم يلازمه ويشير عليه في إخلاص وتجرد ، لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر الأمة بحبه للصديق ، واتخاذه وزير صدق مع عمر حتى في غيابهما :

يقول ابن الأثير عن أبى بكر رضى الله عنه :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الثقة إليه ، وبما عنده من الإيمان واليقين ، كما في حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل يركب بقرة إذ قالت لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر » قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : وماهما في القوم(١) .

وقد تمثلت وزارته للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يلي :

١ ـ حفظ سر النبي صلى الله عليه وسلم :

أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب قال : تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة ، وكان ممن شهد بدرا ، فلقيت عثمان بن عفان فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة فقال : أنظر ثم لقيني فقال : قد بدا لي أن لاأتزوج يومي هذا ، فلقيت أبا بكر فعرضتها عليه فصمت فكنت عليه أوجد مني على عثمان ، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه ، ثم لقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدت علي حين لم أرجع إليك ، فقلت : أجل ، فقال : إنه لم يمنعني أن أرجع إليك إلا أني علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها لنكحتها(٢) .

---

(١) أسد الغابة ٣٢١/١ والحديث أخرجه البخاري ومسلم . البخاري في صحيحه / كتاب الحرث والمزارعة باب استعمال البقر للحراثة ١٣٦/٢ ، كتاب فضائل الصحابة / باب فضل أبى بكر وعمر ٢ / ٣٥٢ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدرا ١٠٦/٥ ، والنكاح باب عرض ابنته وأخته على أهل الخير ٧ / ١٧ .

٣ ـ إمامته للمسلمين في الصلاة :

اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليصلي بالناس ، وتلك منقبة عظيمة للصديق رضى الله عنه دلت على مكانته ووزارته للنبي صلى الله عليه وسلم .

أ ـ وقد يظن البعض أن النبي صلى الله عليه وسلم أناب أبا بكر ليصلي بالناس في مرضه فقط ، ولكن الثابت أنه أنابه في غير مرضه :

فعن سهل بن سعد قال : كان قتال في بني عمرو بن عوف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم وقال : « يابلال إن حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس ، فلما حضرت الصلاة أقام بلال العصر ثم أمر أبا بكر فتقدم بهم ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مادخل أبو بكر في الصلاة ، فلما رأوه صفقوا ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشق الناس حتى قام خلف أبى بكر ، قال : وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت ، فلما رأى التصفيق لايمسك عنه التفت فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن أمضه ، فقام أبو بكر على هيئته فحمد الله على ذلك ثم مشى القهقري قال : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال : « يا أبا بكر مامنعك إذا أومأت إليك أن لاتكون مضيت ؟ » فقال أبو بكر : لم يكن لابن أبى قحافة أن يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للناس : « إذا أنابكم شئ في صلاتكم فليسبح الرجال ولتصفق النساء »[١] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري / كتاب الصلاة ، باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول ١٧٤/١ .

ب ـ ثم استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤم المسلمين في مرضه :

أخرج البخاري من حديث عمر بن حفص عن الأعمش عن إبراهيم قال الأسود : كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة على الصلاة ، والمواظبة لها قالت : لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه ، فحضرت الصلاة فأذن بلال فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس فقيل له : إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، فأعاد فأعادوا له ، فأعاد الثالثة فقال : إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فخرج أبو بكر فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين كأني أنظر إلى رجليه تخطان من الوجع ، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ اليه النبي صلى الله عليه وسلم أن مكانك ثم أتى حتى جلس بجانبه ، قيل للأعمش : فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبى بكر ؟ فقال برأسه نعم[1] .

لكن لما راجعت أم المؤمنين عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر إمامة أبى بكر في مرض النبي صلى الله عليه وسلم ؟

« إنها راجعت النبي صلى الله عليه وسلم لتبرئ نفسها من القالة ، وتبرئ ذلك الموقف الخطير من المظنة ، وتبرئ الخلافة من أسباب الادعاء ، وقد يكون فيها إضعاف وإيذاء .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري والنسائي وابن ماجه : البخاري في صحيحه الإخراج السابق والنسائي كتاب الامامة / باب إذا تقدم الرجل من الرعية ثم جاء الوالي هل يتأخر ؟ . ٢ / ٦٠ ابن ماجه أبواب الصلاة / باب ماجاء في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ٢٢٣/١ ، تحقيق الأعظمي . ومعنى أسيف : أي سريع البكاء والحزن.

وأشهدت على نفسها أولى الناس بالشهادة في ذلك الموقف الخطير حفصة بنت عمر رضى الله عنها فتردد عائشة في ذلك الموقف الخطير لم يضر بل نفع وكان أنفع من إسراعها في التبليغ وأول مانفع به أنه أظهر رغبة النبي صلى الله عليه وسلم إظهارا لامجال للظنة فيه ، فكان ذلك من أدعى دواعي الاتفاق على الاختيار ، وقطع السبيل علي الفتنة والشقاق(١) .

ج ـ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرفض أن يتقدم أحد ليؤم الناس مكان أبى بكر :

فعن عبد الله بن زمعة أنه خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم فإذا عمر في المسجد ، وأبو بكر غائب فقال ياعمر قم فصل بالناس فتقدم فكبر ، وكان رجلا مجهرا ، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته سأل : أين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . ولام عمر عبد الله بن زمعة قائلا : ويحك ؟

ماصنعت بي يابن زمعة ؟ والله ماظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس ، قال ابن زمعة : والله ماأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ ولكن حين لم أرَ أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس(٢) .

و ـ ومن وزارته للنبي صلى الله عليه وسلم إمارته في الحج بالناس سنة تسع من الهجرة(٣) .

---

(١) عبقرية الصديق ص ٢٠ بتصرف .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٦/٣٤ ، وأبوداود في سننه ، كتاب السنة باب استخلاف أبى بكر رضى الله عنه ٤ / ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٣) راجع ص ١١٥ .

هذا وقد أخرج الحاكم عن ابن المسيب بسند ضعيف قال : كان أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم وكان الوزير ، فكان يشاوره في جميع أموره ، وكان ثانيه في الاسلام ، وثانيه في الغار ، وثانيه في العرين يوم بدر ، وثانيه في القبر ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحدا[1] .

هـ ـ وقال ليث بن أبي سُلَيْم عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ووزيراي من أهل الأرض أبوبكر وعمر »[2] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة / أبو بكر الصديق رضى الله عنه ٦٣/٣ . قال الذهبي في التلخيص : في رواته مجهول .

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب / باب مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن ابن سعيد الخدري وقال : هذا حديث حسن غريب ، وقال الذهبي عن رواية ابن عباس : قلت : وكذلك حديث ابن عباس حسن ، انظر تاريخ الخلفاء للذهبي ص ٢٥٦ .

الباب الثالث

الفصـل الأول

بيعة الصديق رضى الله عنه .

موقف أبى بكر رضى الله عنه في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم :

عاش المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم حياة النعيم ، يرونه صلى الله عليه وسلم ويمتعون نظرهم بأنواره ، ويجالسونه يتعلمون ويعملون ، وهم في غدوهم ورواحهم يحسون بالطمأنينة والسلام ، فالنبي بينهم ، والوحي يتنزل ، والقرآن يتلى ، والأحكام تنفذ ، والحدود قائمة ، والجهاد ماض ، والعزة كاملة ، والعدو مهزوم ، والمنافق مكلوم ، والدولة يعلو بنيانها يوما بعد يوم .

ولكن دوام الحال من المحال ... فبدأت الغيوم تنشر ظلامها القاتم على هذا الجو الساكن الهادئ لتنذر بعواصف ورعود !!

ففي حجة الوداع نزلت سورة « النصر » فقال عمر وابن عباس رضى الله عنهم هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى إليه ..

أخرج البخاري عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم - فماروُيِّتُ أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ماتقولون في قوله تعالى « إذا جاء نصر الله والفتح » ؟ فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أكذاك تقول يابن عباس ؟ فقلت لا ، قال فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه به قال : إذا جاء نصر الله والفتح ، وذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ، فقال عمر : ماأعلم فيها إلا ماتقول »(١) .

---

(١) البخاري في صحيحه كتاب التفسير / باب ماجاء في سورة النصر ٦ / ٢٢٠ .

وقال محمد بن إسحق : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع في ذي الحجة فأقام بالمدينة بقيته ، والمحرم وصفر ، وبعث أسامة بن زيد ، فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه في مرضه الذي قبضه الله فيه إلى ماأراده له من رحمته وكرامته[1] .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمار فوقف وقال : « لتأخذوا عني مناسككم فعلي لاأحج بعد عامي هذا »[2] .

وحزن المسلمون حزنا شديدا لمرض نبيهم صلى الله عليه وسلم ثم وجدوه يأمر أبابكر أن يؤم الناس وهو صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ، وازداد الحنين إلى رؤيته صلى الله عليه وسلم ، وخاف الناس فقده صلى الله عليه وسلم ، فاجتمع الأنصار يبكون وقد اشتد عليهم الأمر :

أخرج البخاري عن هشام بن زيد قال : سمعت أنس بن مالك يقول : مر أبوبكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال : مايبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا ، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد ، قال : فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعَيْبَتي ، وقد قضوا الذي عليهم وبقى الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم »[3] .

---

(١) ابن إسحق ٤ / ١٠٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم/كتاب الحج/باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا ١/٥٤٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب مناقب الأنصار / باب قول النبي صلي الله عليه وسلم اقبلوا من محسنهم ٥ / ٤٣ .

وعم الشوق قلوب المسلمين لرؤيته صلى الله عليه وسلم حتى كادوا أن يفتتنوا في الصلاة حين أحسوا به صلى الله عليه وسلم ينظر إليهم :

أخرج البيهقي بسنده عن الزهري قال : أخبرني أنس بن مالك الأنصاري ، وكان تبع النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وخدمه ، وصحبه ، : أن أبابكر الصديق كان يصلى بهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم وضحك فهممنا أن نفتتن ونحن في الصلاة من فرح برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة ، قال : فأشار إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأرخى الستر فتوفي من يوم ذلك[١] .

وقبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم فكانت وفاته صلى الله عليه وسلم أكبر مصيبة أصيب بها المسلمون ، ووقع الخبر على أسماع الناس وقع الصواعق ، فطاشت الأحلام لهول المصاب وعظم الرزية ، وارتجت المدينة ، وزلزلت القلوب الناس ، ودخل على المسلمين مالم يدخل عليهم مثله قط ، ولم لا ؟ فقد غاب عنهم حبيبهم الذي كان بينهم يأمرهم وينهاهم ، ولن يلقوه إلا يوم القيامة ، وانقطع وحي السماء ... ودخل الناس المسجد يبكون ويموجون .

(١) الاعتقاد ص ١٧٠ .

يقول أنس رضى الله عنه لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيئ ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيئ ، قال : مانفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا »[1] .

وقد عبر حسان بن ثابت رضى الله عنه عن حزن المسلمين الشديد لفقد النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم

وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

يبكون من تبكي السموات يومه

ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

وهل عدلت يوما رزية هالك

رزية يوم مات فيه محمد

تقطع فيه مُنْزَلُ الوحي عنهم

وقد كان ذا نور يغور وينجد

إلى أن قال :

فيهناهم في ذلك النور اذ غدا

إلى نورهم سهم من الموت مُقْصِدُ

فأصبح محمودا إلى الله راجعا

يُبَكِّيه حق المرسلات وَيُحْمَدُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣ / ١٩٦ . هذا والأبيات من ديوان حسان القصيدة رقم ٢٨٢ ، ١ / ٤٥٦ .

وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها

لغيبة ماكانت من الـوحـي تعهـد

قفارا سوى معمورة اللحد ضافها

فقيـد يُبَكـيِّــه بــلاط وغـرقـد

ومسجــده فالموحشــات لفقــده

خــلاء لـه فيه مقــام ومـقــعـد

وبالجمـرة الكبرى له ثَمَّ أوحشت

ديــار وعرصـــات وربــع ومـولـد

فبكِّي رسـول الله ياعين عبرة

ولا أعـرِفَنْك الدهــر دمعك يجمـد

ومــالك لاتبـكـين ذا النعمـة التي

على النـاس منهــا سابغ يتغـمـد

فجـودي عليه بالدمـوع وأعولي

لفـقـد الـذي لامثلـه الدهــر يوجد

ومافقـد المــاضـون مثل محمد

ولا مثلـــه حتــى القيـامــة يفـقـد

ثم عبر عن حزن الأنصار بخاصة فقال :

أ ـ والله أسمـع مابقـيت بهـــالك

إلاابكـيت على النبي محمـد

ياويــح أنصـــار النبــي ورهطـه

بعد المغيب في سواء المَلْحدِ

ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا

سودا وجوههم كلون الإثمد

وقال :

ب ـ كان الضياء وكان النور نتبعه

بعد الإله وكان السمع والبصرا

فليتنا يوم واروه بملحده

وغيبوه والقوا فوقه المدرا

لم يترك الله منا بعده أحدا

ولم يُعنِ بعد أنثى ولاذكرا

ذلت رقاب بني النجار كلهم

وكان أمر من امر الله قد قدرا(١) .

لقد اهتزت الأمة لوفاة النبي صلى اله عليه وسلم وأخذ الناس بفداحة الخطب .

يقول ابن إسحق رحمه الله : ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة فيما بلغني تقول : لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم »(٢) .

لذا كانت للصحابة مواقف في هذا اليوم تدل على عظم تأثرهم بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ديوان حسان أ / ديوان حسان قصيدة رقم ١٣١ ١/٢٦٩ . ب / قصيدة رقم ٢٤١ ٤٢١/١ .

(٢) ابن هشام ٤ / ١٠٧٩ .

يقول القاضي أبوبكر بن العربي رحمه الله : .. واضطربت الحال ... فكان موت النبي صلى الله عليه وسلم قاصمة الظهر ، ومصيبة العمر ، فأما علي فاستخفى في بيت فاطمة ، وأما عثمان فسكت ، وأما عمر فأهجر وقال : مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما واعده ربه كما واعد موسى ، وليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم »[1] .

وجاء أبو بكر :

بينما الناس في بكائهم وحزنهم وصل الخبر الى الصديق رضى الله عنه وكان قد استأذن أن يخرج إلى بيت زوجه حبيبة بنت خارجة فجاء مسرعا ودخل المسجد فشاهد أحوال الناس ، وحث الخطا إلى بيت عائشة ، وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم أنه قد مات فخرج إلى الناس .

أخرج البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح . قال إسماعيل : يعني العالية ، فقام عمر يقول : والله مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : وقال عمر : والله ماكان يقع في نفسي إلا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ، فجاء أبوبكر ، فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال : بأبي أنت وأمي ، طبت حيا وميتا ، والذي نفسي بيده لايذيقك الله الموتتين أبدا ، ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمدا فإن محمدا

---

(١) العواصم من القواصم ص ٣٨ .

قد مـات ، ومن كان يعبـد الله فإن الله حي لايموت ، وقال : « إنك مـيت وإنهم ميتون »[١] . وقال : « وما مـحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين »[٢] . قال : فنشج الناس يبكون[٣] .

« كان موته صلى الله عليه وسلم خطبا كالحا ، ورزءا لأهل الإسلام فادحا ، كادت تهد له الجبال ، وترجف الأرض ، وتكسف النيرات ، لانقطاع خبر السماء وفقد من لاعوض منه ، مع ماآذن به موته صلى الله عليه وسلم من الفتن السحم والحوادث الوهم ، والكرب المدلهمة ، والهزاهز المضلعة ، فلولا ماأنزل الله تبارك وتعـالى من السكينـة على المؤمنين ، وأسـرج في قلوبهم من نور اليقين ، وشرح لهم صـدورهم من فـهم كتـابه المبين ، لانقـصـمت الظهـور ، وضـاقت عن الكرب الصدور ، ولعاقـهم الجـزع عن تدبير الأمـور ، فـقد كان الشيطان أطلع إليـهم رأسه ومـد إلى إغوائـهم مطامعـه ، فـأوقـد نار الشنآن ، ونصب راية الخلاف ، ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره ، ويعلي كلمته ، وينجز موعوده ، فـأطفأ نار الردة وحسم عادة الخلاف والفتنة على يد الصديق رضى الله عنه[٤] .

---

(١) الزمر ٣٠ .

(٢) آل عمران ١٤٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذا خليلا » ٥ / ٨ .

هذا ومعنى نَشِج بفتح النون وكسر الشين : بكوا من غير انتحاب .

والنَّشْجُ : مـايعـرض في حلق الباكي من الغـصـة ، والنشيـج : الصـوت وأشد البكاء وهو صوت معه توجع . لسان العرب ٢ / ٣٧٧ ، وفتح الباري ١٤ / ١٦٧ .

(٤) الروض الأنف ٧ / ٥٩٠ .

جاء الصديق والحالة هذه ـ وهو الرقيق اللين ـ فقابل ذلك برباطة جأش وحزم ويقين ، رغم تقطع نياط قلبه حزنا ، ووقف على المنبر في ثبات يعظ الناس ويذكرهم بالحقيقة التي لاينبغي أن تغيب بسبب هذه الصدمة المروعة ، وهي أن الخلق جميعا إلى فناء وأنه لايدوم إلا الله ، وأخذ الصديق يردد آيات القرآن في حسن استشهاد بها ، فكانت دواء للقلوب فأفاق الناس يرددون معه « ومامحمد إلا رسول » الآية .. يرددونها في المسجد وفي الطرقات كأنها تنزل لأول مرة .

نعم « جاء الله بأبى بكر فكان بردا وسلاما على القلوب ، وكان هدى للأفئدة لم يذهب الحزن بلبه ، ولم تنسه المصيبة على شدتها ماعرف من الحق ، فقام في الصحابة ذلك المقام العظيم وتلا عليهم قول الله عز وجل ، فعادوا إلى نفوسهم فعلموا أن الذي يقول أبو بكر هو الحق وعلموا أن أبا بكر أعلم الناس وأسماهم نفسا ، وأربطهم جأشا ، وأنفذهم بصيرة ، فدفنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتسبوا مصيبتهم عند الله ، والله خير وأبقى ، وإلى الله ترجع الأمور[1] .

بيعة الصديق رضي الله عنه :

اتفق أهل السنة بلا خلاف على صحة خلافة الصديق رضى الله عنه واستدلوا على ذلك بآيات من القرآن الكريم منها :

أ ـ قوله تعالى « يأأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه »[1] .

---

(١) أبو بكر الصديق للشيخ علي الطنطاوي ص ١٥١ .

(٢) سورة المائدة ٤٥ .

قالوا : إن الآية تتحدث عن الصديق لأنه الذي حارب المرتدين حتى ردهم إلى الإسلام .

« فكان في علم الله مايكون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من ارتداد قوم فوعد رسوله ووعده صدق أن يأتي بقوم يحبهم ويحبونه ، فلما وجد ماكان في علمه من ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد تصديق وعده بقيام أبى بكر بقتالهم ، فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب ، ولم يخف في الله لومة لائم حتى ظهر الحق ، وزهق الباطل ، وصار تصديق وعده بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة الصديق رضى الله عنه » .

وأخرج بسنده إلى الحسن قال : في قوله تعالى « من يرتد منكم عن دينه » : هم الذين قاتلوا مع أبى بكر أهل الردة حتى رجعوا إلى الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قال عكرمة وقتادة والضحاك ، وبسنده عن أبى هريرة قال : والذي لا إله إلا هو لولا أن أبابكر استخلف ماعبد الله ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة . ثم قيل له : فسر يا أباهريرة فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذي خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب حول المدينة ، واجتمع إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ياأبابكر رد هؤلاء ! توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة !! فقال : والذي لا إله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشاً وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوجه أسامة فجعل لايمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فلقوا الروم فهزموهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام »[1] .

---

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ١٧٤ .

ب ـ قوله تعالى « قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون »[1] .

قالوا : جعل توبتهم مقرونة بدعوة الداعي لهم إلى قتال القوم ـ وهم أهل اليمامة وأبو بكر دعاهم ـ أو فارس فعمر دعاهم ـ وفي تثبيت إمامة عمر تثبيت إمامة أبى بكر »[2] .

« الداعي للمخلفين إلى القتال غير النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال الله له « فقل لن تخرجوا معي أبدا » وقال في سورة الفتح « يريدون أن يبدلوا كلام الله » فمنعهم الخروج مع نبيه صلى الله عليه وسلم وجعل خروجهم معه تبديلا لكلامه فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال مجاهد في قوله تعالى « أولي بأس شديد » : هم فارس والروم ، وكذلك قال الحسن البصري ، وقال عطاء : هم أهل فارس ، وفي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : فارس ، وفي رواية الكلبي عن ابن صالح عن ابن عباس : هم بنو حنيفة يوم اليمامة ، فإن كانوا أهل اليمامة فقد قوتلوا في عهد الصديق وهو الداعي إلى قتال مسيلمة وبني حنيفة من أهل اليمامة ، وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا في أيام عمر وهو الداعي إلى قتال كسرى وأهل فارس ، وإن كانوا أهل فارس والروم فإن تنحية أهل الروم عن أرض الشام وقد قوتلوا في أيام أبى بكر ثم تم قتلهم وتنحيتهم عن الشام في أيام عمر مع قتال فارس فوجب بذلك إمامة أبى بكر وعمر »[3] .

---

(١) سورة الفتح ١٦ .

(٢) مقالات الاسلاميين ٢ / ٤٤ .

(٣) الاعتقاد للبيهقي ص ١٧٣ .

جـ ـ قوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم »[1] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : « ... وقال بعض السلف خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حق في كتاب الله ثم تلا هذه الآية « وعد الله الذين آمنوا منكم »[2] .

هل نص النبي صلى الله عليه وسلم على خلافة أحد ؟

وبعد ظهور إجماعهم على صحة خلافة الصديق نجدهم انقسموا إلى فريقين في الاجابة على هذا السؤال : هل نص النبي صلى الله عليه وسلم على خلافة الصديق بعده ؟ فمنهم من يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على خلافته رضى الله عنه نصا جليا ، ومنهم من يرى أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص على ذلك .

أ ـ القائلون بالنص الجلي :

استدل القائلون بالنص الجلي على خلافة الصديق بأحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم منها :

١ ـ أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم قال : أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه فقالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟ كأنها تقول الموت ، قال : « إن لم تجديني فأتي أبا بكر »[3] .

---

(١) سورة النور ٥٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٠١ .

(٣) الحديث متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب فضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٥/٥ . وأخرجه مسلم في صحيحه / كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل أبى بكر ١٥٢/٢ .

٢ ـ أخرج البخاري وأحمد والترمذي عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا باللذين من بعدي أبى بكر وعمر »[١] .

٣ ـ أخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى بذلك ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر »[٢] .

٤ ـ وأخرج أبو داود عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رأى الليلة رجل صالح أن أبابكر نيط برسول الله ، ونيط عمر بأبى بكر ، ونيط عثمان بعمر » قال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا : أما الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما نوط بعضهم ببعض فهم ولاة الأمر الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم »[٣] .

ثم استدلوا بأدلة عقلية مستنتجة من الأحاديث ومنها :

١ ـ قالوا : عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمامة ، وهذا من أفصح الأدلة ، وعليه اعتمد عمر وعلي وغيرهما من الصحابة في الاستدلال على خلافته وأحقيته بها .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الاحكام / باب الاستخلاف ١٠/٩ ، وأخرجه أحمد في مسنده ٣٩٩/٥ ، والترمذي في سننه / كتاب المناقب / باب في مناقب أبى بكر وعمر كليهما ٦٠٩/٥ ، والحاكم في المستدرك / كتاب معرفة الصحابة ٧٥/٣ وقال : صحيح الاسناد ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل أبى بكر ١٥٢/٢ .

(٣) أخرجه أبو داود / كتاب السنة / باب في الخلفاء ٢٠٨/٤ كما أخرجه الحاكم في المستدرك / كتاب معرفة الصحابة / باب أبى بكر رضى الله عنه ٧٠/٣ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص .

٢ ـ وقالوا : حينما عورض بعرض غيره عليه لذلك الأمر ـ أي الإمامة في الصلاة ـ منع من ذلك وكما تقدم غيره ـ أي عمر رضى الله عنه ـ كره ذلك ، وصرح بالمنع منه ثم أكده بتكرار المنع فقال : « لا .. لا » .

قلت : المنع من إمامة غيره وتكرار قوله صلى الله عليه وسلم « لا .. لا » كان في تقدم عمر للإمامة حين تغيب الصديق ، وقد أخرج أحمد عن عائشة قالت : لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة فاستأذن نساءه أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمدا على العباس وعلى رجل آخر ، ورجلاه تخطان في الأرض ، وقال عبيد الله : فقال ابن عباس : أتدري من ذلك الرجل ؟ هو علي بن أبي طالب ، ولكن عائشة لاتطيب لها نفسا ، قال الزهري فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ميمونة لعبد الله بن زمعة : « مر الناس فليصلوا » فلقى عمر بن الخطاب فقال : ياعمر صل بالناس ، فصلى بهم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ـ وكان جهير الصوت ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هذا صوت عمر ؟ قالوا بلى .. قال « يأبى الله عز وجل ذلك والمؤمنون مروا أبا بكر فليصل بالناس » قالت عائشة : يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق لايملك دمعه ، وإنه إذا قرأ القرآن بكى ، قالت : وماقلت ذلك إلا كراهية أن يتأثم الناس بأبي بكر أن يكون أول من قام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » فراجعته فقال « مروا أبا بكر فليصل بالناس إنكن صواحب يوسف »[١] .

---

(١) أخرجه احمد في مسنده ٣٤/٦ .

وعند ابن إسحق أن عمر رضى الله عنه قال لابن زمعة : ويحك !! ماذا صنعت بي يابن زمعة ؟ والله ماظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس قال قلت : والله ماأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس(١) .

وأخرج أبو داود عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن زمعة أخبره بهذا الخبر قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت عمر قال ابن زمعة : خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال : « لا . لا . لا ليصل بالناس ابن أبى قحافة يقول ذلك مغضبا » وفي عون المعبود يقول : وفي الحديث دلالة على خلافة أبى بكر وذلك أن قوله صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك والمسلمون » معقول منه أنه لم يرد به نفى جواز الصلاة خلف عمر رضى الله عنه فإن الصلاة خلف عمر ومن دونه من المسلمين جائزة .. وإنما أراد به الإمامة التي هي دليل الخلافة والنيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القيام بأمر الأمة قاله الخطابي في المعالم(٢) .

٣ ـ وقالوا : إن النبي صلى الله عليه وسلم حين أنكر إمامة غيره في الصلاة عرض بالخلافة بما يقترب من التصريح فقال : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » ثم أكد ذلك بتكرار كل ذلك مع علمه صلى الله عليه وسلم بأن ذلك مظنة الخلافة فإنه صلى الله عليه وسلم كان إمامهم في الصلاة والحاكم عليهم ، فلما أقام أبا بكر ذلك المقام مع توفر هذه القرائن الحالية والمقالية

---

(١) ابن هشام ٤ / ١٠٦٦ .
(٢) عون المعبود شرح سنن أبى داود ١٢ / ٤١٦ .

علم أنه أراد ذلك ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » أكبر إشارة ، بل أفصح عبارة ، ولولا اعتماده صلى الله عليه وسلم على تلك الإشارة المصرحة بإرادة الخلافة لما أهمل أمرها فإنها من الوقائع العظيمة في الدين[1] .

٤ ـ وقالوا : إن مما يؤيد ذلك ويقويه أنه هم بكتابة العهد لأبى بكر ثم تركه وقال : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وهذا والله أعلم ـ اقتناع منه صلى الله عليه وسلم أن فيه الكفاية بعد تقديمه إماما .

ومن هذا الفريق : الفقيه ابن حزم رحمه الله حيث يقول : اختلفوا في الإمامة فقالت طائفة : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف ، وقالت طائفة : لما استخلف أبا بكر على الصلاة كان دليلا على أنه أولاهم بالإمامة والخلافة ، وقال بعضهم لا ، ولكن كان أثبتهم فضلا فقدموه ، وقالت طائفة بل نص النبي صلى الله عليه وسلم على استخلاف أبى بكر بعده نصا جليا وبه نقول لبراهين :

أحدها : إطباق الناس كلهم ـ الذين قال الله فيهم « أولئك هم الصادقون » ـ فقد اتفق المشهود لهم بالصدق على تسمية « خليفة رسول الله » ومعنى الخليفة في اللغة : هو الذي استخلفه المرء ، لا الذي يخلفه بدون استخلاف لايجوز غير هذا البتة في اللغة ، يقال : استخلف فلان فلانا فهو خليفتة ، ومستخلفه فإن قام مكانه دون أن يستخلفه لم يقل إلا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف ، ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لأن أبا بكر لم يستحق هذا الاسم على الاطلاق في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فتبين أنها غير خلافة الصلاة .

---

(١) راجع الصواعق المحرقة ص ٣١ ومابعدها فقد أجاد في عرض ذلك رحمه الله .

الثاني : أن كل من استخلفه الرسول صلى الله عليه وسلم كعلي في غزوة تبوك ، وابن أم مكتوم في غزوة الخندق ، وعثمان في غزوة ذات الرقاع ، وسائر من استخلفه على اليمن أو البحرين وغير ذلك لم يستحق أحد منهم هذا على الإطلاق ، فصح يقينا أنها الخلافة بعده على الأمة ومن المحال أن يجمعوا على ذلك وهو لم يستخلفه نصا .

ثم ذكر ابن حزم حديث المرأة التي جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه فقالت أرأيت إن جئت ولم أجدك قال فأتي أبا بكر »[1] .

وقال بعده : وهذا نص على استخلاف أبى بكر ، وثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها في مرضه : « لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فأكتب كتابا » فهذا نص على استخلاف أبى بكر على الأمة بعده صلى الله عليه وسلم[2] .

ونقل عنه محقق كتاب الصواعق المحرقة أنه قال في « نقط العروس » : والذي أدين الله به أنه وليّ الخلافة بعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونص عليه لإجماع أهل الاسلام على تسمية خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسم أحد بهذا الإسم أحدا غيره ، ولا من استخلفه على الصلوات في غزواته وصحبته[3] .

ب ـ الفريق الثاني من العلماء قالوا : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أبا بكر ولاغيره بنص جلي وإنما كانت هناك إشارات قوية تدل على

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠٢ .

(٢) الفصل ٤ / ١٠٧ .

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٦ .

أنه يرشح أبا بكر لذلك واستدلوا بكلامهم بما يلي :

١ ـ أخرج الشيخان عن عمر أنه قال حين طعن : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني « يعني أبا بكر » وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] .

٢ ـ وأخرج الحاكم وصححه أنه قيل لعلي ألا تستخلف علينا ؟ فقال ماستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم على خيرهم »[٢] .

والقائلون بعدم النص على خلافة أحد يعينه جمهور أهل السنة والمعتزلة والخوارج[٣] .

وقد أيد الإمام ابن تيمية رحمه الله هذا الرأي وانتصر له فقال وهو يناقش ابن حزم في رأيه القائل بالنص الجلي واستدلاله بحديث عائشة في قوله صلى الله عليه وسلم « لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك وأكتب كتابا » وتعقيبه بقوله : فهذا نص على استخلاف أبى بكر على الأمة بعده : يقول ابن تيمية : قلت بل هو نص على عدم استخلافه أيضا وإنما يدل على أنه رضى بأن يكون الخليفة بعده ، وعلم أن الأمة تجتمع عليه من بعده ، فسكت عن النص الجلي ، واكتفى بما تجتمع عليه الأمة ... وعمدة القائلين بالنص الجلي على أبى بكر تسمية الصحابة له « خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم » قالوا : وإنما يقال ذلك لمن استخلفه غيره ، واعتقدوا أن الفعيل بمعنى المفعول ، وليس كذلك ،

---

(١) البخاري في صحيحه / كتاب الأحكام / باب الاستخلاف ١٠٠/٩ ، ومسلم / كتاب الإمارة باب الاستخلاف وتركه ١٢٢/٢ .

(٢) المستدرك ٧٩/٣ قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) راجع في ذلك : المنتقى من منهج الاعتدال للذهبي ص ٥١ ، ولمع الأدلة للجويني ص١١٤، والاعتقاد للبيهقي ص١٦٩ ، والإنصاف للباقلاني ص ٦٤ .

بل يقال لمن استخلفه غيره خليفة فلان ، ولمن خلف غيره أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا »[1] هذا صحيح ، وصح قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل »[2] . وقال تعالى « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض »[3] . وقال « إني جاعل في الأرض خليفة »[4] البقرة ٣٠ ، وقال « ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض »[5] . أي خليفة عمن قبلك لا أنه خليفة عن الله كما تقول الاتحادية ... والتحقيق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وإنما دل المسلمين وأرشدهم إلى أبى بكر بأمور متعددة من أقواله وأفعاله ، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له ، وعزم أن يكتب له بالخلافة عهدا ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه ـ فلو كان اليقين مما يشتبه على الأمة لبينه بيانا قاطعا للعذر كما قال « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » على أن اتفاق الأمة مع رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغ من العهد اهـ[6] .

---

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم : البخاري في صحيحه / كتاب الجهاد / باب فضل من جهز غازيا ٤ / ٣٢ ، ومسلم / كتاب الإمارة / باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ٢ / ١٥٢ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه / كتاب الدوات / باب مايقول إذا خرج مسافرا عن عبد الله بن سَرْجِسْ وقال حسن صحيح ٥ / ٤٩٨ .

(٣) الأنعام ١٦٥ .

(٤) البقرة ٣٠ .

(٥) سورة (ص) ٢٦ .

(٦) منهاج السنة النبوية ١ / ١٣٩ ، والمنتقى للذهبي ص ٥٧ .

ومن ذهب إلى تأييد هذا الرأي أيضا الإمام ابن كثير رحمه الله حيث يقول « وثبت في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر : أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له : ألا تستخلف ياأمير المؤمنين ؟ فقال إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني – يعني أبا بكر – وإن اتركك فقد ترككم من هو خير مني – يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال ابن عمر : فعرفت حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مستخلف[1] . ومن تأمل ماذكرناه ظهر له إجماع الصحابة – المهاجرين منهم والأنصار – على تقديم أبي بكر وظهر برهان ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وظهر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينص على الخلافة عينا لأحد من الناس ، لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة ، ولا لعلي كما تقوله طائفة من الروافض ، ولكن اشار إشارة قوية يفهمها كل ذي لب وعقل إلى الصديق[2] .

ومن أيد هذا الرأي أيضا الإمام البيهقي رحمه الله فقال بعد أن أورد عدة أحاديث في فضل أبي بكر : « فهذه الأخبار ومافي معناها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن يكون الخليفة من بعده أبو بكر الصديق فنبه أمته بما ذكر من فضيلته ، وسابقته ، وحسن أثره ، ثم بما أمرهم به من الصلاة خلفه ، ثم الاقتداء به ، وإنما لم ينص عليه نصا لايحتمل غيره والله أعلم لأنه علم بإعلام الله إياه أن المسلمين يجتمعون عليه ، وأن خلافته تنعقد بإجماعهم على بيعته »[3] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٤٨ .

(٢) البداية والنهاية ٥ / ١٢٩ .

(٣) الاعتقاد ص ١٧٢ .

وبعد هذا العرض لوجهة نظر الفريقين نقول وبالله التوفيق :

لاتوجد حجة قاطعة تؤيد القائلين بالنص الجلي من النبي صلى الله عليه وسلم على أبى بكر رضى الله عنه ولو كان ذلك لقال النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر الخليفة عليكم بعدي وذلك مالا وجود له في خبر صحيح .

وهو مادفعهم إلى كثرة البحث والاستدلال والاستنتاج من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وليس في القرآن ولا في السنة نص جلي بما يقولون ، ولذلك فإني أؤيد الرأي القائل بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص على أحد بناء على الأدلة التي سبق ذكرها عن الأئمة وأضيف إلى ذلك مايلي :

١ ـ لو كان النص الجلي باستخلاف أبى بكر أو علي رضى الله عنهما موجودا لما ذهب المسلمون إلى السقيفة ، ولما كان هذا الاجتماع الذي تبارت فيه الخطباء ، وماطالب الأنصار بالخلافة ولا طالب بها المهاجرون ، وحيث قد ثبت اجتماعهم بالسقيفة ومباحثتهم في أمر الخلافة فدل ذلك على عدم وجود النص ، قال الحافظ في الفتح : واستدلوا بقول الانصار «منا أمير ومنكم أمير» على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وبذلك صرح عمر ، ووجه الدلالة أنهم قالوا ذلك في مقام من لايخاف شيئا ولايتقيه .. قال القرطبي في المفهم : لو كان عند أحد من المهاجرين والأنصار نص من النبي صلى الله عليه وسلم على تعيين أحد بعينه للخلافة لما اختلفوا في ذلك ولاتفاوضوا فيه ، قال : وهذا قول جمهور أهل السنة[١] .

---

(١) فتح الباري ١٤ / ١٦٧ .

٢ ـ لو كان النص على خلافة الصديق موجودا لما استدل عمر وبقية الناس بالقياس :

فعند أحمد عن ابن مسعود قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير فأتاهم عمر فقال : يامعشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يؤم بالناس ؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقال الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبابكر(١) .

وأخرج الحاكم عن أبي سعيد الخدري قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول : يامعشر المهاجرين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل رجلا منكم قرن معه رجلا منا فمنا أمير ومنكم أمير ، فأتاهم عمر : فقال : ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يؤم بالناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقال الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر »(٢) .

ثم وجدناهم يقولون في استدلالهم على خلافة الصديق : « رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا »(٣) .

٣ ـ لما تولى أبو بكر الخلافة وخطب الناس لم يقل إنه تولى الخلافة بنص وإنما قال : « والله ماكنت حريصا على الإمارة يوما ولا لليلة قط ، ولا كنت راغبا فيها ، ولاسألتها الله في سر ولا علانية ، ولكني أشفقت من الفتنة ، ومالي في الإمارة من راحة ، ولقد قلدت أمرا عظيما مالي به من طاقة ولايد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٦/١ ، والنسائي في سننه / كتاب الإمامة / باب ذكر الإمامة والجماعة ـ إمامة أهل العلم والفضل ٢ / ٥٨ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب معرفة الصحابة باب أبى بكر رضى الله عنه وقال صحيح ووافقه الذهبي في التلخيص ، ٣ / ٦٧ .

(٣) راجع الاعتقاد للبيهقي ص ١٧٧ .

إلا من عند الله ، فقال الزبير : ماغضبنا إلا أن أخرنا عن المشورة ، وإنا نرى أبابكر لصاحب الحق بها ، إنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شرفه وخيره ، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي[1] .

٤ ـ أخرج ابن إسحاق عن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة : « أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون » فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير مني . فعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا ، وكان عمر غير متّهم على أبى بكر[2] .

٥ ـ أخرج عبد الرزاق من طريق الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : خرج يومئذ علي بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : ياأباحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبح بحمد الله بارئا ، قال فأخذ العباس بيده ثم قال :

ياعلي أنت والله عبد العصا بعد ثلاث : أحلف بالله لقد عرفت الموت من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا عرفناه ، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس : قال فقال له علي : إني والله لاأفعل ، والله لئن منعناه لايؤتيناه أحد بعده[3] .

---

(١) أخرجه البيهقي في الاعتقاد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ص ١٧٩ .

(٢) ابن هشام ٤ / ١٦٠٨ .

(٣) المصنف ٥ / ٤٣٥ وابن هشام ٤ / ١٠٦٩ .

٦ ـ وبعد هذا كله نقول : إن كل مايمكن استنتاجه في هذا الأمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص على خلافة أحد بعينه إلا أنه أشار بأحاديثه ومواقفه الكثيرة مع أبى بكر على أنه يحبه ويقدمه فكأنه بذلك يرشد المسلمين إلى استخلاف أبى بكر بهذه العبارات القوية دون أن يصرح بذلك ومن ثم فإنه إذا كان نصب الخليفة واجبا على المسلمين فإن اختياره ومبايعته من أهل الحق والعقد تكفي لصحة خلافته .

أبو بكر في السقيفة :

تجتمع في دنيا الناس اليوم مجالس نيابية تمثل مايطلق عليه «الديمقراطية» ويمتدح كثير من الكاتبين صورا من هذه «الديمقراطيات» ويفتخر أهل المدنية الحديثة بما وصلوا إليه في هذا المجال .

وقد ترى عراكا بين نواب حاكمين وآخرين ممن يسمون «معارضين» فترى الفخر يرسم بسمته على وجوه الجرائد بما وصلوا إليه من حرية الرأي ، وقد يكون كل ذلك تخبطا لاهداية فيه .

ومع ذلك فالقوم لاينفكون مادحين لهذه المظاهر الخادعة ، ويرفعون لواء ذلك بين الناس بواسطة أجهزة الإعلام المختلفة .

ولكن نفرا من الناس لم تعجبهم حرية الرأي والشورى الحقيقية في الإسلام !! بل تراهم لحقدهم الدفين قد قلبوا ميزان الحق ، واعتبروا ماحدث في السقيفة عارا وشنارا لاينبغي أن يحدث به الناس !! فكيف يناقش أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه القضية الهامة في اختيار الخليفة هذه المناقشة الحرة ؟ وكيف يجرؤ البعض على انتقاد كلام الآخرين ؟ .

ومن الناس من جعل اجتماع السقيفة تم عن اتفاق بين الثلاثة الأجلاء : أبى بكر ، وعمر ، وأبى عبيدة رضى الله عنهم ليتولى الخلافة أولا أبو بكر ثم يعطيها لهما !! .

يقول فيليب حتى : ولعل مبايعة أبى بكر كانت نتيجة اتفاق بينه وبين عمر وأبى عبيدة الكتلة الثلاثية التي أدارت شئون الإسلام وهو بعد في مهده !![1] .

ومنهم من جعل اجتماع السقيفة اجتماع خيانة حيث سرقت الخلافة من سيدنا علي رضى الله عنه وأعطيت للصديق ، فكفر الموجودون في السقيفة !! بل كفرت الأمة سوى نفر قليل !![2] .

ومادرى هؤلاء أن اجتماع السقيفة كان إعلانا بنجاح تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حيث استطاعوا أن ينهوا أخطر مشكلة واجهت المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في ساعات وأن يجنبوا الأمة خطر الاختلاف الذي يعرض الدولة الإسلامية لزلزال مدمر يمنح أعداءها المتربصين بها فرصة الانقضاض عليها ـ وماأكثرهم ـ في ذلك الحين .

وانظر إليهم رضى الله عنهم وهم ينقادون للحق ، ويسمع كل واحد منهم للآخر ، ويغلظ البعض منهم وتخرج منه بعض الكلمات الشديدة لإخوانه ، لكنهم سريعا استسلموا للحق ظهرت أدلته ، ووضحت طريقته .

---

(١) تاريخ العرب / فيليب حتي ٢ / ٦٧٤ .

(٢) راجع في ذلك كتابَيْ : المراجعات ، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين الموسوي لتقف على مدى البهتان الذي فيه الشيعة في هذا الأمر .

وقد أخرج الإمام البخاري رضى الله عنه في صحيحه قصة السقيفة وماحدث فيها :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عبد الرحمن بن عوف حدثه بمنى في آخر حجة حجها عمر رضى الله عنه فقال : إن رجلاً أتى إلى عمر بن الخطاب فقال : إن فلانا يقول : لو مات عمر بايعت فلانا ، فقال عمر : إني قائم العشية إن شاء الله في الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط يريدون أن يغصبوهم أمرهم قال عبد الرحمن : فقلت ياأمير المؤمنين لاتفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم الذين يغلبون على مجلسك إذا قمت في الناس ، فأخشى أن تقول مقالة يطير بها أولئك فلا يضعونها في موضعها ، ولكن حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة ، وتخلص بعلماء الناس وأشرافهم فتقول ماقلت مُتمكنا فيعوا مقالتك ، ويضعونها في موضعها ، قال عمر : لئن قدمت المدينة صالحاً لأكلمن الناس في أول مقام أقومه ، فلما قدمنا المدينة في عقب ذي الحجة ـ وكان يوم الجمعة ـ عجلنا الرواح صكة الأعمى ـ قلت لمالك ـ وماصكة الأعمى ؟ قال إنه لايبالي أي ساعة خرج لايعرف الحر والبرد أو نحو ذلك ـ فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقني فجلست حذاءه تحك ركبتي ركبته ، فلم أنشب أن طلع عمر فلما رأيته قلت ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة ماقالها عليه أحد قبله ، قال : فأنكر سعيد ذلك قال : ماعسيت أن يقول مالم يقل أحد ؟ فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس : إنى قائل مقالة وقد قدر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلى فمن وعاها وعقلها فيحدث بها حيث انتهت

به راحلته ، ومن لم يعها فلا أحلّ له أن يكذب علي : إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها ووعيناها وعقلناها ، ورجم النبي صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس الزمان أن يقول قائل : لانجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عز وجل ، فالرجم في كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف ، ألا وإنا قد كنا نقرأ « لاترغبون عن آبائكم فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم » ألا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتطروني كما أطري عيسى بن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله » .

وقد بلغني أن قائلا منكم يقول : لو مات عمر بايعت فلانا ، فلا يغترن امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت ألا وإنها كانت كذلك إلا أن وقى شرها[1] وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر ، وإنه كان من خيرنا حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتخلف عنا الأنصار بأجمعهم في سقيفة بني ساعده ، واجتمع

---

(١) معنى فلتة : هي الليلة التي يشك فيها هل هي من رجب أو شعبان أو هل هي من المحرم أو صفر !! كان العرب لايشهرون السلاح في الأشهر الحرم ، فكان من له ثأر تربص فإذا جاء تلك الليلة انتهز الفرصة فيتمكن ممن يريد إيقاع الشر به وهو آمن ، فيترتب على ذلك الشر الكثير ، فشبه عمر خلافة أبى بكر بتلك الليلة ، والجامع بينهما انتهاز الفرصة ، والفارق بينهما أنه كان ينشأ عن أخذ الثأر الشر الكثير ، فوقى الله المسلمين شر ذلك ، فلم ينشأ عن بيعة أبى بكر شر بل أطاعه الناس كلهم من حضر ومن غاب . قاله الحافظ في الفتح ١٢/١٢١ ، وانظرها من مصنف عبد الرزاق للأعظمي ١٢ / ٤٤٢ .

إليَّ أبو بكر فقلت له : ياأبابكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذي صنع القوم فقالا : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ فقلت : نريد إخواننا من الأنصار ، فقالا : لاعليكم أن لاتقربوهم ، واقضوا أمركم يامعشر المهاجرين ، فقلت : والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعده فإذا هم مجتمعون ، وإذا بين ظهرانهيم رجل مزمل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ قالوا : وجع ، فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال : أما بعد : فنحن أنصار الله ، وكتيبة الاسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط نبينا ، وقد دفت منكم دافة يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويحضنونا من الأمر .

فلما سكت أردت أن أتكلم ، وكنت قد زوَّرتُ مقالة[1] أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبى بكر ، وكنت أداري منه بعض الحدة ـ وهو أحكم مني وأوقر ـ والله ماترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وأفضل حين سكت ، فقال : أما بعد : فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ، وماتعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، وهم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويد أبى عبيدة بن الجراح ـ فلم أكره مما قاله غيرها ـ كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لايقربني ذلك إلى إثم أحب إليَّ أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر إلا أن تقر نفسي عند الموت .

---

(١) زوَّرتُ : أي حسنت وأعددت وقومت ومنه قول رؤبة : امرؤ زوَّر نفسه أي قومها ـ انظر الصحاح للجوهري ٢ / ٦٧٤ .

فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المُحَكَّك ، وعذيقها المُرَجَّب[1] منا أمير ومنكم أمير ، فقلت لمالك : مايعني جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ؟ قال : كأنه يقول : أنا داهيتها ، قال : فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف فقلت : ابسط يدك ياأبابكر فبسط يده فبايعته ، وبايعه المهاجرون ثم الأنصار ، ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم : قتلتم سعدا !! فقلت : قتل الله سعدا ، قال عمر : والله ماوجدنا فيما حضرنا أمرا هو أوفق من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فإما أن نتابعهم على مالانرضى ، وإما أن نخالفهم فيكون فساد ، فمن بايع أميرا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذي بايعه تغرة أن يقتلا[2] .

والمدقق في الحديث يجد الأنصار يطلبون أن يكون الخليفة منهم لأنهم أنصار الله وكتيبة الإسلام والمهاجرين يسمعون كلام الأنصار فيقوم منهم الصديق رضى الله عنه يوضح الأمر للأنصار فأحسن وأجاد حتى قال عمر رضى الله عنه : والله ماترك ـ أي الصديق ـ من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وأفضل .

---

(١) جذيلها المحكك : تصغير جِذْل ـ وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتك به ، وهو تصغير تعظيم أي أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود ، وعذيقها المرجب : تصغير العِذْق ـ وهو النخلة الصغيرة وهو تصغير تعظيم ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٥١ ، والمرجب التي ثقل حملها من النخل فتسند بعود .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحة : كتاب الحدود / باب رجم الحبلى ٨ / ٢١١ ، وأحمد في المسند ٣٢٣/١ ، والطبري في التاريخ ٢٠٦/٣ ، ومعنى « تغرة أن يقتلا » أي حذرا من القتل ، كما أخرجه البيهقي في الاعتقاد عن عائشة ص ١٧٤ . هذا وقول عمر في سعد بن عبادة « قتله الله » لايريد به الأمر بقتله بل هو دعاء عليه . قاله الحافظ في الفتح ١٦٧/١٤ وهو مشابه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث « ثكلتك أمك يامعاذ » فهو دعاء غير مراد المعنى .

وفي كتب التاريخ بعض التفاصيل لكلام أبي بكر منها :

١ ـ وقف الصديق بلباقة يخاطب الأنصار فاعترف بفضلهم وسابقتهم ، ولم يغمطهم حقهم بل زاد في ذكر فضائلهم عما ذكروه لأنفسهم وكان ما قال : أما بعد : فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم قال عنكم : « استوصوا بالأنصار خيرا »[(١)] .

٢ ـ ثم نرى له استنباطا رائعا بل وملزما من القرآن الكريم حيث قال للأنصار : إن الله سمانا ـ أي المهاجرين ـ الصادقين ، يقصد قوله تعالى «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»[(٢)] .

وسماكم ـ أي الأنصار ـ المفلحين ـ يقصد قوله تعالى « والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »[(٣)] .

ثم قال لهم : وقد أمركم أن تكونوا معنا حيث كنا فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »[(٤)] .

هذا الاستنباط القوي جعل القلوب ممهدة لقبول الحق والانقياد له . يقول القاضي أبو بكر ابن العربى رحمه الله : فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه وبايعوا أبا بكر رضى الله عنه[(٥)] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص . وارجع في أمر السقيفة إلى . الطبري ، البداية والنهاية ، الكامل .

(٢) سورة الحشر ٨ .

(٣) سورة الحشر ٩ .

(٤) سورة التوبة ١١٩ .

(٥) العواصم من القواصم ص ٥٠ .

٣ ـ ونرى الصديق رضى الله عنه يسوق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القول الفصل ويقول للأنصار : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الأئمة من قريش »[1] فانصاع الجميع وتمت البيعة .

الإجماع على بيعة الصديق رضى الله عنه :

بعد هذا العرض لما دار في السقيفة يصل الباحث إلى قناعة كاملة بأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أجمعوا على بيعة الصديق بيعة عامة ، وأنه رضى الله عنه ولى الخلافة غير منازع من أول يوم ، ولم نر واحدا أثار النزاع في وجه الصديق أو ناهضه أو حزب الأحزاب ضده .

وقد ثبت الإجماع على بيعة الصديق بأقوال العدول من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان :

١ ـ أخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : مارأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، ومارآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ ، وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبا بكر رضى الله عنه[2] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣ / ١٢٩ عن أنس بن مالك ، وأخرجه كذلك عن طريق سليمان ابن داود عن أبى برزة مرفوعا ٤ / ٤٢١ . وقال فيه الحافظ في الفتح : « حديث الائمة من قريش » قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيا لما بلغني عن بعض فضلاء العصر ذكروا أنه لم يرو إلا عن أبى بكر الصديق ١٤ / ١٦٧ .

(٢) المستدرك / كتاب معرفة الصحابة ، قال حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص ٣ / ٧٩ .

يقول ابن حجر الهيثمي رضى الله عنه تعليقا على قول ابن مسعود رضى الله عنه :

« فانظر إلى ماصح عن ابن مسعود ، وهو من أكابر الصحابة وفقهائهم ومتقدميهم من حكاية القول الإجماع من الصحابة جميعا على خلافة أبى بكر ، ولذا كان هو الأحق بالخلافة عند جميع أهل السنة والجماعة في كل عصر منا إلى الصحابة رضوان الله عليهم وكذلك عند المعتزلة وأكثر الفرق ...

وقد أخرج البيهقي عن الزعفراني قال : سمعت الشافعي يقول : أجمع الناس على خلافة أبى بكر ، وذلك أنه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبى بكر فولوه رقابهم[١] .

٢ ـ قال البيهقي بعد ماذكر الأحاديث الدالة على بيعة سيدنا علي رضى الله عنه للصديق : .. وقد صح بما ذكرنا إجتماعهم على مبايعتة مع علي بن أبى طالب رضى الله عنه .

فلا يجوز لقائل أن يقول :

كان باطن علي بن أبى طالب أو غيره بخلاف ظاهره ، فكان علي أكبر محلا وأجل قدرا من أن يقدم على هذا الأمر العظيم بغير حق أو يظهر للناس خلاف مافي ضميره ، ولو جاز هذا في اجتماعهم على خلافة أبى بكر لم يصح إجماع قط ، والإجماع أحد حجج الشريعة ولايجوز تعطيله بالتوهم[٢] .

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٣ .
(٢) الاعتقاد ص ١٧٩ .

٣ ـ قال النووي رحمه الله تعليقا على حديث عائشة رضى الله عنها من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف ؟ قالت : أبو بكر فقيل لها ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت عمر ، ثم قيل لها من بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى هذا » قال : فيه دلالة لأهل السنة أن خلافة أبي بكر ليست بنص من النبي صلى الله عليه وسلم على خلافته صريحا بل أجمعت الأمة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضيلته(١) .

٤ ـ قال سيف الدين الآمدي رحمه الله :

« ولا خلاف فيما بين أهل الحق أن أبابكر كان إماما حقا ، وذلك باتفاق المسلمين على إقامته ، واجتماع أهل الحل والعقد على إمامته ، واتباع الناس له في أيام حياته ، وموافقة الصحابة له في غزواته ، ونصبه للحكام والولاة ، وتنفيذ أوامره ونواهيه في البلدان ، وذلك مما لاقبل بمدافعته ، ولاسبيل إلى مجاحدته ، وأن من تخلف عن بيعته في مبدأ الأمر مثل علي وغيره لم يكن عن شقاق ونفاق ، وإنما كان لعذر وطروء أمر ، وإلا فلو كان ذلك للشقاق ، والخروج عن الوفاق لأمر يكرهونه ولايرتضونه ، لقد كان ذلك مما يسارعون إلى إنكاره ، ويبالغون في إظهاره ، ولا سيما في حق الصحابة الذين شاهدوا التنزيل ، وعرفوا التأويل ، وكانوا مع ماهم عليه من قوة اليقين والصلابة في الدين ، لايراقبون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لومة اللائمين ، ولاخوف المخوفين ، ولو كان ذلك مما ظهر ، لقد كانت العادة مما تحيل تطابق الأمة على نقله ، مع توفر الدواعي عليه ، وصرف الهمم إليه ، واتفاق الأمة على ذلك مما

---

(١) مسلم بشرح النووي / كتاب فضائل الصحابة / باب فضائل أبى بكر الصديق ١٥/١٥٣ .

يدل ضرورة على كونه أهلا للإمامة ، ومستجمعا لشرائطها أيضا ، ثم كيف ينكر ذلك مع ماعرف من نسبه ، وعدالته ، وعلمه ، وشجاعته ، وتصرفه في البلاد ، وإصلاح نظام العباد ، بالآثار الدالة عليها ، والعلامات الواضحة المشيرة إليها ، على ماتواترت به الأخبار ، وتتالت به الآثار ، على ألسنة الثقات الأخيار ، وغير ذلك مما يكل عنه اللسان ، ويتقاصر عن تسطيره البيان ، فوجب الاكتفاء بشهرتها عن ذكرها(١) .

البيعة العامة :

بعد بيعة السقيفة يوم الاثنين ـ يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جلس الصديق رضى الله عنه يوم الثلاثاء على المنبر واجتمع المهاجرون والأنصار ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ماكانت مما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهده إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنني قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا ـ يقول ـ يكون آخرنا ـ وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

---

(١) غاية المرام في علم الكلام ص ٣٨٧ .

فتكلم أبوبكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال :

« أيها الناس أني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولاتشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء .

أطيعوني ماأطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[1] .

---

(١) ابن هشام ٤ / ١٠٧٥ . وأخرجه البيهقي في الاعتقاد من طريق الزهري عن أنس بن مالك رضى الله عنه ص ١٧٦ . وسوف نناقش هذه الخطبة عند الحديث عن السياسة الداخلية لحكومة الصديق رضى الله عنه إن شاء الله تعالى ص .

الفصل الثاني

الدعوة العملية في حياة الصديق الخليفة

الدعوة العملية :

جاء الدين الإسلامي دينا كاملا ، أتم الله عز وجل فيه النعمة ، ورضيه بكماله وتمام النعمة فيه للمسلمين دينا ، ومن كمال هذا الدين أنه لايعرف التفرقة بينه وبين الدنيا .

فكما أن الانسان الحي لايعرف الفصل بين الجسد والروح وإلا انتهت الحياة فكذلك الدين لايعرف الفصل بينه وبين الدنيا ، إلا إذا جاز الفصل بين الروح والجسد ، وذلك هو الموت المحقق .

إن الإسلام دعوة تخدمها دولة ، وتكرس نظمها المتعددة ـ سياسية ، واقتصادية ، وتعليمية ، وإعلامية ، واجتماعية ، وحربية ، لإقامة بنيانه ، وحراسة أركانة .

وبناء على هذا تكون الدعوة العملية هي :

تحويل ماجاء به الإسلام في نظمه المتعددة إلى واقع عملي حي يشاهده الناس ، ويحسون مافيه من كمال ، ومافي نظمه من قدرة على قيادة الدنيا ، وإسعاد البشرية ، وعلى هذا فكل تنفيذ صحيح لأمر من أمور الإسلام دعوة عملية لهذا الدين ، لأنه يصبح عامل جذب لأنظار الناس إليه .

والناس يتأثرون بالواقع المشاهد تأثرا لايصل إليه أي كلام نظري مهما تعددت طرق البيان والإقناع .

إن الإنسان إذا ظل ساعات عديدة يشرح للناس حلاوة العسل ، والشفاء الذي فيه ، والفوائد الجمة التي يجنيها آكله ، لايصل إلى إقناع يشبه اقتناعهم لو أنه أعطى كل واحد ملعقة من عسل ، إذن لكفت عن كل كلام ، ووفرت عليه طاقة هائلة في سبيل الوصول إلى إقناعهم .

أ ـ ومن ثم إذا رأى الناس نظاما سياسيا يحترم آدمية الإنسان ، ويقوده في رحمة وعدل ، ويحافظ على كرامته ، ويعطيه حقوقه في شورى لاتعرف التسلط ، وحرية لاتعرف الإرهاب ، وميزان عادل للتفضيل هو التقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[1] ، أو نظاما سياسيا حكيما فيه العزة والقوة ، والرشد السياسي ، وتلك دعوة عملية .

ب ـ وإذا رأوا نظاما اقتصاديًا سليما يعمل على توفير الضرورات المادية اللازمة للإنسان من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ، دون التفريق بين غني وفقير ، وكبير وصغير ، ويعمل على إزالة الربا ، وحماية المجتمع من آثاره المدمرة ، ويعمل على نشر العدل الاقتصادي والرشد المادي شاهدوا نظاما صالحا وعادلا .. وتلك دعوة عملية .

جـ ـ وإذا عاشوا تحت لواء نظام اجتماعي يقوم على بناء الأسرة الصالحة التي تؤسس على اختيار سليم ، بمقاييس ثابته هي الدين والتقوى « ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين »[1] وجنوا ثمرة ذلك مودة ورحمة وسكنا واستقرارا ، وأثمر ذلك ثمرات طيبة من البنين والبنات الذين يحترمون الوالدين ويبرونهم ، ويسيحون في الأرض لنشر دعوة الإسلام ، وبث العدل والسلام في دنيا الناس ، وتحقيق الرشد الاجتماعي . حينئذ يرون نظاما اجتماعيا متفردا ومتميزا في وسائله التربوية وأهدافه الاجتماعية . وتلك دعوة عملية .

---

(١) سورة الحجرات ١٣ .

(٢) سورة القصص ٢٦ .

د ـ وإذا عايشوا نظاما تعليميا يقوم على إتاحة الفرصة للمواهب للإبداع دون أن يقيدها شرط المجموع المرتفع أو يحول بينها وبين الانطلاق نظام للقبول في حقل التعليم مما يساعد على نمو هذه المواهب وانطلاقها في الكون لتقابل نعم الله وتسخرها لخير الإنسانية ، إذا أتم لهم ذلك شاهدوا دينا قيما يعلي قيمة العلم ، وينشره ، ويربي الأجيال ، ويحقق الرشد العلمي .. وتلك دعوة عملية .

هـ ـ وإذا شاهد الناس ، وسمعوا نظاما إعلاميا يقوم على بث الفضيلة ، وتعليم الناس الخير ، ودفع عجلة التقدم بالأفكار الصحيحة ، والثقافة السليمة ، والبعد عن نداء الغرائز ، وإثارة الشهوات الكامنة ، وتحويل مسار المجتمع إلى العطاء المنتج للخير ، وقيادتهم إلى الانتفاع بأوقاتهم في ترويح مشروع بعيد عن اللهو واللغو ، وتوجيه عواطفهم الوجهة الصحيحة ، لشاهدوا نظاما إعلاميا ، طاهرا ، نظيفا ، يحقق الرشد الثقافي .. وتلك دعوة عملية .

و ـ وإذا رأوا نظاما حربيا قويا ، يحمي الديار ، ويحرس الثغور ، ويرد كيد العدو ، ويحفظ بيضة الدولة من كيد الكائدين ، ويجاهد لتبليغ الدعوة ، ونشر العدل والسلام ، رأوا نظاما يحقق العزة والقوة ، ويقف خلف الدعوة يحميها ، ويمهد لها الطريق ، وتلك دعوة عملية .

وننطلق بعد هذا البيان للبحث عن الدعوة العملية في حياة الصديق رضى الله عنه لنرى كيف أقام الدولة التي تخدم الدعوة ؟

وسوف يشتمل هذا الفصل علي المطالب الآتية :

المطلب الاول : النظام السياسي للدولة في عهد الصديق دعوة عملية .

المطلب الثاني : إنقاذ جيش أسامة رضى الله عنه . دعوة عملية .

المطلب الثالث : حروب الدفاع عن الدولة والدعوة بقتال المرتدين دعوة عملية .

المطلب الرابع : الفتوحات الاسلامية . دعوة عملية .

المطلب الأول :

النظام السياسي في عهد الصديق رضى الله عنه دعوة عملية .

أ ـ شكل الحكومة :

أظهر حرص المسلمين على اختيار خليفة في اجتماع السقيفة أهمية الخلافة في حياة المسلمين ، وأنها تعني الحفاظ على كيان الأمة ، إذ لابد لكل أمة اجتمعت على دين أو أمر عظيم ، من رئيس يضم شملها ، ويقيم أحكام شرائعها ، ويدبر سياسة ملكها ، لاسيما والإسلام جاء كاملا يشمل الدين والدنيا .

وقد كان المقصد الأول من مقاصد المسلمين ، وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار اختيار خليفة يحمي الدين ويحرسه ، يأخذ بيد قوية كل من تسول له نفسه العبث بحياة المسلمين .

وقد تم اختيار أبى بكر رضي الله عنه كما رأينا بالشورى في حرية تتضاءل بجانبها أمثل صور الانتخاب في الدول اليوم .

وكانت حكومة الصديق رضى الله عنه هي حكومة الإسلام المتفردة المتميزة التي لاتشبهها حكومة في مبادئها وأصولها .

حيث إن الاسلام جاء وكثير من الأمم يحكمها ملوك وزعماء ، وأباطرة زعموا أنهم آلهة ولهم القدسية التي ليست لغيرهم على نحو ماكان من الفراعنة وغيرهم إذ نادى أحدهم قائلا « أنا ربكم الأعلى »(١) .

وبعد الإسلام ظلت أوربا إلى القرن الخامس عشر الميلادي تقبل الآراء القائلة بأن الحكام ظل الله في الأرض ، وقام من الكهان والرهبان من أصدر الفتوى بأن للملوك حقا مقدسا ، وأن أوامرهم واجبة النفاذ لأنهم نواب الله !!

---

(١) سورة النازعات ٢٤

وأن كلامهم لاينقص !! بل ظل هذا الهراء مقبولا عند بعض الأمم حتى القرن السابع عشر الميلادي ، ولم تستطع الشعوب أن تتغلب عليها مع انتشار العلم ، وتقدم الحضارة إلا بالثورات العنيفة التي ذهبت فيها أرواح الألوف بل عشرات الألوف من الناس .

هذه المبادئ التي سادت العالم دهرا طويلا ، والتي كانت تسود أوربا إلى مهد قريب هي التي أنكرها سيدنا أبو بكر بعد توليه الخلافة حيث ناداه الناس « ياخليفة الله » فقال : لست خليفة الله ، ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا راض به ، أنا راض به ، أنا راض به »[1] .

إنه رضى الله عنه بذلك يريد أن يقطع الطريق على كل من يظن أن الخلافة في الاسلام تشبه هذه الحكومات المتسلطة التي تجعل من الحاكم جبارا يضع نفسه موضع الألوهية ، والنيابة عن الله في الأرض .

ولكن مانوع الحكومة وشكلها في عهد الصديق رضى الله عنه ؟

هل هي « ديموقراطية » ؟ أم « ثيوقراطية » ؟ أم « أتقراطية » ؟ أم « أرستقراطية » .

١ ـ إن الديمقراطية كلمة تعني في أصل الوضع أن يكون الحكم للشعب والتشريع له !! وبذلك لاتهتم بقضية الإيمان ، ولاتقدس أمر الحلال والحرام ، بل تتيح للأغلبية إصدار ماتراه مناسبا من القوانين ولو كان تحليلا لحرام أو تحريما لحلال !!

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ١ / ١٠ عن ابن أبي مليكة من طريق موسى بن داود عن نافع بن عمر ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات من طريق وكيع بن الجراح عن نافع بن عمرو ٣ / ١٨٣ وسندهما حسن .

ولكن الإسلام يجعل الشورى نظاما في الحكم يدور مع الإسلام حيث دار ، ولايغير من أحكام الله عز وجل .

ولذلك لايصح إطلاق هذا المسمى على حكومة الصديق رضى الله عنه . «فليس من المحقق أن الحكومة الإسلامية توصف بالديمقراطية على المعنى الذي يفهم من الكلمة في هذه الأيام ، ولكن من المحقق أن الحكومة الإسلامية على النحو الذي جاء به القرآن ، واتفق عليه المسلمون كانت بعيدة كل البعد من جميع أنواع الحكومات المعيبة أو جميع المبادئ التي تستند في تقرير حكم الشعوب على أساس معيب »[1] .

٢ ـ « الثيوقراطية » تعني الحكومة التي يدعي الحاكمون فيها صفة إلهية ، ومن المقطوع به أن حكومة الصديق لم تكن كذلك ، لأن حكم أبي بكر كان بعيدا كل البعد عن ذلك . بل كان الاتباع فيه واضحا ، وكان الخليفة يعلن أنه لايبغى سوى تنفيذ شرع الله ، وأنه بشر كبقية البشر سوى أنه أكثرهم تبعة ، ويخبر الناس أن شيطانه يعتريه ، وأنه لاقوة له في مدافعة ذلك إلا بالاستعانة بالله عز وجل ، ثم بمعاونة الأمة له في حق يقوم به ، ورده عن عوج قد يذهب إليه ، أو مخالفة يقع فيها .

وهو يستشير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من العلماء والأتقياء ، وذوي الرأي ، ولاينفرد دون الأمة بقرار ، فلا سلطان مطلق ، ولا ادعاء بأنه يحمل نيابة إلهية . بل هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس خليفة الله .

---

(١) عبقرية الصديق ص ١٢١ ، وراجع « نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة ص ١٣ »

إذن فلم يكن أبو بكر رضى الله عنه يستمد السلطة لحكمه من الله مباشرة بل معه الكتاب الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما ملزمان في أحكامهما للجميع ، يستوي في ذلك الحاكم والمحكوم فإن سار الحاكم على هديهما وجبت طاعته ، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٣ ـ « الأتقراطية » كلمة تعني حكومة الغزو المستبد المتسلط ، وهي بهذا الوصف غير موجودة في الاسلام قطعا لوجود الشورى ، فلا مكان لفرد يستعبد الناس ، ويتسلط عليهم ، ويعطي نفسه حق إصدار مايشاء من الأحكام .

إن الحاكم في الإسلام ـ كما أسلفنا ـ رجل يحمل التبعات الجسام ، ويحس بثقل الأمانة التي يحملها ، ويستعين بالله ثم بأهل الحل والعقد ، وينزل على مشورتهم .

٤ ـ « الأرستقراطية » كلمة تعني حكم الأقلية أو حكم الخاصة من الأعيان أو الأغنياء وهي بهذا المفهوم غير موجودة في الإسلام ، لأن بيعة الخاصة لاتغني عن بيعة العامة ، والمفروض على من بايع أن يطيع من بايعه ولو كان عبدا حبشيا مادام سائرا على الطريق الصحيح ، ولذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة »[1] .

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأذان / باب إمامة المفتون والمبتدع ١٧٨/١ ، والأحكام /باب السمع والطاعة مالم يكن معصية ٧٨/٩ عن أنس رضى الله عنه . ومسلم في صحيحه : كتاب الإمارة / باب البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع ١٤٢/٢ ، وباب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية عن أبى ذر ويحيى بن حصين عن جدته ٢ / ١٣٠ .

بعد هذا العرض لأنواع الحكومات نرى تفرد نظام الخلافة في عهد الصديق رضى الله عنه وتميزه عن غيره من أشكال الحكومات الأخرى ، مما يجعل له ذاتية خاصة ، فلا يطلق عليه معها مسميات مستوردة أتت من بيئات مختلفة في دينها ، وأخلاقها وعاداتها ، وتبقى إسلامية خالصة .

ب / التنظيمات الإدارية والمالية في حكومة الصديق رضى الله عنه :

مكونات الحكومة :

قام الصديق رضي الله عنه بتأليف هذه الحكومة كما يلي :

أولا : القضاء : وليه عمر رضى الله عنه وقال لأبى بكر : أنا أكفيك القضاء[(١)] .

ثانيا : المالية والخزانة : أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وقد قال لأبى بكر وأنا أكفيك بيت المال[(٢)] .

ثالثا : الولاة :

١ ـ عتاب بن أسيد رضى الله عنه ـ مكة المكرمة ـ استعمله النبي صلى الله عليه وسلم واستبقاه الصديق[(٣)] .

٢ ـ عثمان بن أبي العاص رضى الله عنه ـ الطائف ـ استعمله النبي صلي الله عليه وسلم واستبقاه الصديق[(٤)] .

---

(١) تاريخ خليفة ١/١٠٨ ، تاريخ الطبري ٣/٤٢٦ ، وراجع ابن سعد ٣/١٨٤ .

(٢) نفس المراجع السابقة .

(٣) عتاب بن أسيد بن أبي العيص : أسلم يوم الفتح ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مكة بعد الفتح لما سار إلى حنين ، وحج بالمسلمين سنة ثمان من الهجرة ، وكان رجلا خبيرا ، صالحا ، فاضلا . انظر في ترجمته : الطبري ٣/٤٢٧ ، ابن سعد ٢/١٤٥ ، أسد الغابة ٣/٣٥٨ .

(٤) عثمان بن أبى العاص ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف فأسلم ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف وهو الذي منع أهل الطائف من الرده فأطاعوه ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن أبا بكر هو الذي رشحه إماما لأهل الطائف لما وفدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من نباهته ، ومن ثم استبقاه على الطائف في خلافته ، انظر في ترجمة الطبري ٣/٤٢٧ ، أسد الغابة ٣/٣٧٢ .

٣ ـ المهاجر بن أبي أمية رضى الله عنه ـ صنعاء ـ استعمله أبو بكر عليها[١] .

٤ ـ زياد بن لبيد الأنصاري رضى الله عنه ـ حضرموت ـ استعمله النبي صلى الله عليه وسلم عليها وأقره أبو بكر[٢] .

٥ ـ معاذ بن جبل رضى الله عنه ـ الجَنَد ـ أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن للدعوة إلى الإسلام[٣] .

---

(١) المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات وبعثه الصديق لقتال من باليمن من المرتدين ، فلما فرغ سار إلى عمله ، فسار إلى ماذكره له أبوبكر ، وهو الذي فتح حصن «النُّجَيْر» بحضرموت ، انظر في ترجمة أسد الغابة ٤/٤١٤ ، الإصابة ٦/١٤٤ .

(٢) زياد بن لبيد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي البياضي ، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هاجر معه إلى المدينة وشهد بدرا والمشاهد كلها ، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على حضرموت . انظر في ترجمة الاستيعاب ١/٥٤٥ ، الإصابة ١/٥٤٠ ، أسد الغابة ٢/٢٧٤ . هذا وحضرموت إقليم مشهور في اليمن الجنوبي انظر المعالم الأثيرة ص ١٠١ .

(٣) معاذ بن جبل الصحابي الجليل : أحد السبعين الذين شهدوا العقبة ، وشهدوا بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس بالحلال والحرام ، وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن معلما . انظر ترجمته الاستيعاب ٣/٣٣٥ ، الإصابة ٦ / ١٠٦ ، أسد الغابة ٤ / ٣٧٦ ، والجَنَد بفتح الجيم والنون : أحد مخاليف اليمن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مسماه بجند بن شهران بطن من المعافري ، وبها مسجد بناه معاذ بن جبل ، وهي من المدن النجدية باليمن من أرض السكاسك بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخا ، ونسب إليها كثير من أهل العلم مثل محمد بن عبد الرحمن الجندي ، وطاوس بن كيسان وغيرهما . معجم ياقوت ٢/١٩٢ معجم ماastعجم ٢/٣٩٧ ـ المعالم الأثيرة ص ٩٢ .

٦ ـ أبو موسى الأشعري رضى الله عنه ـ زبيد ورِمَعْ ـ باليمن[١] .

٧ ـ العلاء بن الحضرمي رضى الله عنه ـ البحرين ـ ولاه النبي صلى الله عليه وسلم وأقره الصديق[٢] .

---

(١) أبو موسى الأشعري : عبد الله بن قيس : أسلم بمكة ، وقدم مع أهل الحبشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ـ أي وافق قدومه قدومهم ـ ولى البصرة لعمر ثم لعثمان فعزله ثم أعاده إليها حتى عزله علي رضى الله عنه ، انظر في ترجمة ابن سعد ١٠٥/٤ ، أسد الغابة ٢٦٧/٣ . هذا وزَبِيد بفتح أوله وكسر ثانيه : اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليه اسم الوادي فلا تعرف إلا به ، وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت أيام المأمون وينسب إليها جمع كبير من العلماء . معجم ياقوت ١٣١/٣، معجم مااستعجم ٦٩٤/٢ . ورِمَع بكسر أوله وفتح ثانيه : موضع باليمن ، وقيل جبل باليمن ـ وهو قرية أبى موسى الأشعري ببلاد الأشعريين قرب غسان وزبيد . معجم ياقوت ٦٨/٣ ، معجم مااستعجم ٦٧٤/٢ .

(٢) العلاء بن الحضرمي ، واسم الحضرمي عبد الله بن ضماد بن سلمى بن أكبر ، أسلم قديما ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى بالبحرين ومعه كتاب يدعوه إلى الاسلام ، وأرسله أبو بكر لقتال المرتدين بالبحرين . انظر في ترجمة ابن سعد ٣٥٩/٤ ، أسد الغابة ٧٤/٤ والبحرين ، تثنية بحر ـ بلد مشهور بين البصرة وعمان ـ صالح أهله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر عليهم العلاء ، وبعث أبا عبيدة بجزيتها ، معجم مااستعجم ٢٢٨/١ وقال ياقوت : البحرين اسم جامع لبلاد على ساحل البحر الهندي بين البصرة وعمان وهي قصبة هجر ، وقيل هجر قصبتها معجم ياقوت ٣٤٨/١ .

وقال صاحب المعالم الأثيرة : البحرين كان اسما لسواحل نجد بين قطر والكويت ، وكانت هجر قصبة وهي اليوم الهفوف وقد تسمى الحسا ، ثم اطلق على هذا الإقليم اسم الاحساء حتى نهاية العهد العثماني ، وانتقل اسم البحرين إلى جزيرة كبيرة تواجه هذا الساحل من الشرق وهي إمارة البحرين اليوم ، وجل مايحدد البحرين في كتب السيرة هو من شرق المملكة السعودية ـ المعالم الأثيرة ص ٤٤ .

٨ ـ عياض بن غَنْم رضى الله عنه ـ دومة الجندل ـ استعمله أبو بكر عليها[(١)] .

٩ ـ جرير بن عبدالله رضى الله عنه ـ نجران ـ استعمله أبو بكر عليها[(٢)] .

١٠ ـ يعلى بن أمية رضى الله عنه ـ خَوْلان من اليمن ـ استعمله أبو بكر عليها[(٣)] .

١١ ـ عبد الله بن ثُوَب رضى الله عنه ـ جُرَش من اليمن ـ استعمله أبوبكر عليها[(٤)] .

---

(١) عياض بن غَنْم الفهري : له صحبة ـ أسلم قبل الحديبية وشهدها ـ وكان صالحا ، فاضلا ، سمحا ، وهو الذي فتح بلاد الجزيرة ، وصالحه أهلها ـ انظر أسد الغابة ١٦٦/٤ . ودومة الجندل مدينة على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل ، وقد غزاها خالد ابن الوليد عند كونه بالعراق سنة ٢٠ هـ ، معجم ياقوت ٤٨٧/٢ . وهي الآن قرية من قرى الجوف شمال السعودية تقع شمال تيماء على مسافة ٤٥٠ كيلا ، المعالم الأثيرة ص ١١٧ .

(٢) نجران مدينة قديمة عرفت منذ تاريخ العرب الأول وتقع جنوب المملكة السعودية على مسافة ٩١٠ كيلا جنوب شرقي مكة . المعالم الأثيرة ص ٢٨٦ . والنجران في قلاعهم خشبة يدور عليها رتاج الباب وهي عدة مواضع منها نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة ، معجم ياقوت ٢٦٦/٥ ، معجم ما استعجم ٤ / ١٢٩٩ . هذا وجرير بن عبد الله اليجلى : أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما كما ذكر ابن الأثير لكن ابن كثير رجح أنه أسلم قبل سنه عشر . انظر في ترجمة أسد الغابة ٣٣٣/١ ، الإصابة ٢٤٢/١ .

(٣) يعلى بن أمية بن أبى عبيدة الحنظلي : أسلم يوم الفتح ، وشهد حنيناً والطائف ، وتبوك ، وكان جوادا معروفا بالكرم ، أسد الغابة ٣٣٣/١ ، الإصابة ٦٣٠/٣ .

وخَوْلان بفتح أوله ، وتسكين ثانيه وآخره نون : مخلاف من مخاليف اليمن منسوب إلى خولان بن عمرو الحميري السبأي . ياقوت ٤٠٧/٢ .

(٤) عبد الله بن ثوب : بفتح التاء والواو ، أبو مسلم الخولاني ، غلبت عليه كنيته ، قدم المدينة بعد ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أسلم قبل وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يره ، وهو من كبار التابعين ، وكان فاضلا عابدا ، ناسكا ، له فضائل كثيرة وجهاد عظيم ، أسد الغابة ١٩٢/٣ ، سير أعلام النبلاء ٤ / ٧ .

رابعا : القــواد :

١ ـ أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه[1] .

٢ ـ شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه[2] .

٣ ـ عمرو بن العاص رضى الله عنه[3] .

٤ ـ يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه[4] .

٥ ـ المثنى بن حارثة رضى الله عنه[5] .

---

(١) أبو عبيدة عامر بن الجراح القرشي الفهري : الصحابي الجليل ، أمين الأمة ، شهد بدرا والمشاهد كلها ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وقد عرض أبو بكر على الناس مبايعته يوم السقيفة ، كان من قواد الفتوحات في الجهة الشمالية « الشام » وله فضل عظيم في الجهاد ، وقد فتح دمشق ، الاستيعاب ٢/٣ ، أسد الغابة ١٢٨/٣ .

(٢) شرحبيل بن حسنة بن المطاع الكندي ـ حليف بني زهرة ـ نسب إلى أمه حسنة ، كان من مهاجرة الحبشة ، معدودا في وجوه قريش ، وقد سيره أبو بكر في فتوح الشام ، وكان أميرا على ربع من أرباع الشام لعمر بن الخطاب ، انظر في ترجمته الاستيعاب ١٣٧/٢ ، الإصابة ١٤١/٢ .

(٣) عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي ـ أمير مصر ، أسلم قبل الفتح سنة ثمان ـ وقيل بين الحديبية وخيبر ، ولاه النبي صلى الله عليه وسلم غزاة ذات السلاسل لمعرفته وشجاعته ، واستعمله على عمان ، وكان من أمراء الأجناد في الشام افتتح قنسرين ، وصالح أهل حلب ومبلج وأنطاكيه ، انظر في ترجمة الاستيعاب ٥٠١/٢ .

(٤) يزيد بن أبى سفيان صخر بن حرب القرشي الأموي : أسلم يوم الفتح ، وشهد حنينا ، واستعمله أبوبكر على حين وأرسله إلى الشام ، ولاه عمر فلسطين ، وكان يلقب بيزيد الخير ، انظر في ترجمة الاستيعاب ٦١٢/٣ ، الإصابة ٦١٩/٣ ، أسد الغابة ٤٩١/٥ .

(٥) المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني . له صحبة كما قال ابن حبان ، كان يغير على السواد فبلغ أبا بكر خبره ، فقال : من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ، ثم قدم على أبى بكر وطلب أن يولى على قومه فولاه أبو بكر فقدم العراق ، وأغار على أهل السواد وفارس وابتدأت بذلك فتوحات العراق ، كان شهما شجاعا ، ميمون النقيبة ، حسن الرأي ، أبلى بلاء حسنا لم يصل إليه أحد في العراق ، انظر ترجمة أسد الغابة ٦٠/٥ .

خامسا : الكاتبون[1] :

١ ـ علي بن أبى طالب رضى الله عنه[2] .

٢ ـ زيد بن ثابت رضى الله عنه[3] .

٣ ـ عثمان بن عفان رضى الله عنه[4] .

٤ ـ عبد الله بن الأرقم رضى الله عنه[5] .

---

(١) راجع الطبري ٤٢٦/٣ ، والوزراء والكتاب للجهشياري ص ١٠ .

(٢) علي بن أبى طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره على ابنته سيدة نساء العالمين ، أبو الحسنين ، وأول خليفة هاشمي . أول الناس إسلاما ، هاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها إلا تبوك حين استخلفه النبي على المدينة . فتحت خيبر على يديه ومناقبه أجل من أن تحصر ، انظر في ترجمة حلية الأولياء ٦١/١ ، الاستيعاب ٢٦/٣ ، الإصابة ٥٠١/٢ ، أسد الغابة ١٦/٤ .

(٣) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي ثم النجاري ، كان عمره حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة إحدى عشرة سنة ، شهد أحدا ، وقيل إنما بدأ بالخندق ودفع إليه النبي صلى الله عليه وسلم راية بني مالك بن النجار ، وكان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكتب بعده لأبى بكر وعمر ، أعلم الصحابة بالفرائض ، وهو الذي جمع القرآن في عهد أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما ، انظر في ترجمة أسد الغابة ٢٢٣/٢ .

(٤) عثمان بن عفان بن أبى العاص القرشي الأموي ـ أمير المؤمنين أبو عبدالله ، أسلم قديما على يد أبى بكر الصديق ، وهو ذو النورين ، ومن العشرة المبشرين بالجنة ، جهز جيش العسرة ، وجعل بئر رومة للمسلمين ، بايع له النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، أول من هاجر إلى الحبشة ، ومناقبه أجل من أن تحصر انظر في ترجمة ، أسد الغابة ٥٨٤/٣ ، الإصابة ٤٥٥/٢ .

(٥) عبد الله بن الأرقم بن أبى الأرقم أسلم عام الفتح ، وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم لأبى بكر وعمر وكان يجيب عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب الواردة إليه صلى الله عليه وسلم ، انظر في ترجمة الاستيعاب ٢٥٢/٢ ، الإصابة ٢٦٥/٢ .

٥ ـ حنظلة بن الربيع رضى الله عنه[1] .

٦ ـ معيقيب بن أبى فاطمة رضى الله عنه[2] .

سادسا : الحاجب : رشيد مولاه .

سابعا : المؤذن : سعد القرظ مولى عمار بن ياسر[3] .

وهكذا تظهر لنا براعة الصديق في اختيار حكومته من الرجال الصالحين الذين تظهر في كل واحد منهم ميزة الإتقان والتفوق . وتعلو فيه ملكة وموهبة منحها الله عز وجل له .

وبالتالي ندرك ماستفادته الدعوة عمليا من هذا الاختيار الموفق حيث أدى كل واحد عمله مخلصا ومتفانيا مما أدى إلى تكريس جهود هذه الحكومة لدفع عجلة الدعوة وخدمتها وتهيئة الظروف الصالحة لانطلاقها ونشرها في العالمين .

والأمة في حاجة ماسة إلى مثل هذا النظام الذي يجعل الدولة في خدمة الدعوة وبعد أن شكل الصديق حكومته نظمها في سلك إداري منسق كما يلي .

---

(١) حنظلة بن الربيع بن صيفي أبو ربعي : يقال له حنظلة الكاتب ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له ، وأرسله إلى أهل الطائف ، وشهد القادسية ، ونزل الكوفة ، انظر في ترجمة ابن سعد ٦/٥٥ ، أسد الغابة ٢/٦٦ ، الإصابة ٢/٤٣ .

(٢) معيقيب بن أبى فاطمة الدوسي : أسلم قديما بمكة ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدرا ، وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكتب لأبى بكر وعمر ، واستعمله عمر على بيت المال ، انظر في ترجمة ابن سعد ٤/١١٦ ، أسد الغابة ٥/٢٤٠ .

(٣) تاريخ خليفة ١/١٠٨، وراجع في ذلك الإدارة الإسلامية في عز العرب لمحمد كردعلي .

تنظيم الدولة :

من المعلوم أن الدولة في عهد الصديق رضي الله عنه سارت على ماكانت عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من نظمها ، وإن استجدت بعض الأمور التي استدعتها ظروف الحياة في ذلك الوقت .

ونستطيع بحمد الله تعالى - أن نضع معالم لنظام الدولة في ذلك العهد الراشد كما يلي :

١ ـ العمال :

أبقى الصديق رضي الله عنه على العمال الذين عينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على البلاد وأقرهم عليها ، وقد كان رضي الله عنه يرى أن لا اختيار فوق اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك أقرهم على ماهم عليه ، وقام بتعيين ولاة جدد اقتضى الأمر إرسالهم إلى أماكن تحتاج إلى ذلك .

٢ ـ القضاء :

علمنا مما سبق أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى القضاء للصديق رضي الله عنه وكان الصديق يقوم بذلك بنفسه في بعض الأحيان ، وقد كان القضاء العادل في عهده امتدادا لعهد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل شفاعة أسامه في المرأة المخزومية التي سرقت ، وأعلن على الملأ أن لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها »[١] ليؤكد العدل في القضاء فإن أبابكر سار على نفس الطريقة في تحري العدل في القضاء .

---

(١) الحديث متفق عليه : البخاري في صحيحه الحدود / باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ١٩٩/٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود / باب قطع السارق الشريف وغيره ٤٧/٢ .

والمعلوم أن للقضاء في حياة الامم شأنا عظيما ، وأثرا كبيرا يتحكم في رقيها أو تدنيها ، فإذا كانت له قواعد ثابتة لاتغيرها الأهواء ولاتتلاعب بها ، ولاتتحايل عليها العقول الخربة أدى ذلك إلى صلاح الأمة ، واطمئنان كل ذى حق إلى حقه ، فتروج الصناعات ، وتزيد الزراعات ، وتنجح التجارات ، ويعم الخير ، ويزيد الفضل ، حيث لاحكم لجائر وسلطة لظالم لأن الكل أمام القضاء العادل سواء .

لذلك تلجأ الحكومات المنحرفة التي تريد الاستمرار على الجور والاستبداد إلى القضاء ، فإن كان قويا ثابتا منعها من جورها ، وصدها عن سبيل الهوى ، وإن كان هشا ضعيفا استطاعت يد الظالم أن تعبث به ، وأن تحوله أداة قهر للأمة حتى يكون ظلمها للناس تحت ظل القانون أو القضاء ، وكم حدث في تاريخ البشرية من المآسي الرهيبة التي دمرت أمما ، وأهلكت حرثا ونسلا بسبب ذلك .

وقد أدرك الصديق رضى الله عنه هذه القضية فعين عمر رضى الله عنه قاضيا للدولة ، ووضح للناس في أول خطبة خطبها أساس التقاضي مبينا مايلي :

١ ـ أن الأصل في التقاضي الاحتكام إلى الكتاب والسنة .

٢ ـ أن الجميع أمام القضاء الإسلامي القائم على الكتاب والسنة سواسية فلا يهضم حق فقير لفقره ، ولاضعيف لضعفه ، ولاتعطى فرصة لغنى ليظلم الناس بسبب غناه وقوته .

٣ ـ أن الاجتهاد في طلب الأحكام والقضاء بها مشروع عند الحاجة أي عند عدم وجود نص .

٤ ـ أن التمسك بالشورى وعدم الانفراد بحكم أو بالقضاء أمر لازم حتى يصل الحاكم والقاضي إلى حكم سليم .

وقد أخرج البيهقي بسنده عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه مايقضي بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء ، فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا . فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك ، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبى بكر فيه قضاء ، فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلا دعا رؤوس المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر قضى به »[1] .

وقد حقق هذا القضاء العادل عدة نتائج طيبة في الأمة منها :

أ ـ شعور الناس بالأمن والسلام والطمأنينة على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأعراضهم .

ب ـ إظهار عدل الإسلام ، ومساواته بين الناس في الحقوق والواجبات مما يفتح عيون الأفراد والأمم إلى كماله وإسعاده للبشرية ، وقد كان ذلك سببا في دخول كثير من الناس في الإسلام .

جـ ـ منع الحكام من الجور والظلم حتى مع غير المسلمين ، وفي منع جور الحكام وظلمهم فرصة كبرى للأمة للإنتاج ، وللعقول للإبداع .

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه ـ باب مايقضي به القاضي ويفتي به المفتي ١١٤/١٠ وقال عنه الحافظ في الفتح : إسناده صحيح ٣٤٢/١٣ .

٣ ــ بيت المال :

من التنظيم المالي والإداري للدولة في حياة الصديق رضى الله عنه إقامة بيت المال وهو الخزانة العامة للمالية .

وقد جعل الصديق رضى الله عنه بيت المال عنده في السنح حين كان يقيم بها ، ولم يكن يحرسه أحد ، وحينما قيل له : ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجعل على بيت المال من يحرسه ؟ فقال : لانخاف عليه ، فقيل له : لم ؟ قال عليه قفل ... وكان يعطي مافيه حتى لايبقى فيه شيئا ، فلما تحول إلى المدينة حوله معه فكان بيت المال في الدار التي كان فيها[١] .

٤ ــ تنظيم الجيش :

ظل الجيش في عهد الصديق رضى الله عنه كما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى أنه لم يكن جيشا نظاميا بالمعنى المتعارف عليه اليوم ، وكان الناس يخرجون حين يدعوهم الخليفة إلى ذلك ، وكانت أرزاقهم متمثلة في الغنيمة التي تقسم بين المقاتلين زيادة على السلب الذي يحصل عليه المجاهد ، وكان طريقه التسليح في الجيش قائمة على أن يخرج كل جندي بسلاحه وفرسه ــ إن كان له ــ احتسابا لوجه الله سبحانه[٢] .

٥ ــ أرزاق العمال في الدولة :

كانت موارد بيت المال في عهد الصديق رضى الله عنه خمس الغنائم ، وصدقات المسلمين ، والفيئ ، وجزية أهل الذمة ، فكانت أرزاق العمال ومرتباتهم تخرج من ذلك .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢١٣/٣ عن طريق محمد بن عمر عن محمد بن يحيى بن سهل .

(٢) للمزيد من ذلك راجع « فن الحرب الاسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين » لبسام العسلي .

٦ ـ أمور وشئون الخليفة :

أ ـ منزل الخليفة : كان منزل الصديق رضى الله عنه عندما بويع له «بالسنح» عند زوجته حبيبة بنت خارجة ، وكان كذلك ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة ، وربما ركب على فرس له ، وعليه إزار ورداء ممشق ، فيوافي المدينة فيصلي بالناس فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح .

ب ـ خليفته في الصلاة : كان أبو بكر إذا حضر صلى بالناس ، وإذا لم يحضر صلى بهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه[١] .

جـ ـ يوم الجمعة عند الخليفة : يوم الجمعة في الإسلام له مكانته العاليه ، ومنزلته السامية ، فهو يوم عيد للمسلمين ، وفيه خطبة الجمعة ذات الأثر الخطير في توجيه الأمة ، وقد كان الخليفة إمام الجمعة وخطيبها . ومن ثم نجد الصديق رضى الله عنه يقيم يوم الجمعة «بالسنح» صدر النهار ، يصبغ لحيته ورأسه ، ثم يروح لقدر الجمعة فيجمع بالناس »[٢] .

د ـ رزق الخليفة : من المعلوم أن أبابكر رضى الله عنه كان تاجرا ذا مال وفير ، وقد أنفق الكثير من هذا المال في سبيل الله عز وجل وظل بعد بيعته أشهرا يغدو يوم السوق إلى السوق فيبيع ويبتاع ، وكانت له قطعة غنم تروح عليه ، وربما خرج هو بنفسه فيها ، وربما كفيها فرعيت له ، وكان ذلك فترة إقامته في السنح فلما تحول إلى المدينة وأقام بها أصبح ذات يوم وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق ، فلقيه عمر بن الخطاب فقال له : أين تريد ؟ قال إلى السوق ، قال : ماذا تصنع وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال فمن أين أطعم

---

(١) ابن سعد ١٨٦/٣ عن طريق محمد بن عمر ، ومحمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة عن عائشة .

(٢) نفس المرجع السابق .

عيالي ؟ قال : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم وكسوة الشتاء والصيف ، إذا أخلقت شيئا رددته وأخذت غيره ، فعرض له في كل يوم نصف شاه .

وفي رواية ابن سعد أنه قال : لاوالله مايصلح أمر الناس بالتجارة ، ومايصلح لهم إلا التفرغ والنظر في شئونهم ، ومابد لعيالي مما يصلحهم ، فترك التجارة ، واستنفق من مال المسلمين مايصلحه وعياله يوما بيوم ، ويحج ويعتمر ، وكان الذي فرضوا له بكل سنة ستة آلاف درهم[1] .

ويبدو من الروايات أن الصديق رضى الله عنه قد فكر في التفرغ لشئون المسلمين ، وأن مادار بذهنه تحقق حين قابله عمر ، واقترح عليه مااقترح فرضى بذلك وبالرزق الذي أجروه عليه ، وهو مايقارب سبعة عشر درهما في اليوم الواحد مما بين الناس أن الخليفة العادل يعيش حياة التواضع التي تنفق مع حال المسلمين .

بهذا يظهر جليا أن حكومة الصديق رضى الله عنه جرت مجرى النشوء الفطري « الطبيعي » كأي نظام جديد يبدأ متواضعا ثم ينمو ، ويتدرج في هذا النمو حتى يستوي على عوده ، ويبلغ أوج كماله .

وإذا ظن بعض القوم أن حكومة الصديق رضى الله عنه كانت بدائية ساذجة فذلك ظن في غير محله ، وكأنهم بهذا لايؤمنون بسنن الارتقاء الفطري ، ويظنون أنه كان من المفروض أن يجعل الصديق رضى الله عنه حكومته على نفس ماعليه الحكومات في هذا العصر ، وهذا شئ مجانب لسنن الله في الكون .

---

(١) ابن سعد المرجع السابق .

ونرى من تتبع الروايات أيضا أن حكومة الصديق كانت إسلامية خالصة في تركيبها ، وعملها ، ولم تتأثر في شئ من عملها بالنظم المحيطة بها في فارس والروم . وتعليل ذلك ـ فيما أرى ـ يرجع إلى قصر المدة التي عاشها أبو بكر رضى الله عنه في الحكومة ، فهي فترة وجيزة لاتتيح الاقتباس ، علاوة على أنها شغلت بالقضاء على الفتن التي حدثت في الردة ، والتي أخذت من الدولة الوليدة جهدا كبيرا ، وشغلت الخليفة وأجهزة الحكم زمنا ليس بالقصير حتى تم القضاء عليها . وفي نفس الوقت لم تكن نتائج الفتوحات الاسلامية في ذلك العهد الراشد قد ظهرت بعد مما ينتج عنها عادة من اختلاط المسلمين بغيرهم ، ورؤيتهم لعاداتهم ، ولم تكن الدولة قد جابهت مايمليه عليها التوسع بعد الفتوحات مما يستدعي الحث والتجديد والتوسع في النظم المالية والإدارية وغيرهما .

٧ ـ دار الحكومة :

كانت الحكومة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تتخذ المسجد النبوي مقرا لها ، فيه تعقد المشورة ، وتؤلف مجالس الحرب ، وتقابل الوفود ، وتعقد حلقات العلم والتعليم ، وتبحث فيه أحوال المسلمين .

وفي عهد الصديق رضى الله عنه بقي المسجد كما كان دارا للخلافة ، يلتقي فيه الخليفة مع الناس ، ويدبر أمر الدولة ، ويعين الولاة والقواد ، ويستقبل الوفود ، وقد أبقى الصديق رضى الله عنه على وظيفة الحجابة فكان يحجبه غلامه رشيد في المسجد ، وينظم دخول الناس عليه في حالة انشغاله بالأمور الهامة وإدارة الدولة ، وإرسال الخطط أو الرسائل إلى أمرائه وقواده[١] .

---

(١) راجع تاريخ خليفة ١٠٨/١ ، وانظر اخبار الدول وآثار الأول لأبى العباس أحمد بن يوسف القرماني ص ٩٢ .

ج ـ الخطة السياسية للدولة في عهد الصديق رضى الله عنه :

وقف الصديق رضى الله عنه خطيبا بعد بيعته العامة فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس . فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله تعالى ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله تعالى .

لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالبلاء ، ولاتشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء .

أطيعوني ماأطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله »(١) .

هذه خطبة الصديق رضى الله عنه الأولى أمام المسلمين يرسم فيها الخطة السياسية للدولة الإسلامية في عهده ، ونقف بعون الله معها موقفا تحليليا فنقول وبالله التوفيق :

لكل دولة من الدول سياسة وخطة أساسية « إستراتيجية » معروفة الجوانب ، ظاهرة الآثار في حياة شعبها ، وعلى قدر صلاح هذه السياسة يكون صلاح المجتمع وسلامته .

والمعلوم أن السياسة تنقسم إلى قسمين :

١ ـ سياسة داخلية .

٢ ـ سياسة خارجية .

---

(١) سيرة ابن هشام ١٠٧٥/٤ والسيرة النبوية لابن حيان ص ٤٢٤ .

أولا : السياسة الداخلية :

أما السياسة الداخلية فهي : الخطة الموضوعة القيادة المجتمع في أموره المتعددة : الاقتصاد ، التعليم ، الإعلام ، الأمن ، الحفاظ على دين الأمة وعقيدتها . وتتفاوت الدول في عنايتها بتلك الأمور ، وفق تفاوتها في القوة والضعف ، والإقبال والإدبار ، وذلك أنها أمور تمس الناس ، وتظهر آثارها سريعة في أحوالهم . وأستطيع القول : إن السياسة الداخلية للدولة الإسلامية في عهد الصديق رضى الله عنه كانت ترتكز على مايلي :

١ ـ حراسة الدين .

٢ ـ العدل والشورى .

٣ ـ قيام الأمة بدور المراقب والناصح والمقوم للخليفة والأمراء .

٤ ـ أساس التعامل بين الحاكم والأمة : الصدق .

٥ ـ إعلان التمسك بالجهاد وتهيئة المجتمع لذلك .

٦ ـ إعلان الحرب على الفواحش بكل ألوانها .

٧ ـ طاعة الحاكم مرهونة بطاعته لله ورسوله .

٨ ـ تأليف قلوب الأمة .

٩ ـ توحيد البلاد تحت راية الإسلام .

١٠ ـ توزيع المال توزيعا عادلا ليدور دورته الصحيحة في أيدي الناس .

وهاك البيان :

ا ـ حراسة الدين :

قامت سياسة الصديق رضى الله عنه على حراسة الدين وحفظه من نقصان يعطل بعض أحكامه أو زيادة تعاكس أصوله وقواعده .

وقد عمل الصديق رضى الله عنه كل مافي وسعه في هذا السبيل وظهرت هذه السياسة عمليا في خلافته عبر عدة أساليب منها :

أ ـ القيام بالحسبة :

الحسبة وظيفة دينية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي في الدولة الإسلامية تمثل حركة مستديمة لتوجيه الناس إلى الخير ، ومنعهم من الشر ، وتطهير المجتمع من دواعي الفتنة والمعصية .

وقد تولى الصديق رضى الله عنه بنفسه وظيفة الحسبة وشدد على الناس في المحافظة على تعاليم الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكثيرا ماكان يطلب إلى عمر وهو المتولى شئون القضاء أن يعس بالناس ويحفظ حقوقهم .

ب ـ حروب الردة :

جوبه الصديق رضى الله عنه في أول خلافته بهذه المصيبة العظمى والطامة الكبرى ، في ظهور المتنبئين الكذابين ، وردة الكثير عن الإسلام ، واتباعهم للكذابين ، وفي منع بعض القبائل للزكاة ، فصمم الصديق على قتالهم وقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » ولازالت صيحته أمام الصحابة تدوى عبر الزمان : أينقص الدين وأنا حي ؟

ج ـ إنفاذ جيش أسامة رضى الله عنه :

أمر الصديق بإنفاذ جيش أسامة في وقت عصيب ، ويوم رهيب ، حتى أبدى بعض الصحابة رأيهم في ذلك وطالبوا الصديق بوقف هذا البعث حتى يتم القضاء على الردة ، ولكن الصديق بين لهم أنه من حراسة الدين أن تنفذ أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحيث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بخروج جيش أسامة فلا بد من خروجه ، وكان في رأي أبى بكر الخير كله والهداية والصواب .

لذا حق لأبى هريرة رضى الله عنه أن يعلنها بين الناس مدوية « والذي لا إله غيره لولا أن أبا بكر استخلف ماعبد الله ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، ثم قيل له : فسر ياأبا هريرة فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام فلما نزل بذى خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب حول المدينة ، واجتمع إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ياأبا بكر رد هؤلاء ، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ فقال والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مارددت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاحللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجه أسامة فجعل لايمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا لولا أن لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فلقوا الروم فهزموهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام »[1] .

د ـ جمعه للقرآن الكريم :

عرض عمر رضى الله عنه على الصديق رضى الله عنه رأيه في جمع القرآن بعد استشهاد جمع من الحفاظ في حروب الردة ، وقد شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه لذلك فكلف زيد بن ثابت رضى الله عنه ومعه جمع من علماء الصحابة بذلك حتى تم الجمع ، وكان عملا قيما حرس الدين وحفظه .

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في الاعتقاد ص ١٧٤ .
وذو خشب بضم أوله وثانيه : موضع قريب من الطريق التجاري بين مكة والمدينة ـ في جهة ينبع ، المعالم الأثيرة ص ١٢١ .

والمعلوم أنه قد اجتهد المسلمون في حرب اليمامة وبذلوا كل مايستطيعون ، ولقد كانت هذه الوقعة أشد الوقعات على المسلمين وأشقها ، لوجود جيش مسيلمة ، وهو جيش حانق حاقد حركته عصبية جاهلية بغيضة .

لذا لاقى الصحابة رضوان الله عليهم في هذه المعركة من الشدة مالم يلاقوه من قبل ، واندفعوا خلف مسيلمة وجيشه إلى حديقة الموت ، فحمى الوطيس ، واستمات المسلمون في هذه المعركة يبتغون الشهادة فاستشهد منهم عدد كبير فيهم كثرة من حفظة القرآن الكريم .

وقد أخذ الفاروق رضى الله عنه يتأمل نتائج موقعة اليمامة فوضع يده على قضية هامة هي موت مجموعة من حفظة كتاب الله فقفز إلى ذهنه خاطر يقول : ماذا لو جاءت موقعة أخرى واستشهد حفظة آخرون من الذين جمعوا القرآن في صدورهم ؟ وأسرع إلى الصديق رضى الله عنه وعرض عليه مايدور بخاطره في حوار نقله الإمام البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال :

أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة في الناس ، وإني لأخشى أن يستمر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه وإني لأرى أن يجمع القرآن ، قال أبو بكر : فقلت لعمر : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله الخير ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر .. قال زيد وعنده عمر جالس لايتكلم ، فقال أبو بكر : إنك شاب عاقل ولانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فأجمعه ، فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ماكان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن

فقلت : كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله الخير ، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبى بكر وعمر . فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع ، والأكتاف ، والعسب ، وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » إلى آخرها ، فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى االله عنهما(١) .

ونستنتج ـ بعون الله ـ من الحديث عدة أمور :

١ ـ حرص أبى بكر رضى الله عنه على الاتباع ، وبعده عن الابتداع في الدين ، وذلك سبب من أسباب النصر والتمكين في الأرض ، ولعل تمسك أبي بكر بهذه القضية يفسر كثيرا من الأعمال الخالدة التي خدم الدعوة بها مخلصا مجاهدا .

٢ ـ حرص الصحابة على حراسة الدين ، وعملهم على تثبيت أركانه .

٣ ـ قناعة أبى بكر رضى الله عنه بالأمر بعد المشورة ، والبحث وهذه صفة من صفات القيادة الموفقة المنصورة .

٤ ـ حسن اختيار الصديق لمن يقوم بهذه المهمة الخطيرة حيث اختار شابا قويا يستطيع البحث ، ويطيع الأمر ، ويسارع في المعاونة على الخير ، وأعلن سبب اختياره له بقوله :

---

(١) الحديث اخرجه البخاري في صحيحه : كتاب التفسير / باب جمع القرآن ٦/٢٢٥ .

أ ـ إنك شاب .

ب ـ عاقل .

جـ ـ لانتهمك .

د ـ كنت تكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا التوفيق في الاختيار منحة من الله سبحانه وتعالى ، وهو يبين أن الأمة حين تربى على الإسلام الصحيح تتوفر فيها الكفاءات المتخصصة في كافة المجالات المخلصة في عملها ونيتها لله سبحانه .

٥ ـ تقدير زيد رضى الله عنه للمسئولية وضخامتها ، فإنها أثقل من نقل جبل ، لذا ناقش الخليفة حتى اطمأن قلبه لجواز الأمر ، وعدم مخالفته للدين ، فبدأ العمل مستعينا بالله عز وجل .

والمعلوم عند علماء الكتاب والسنة أن النبي صلى الله عليه وسلم أباح لأصحابه كتابة القرآن الكريم فجمعه على هذا الاساس مجموعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم من جاء ذكره في حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد[١] .

ولفظ الحديث هنا لايفيد الحصر قطعا لأن غيرهم من الصحابة قد جمعه ، لذلك علق القرطبي رحمه الله على هذا فقال : قال ابن الطيب رضى الله عنه لاتدل هذه الآثار على أن القرآن لم يحفظه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمعه غير أربعة من الانصار كما قال أنس بن مالك وقد ثبت بالطرق

---

(١) الحديث أخرجه البخاري / كتاب فضائل القرآن / باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٦ / ٢٣٠ .

المتـواترة أنه جمـع القرآن : عـثمـان بن عـفـان ، وعلي بن أبي طالب ، وتميم الداري ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص . وقول أنس : لم يجمع القرآن غير أربعة : يحتمل أنه لايجمعه ويأخذه من رسول الله صلى الله عليـه وسلم تلقينا سوى هـؤلاء ، فإن أكثرهم أخذ بعضـه عنه وبعضـه عن غيره[1] .

وقد سبق أن بينا أن الصديق رضى الله عنه حفظ القرآن كله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

وبعد هذا نرى أن جمع القرآن الكريم في عـهد الصديق رضى الله عنه من الأعمال العظيمة في حراسة الدين وخدمة الدعوة ، وهذا من مناقبه العظيمة ومآثره الكبيرة .

« ولايعرف قدر فضله بهذا العمل الجليل إلا من عانى أمر الحديث ، وعرف مـقـدار مـاجـتـرأ فـيـه الكذب على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم جمـاعـة القـصـاصين والوضـاعين الذين شـوشـوا على الأمـة في الدين والسـيـاسـة ، والأخلاق تشويشا الله أعلم بما جرَّ على الأمة من البلاء ، ولو لم ينهض أئمة الحديث وحـفـاظه من أواخـر القرن الثـاني الهـجـري ومـابعـده إلى تلافى هذا الخطب ، وتتـبـع الأسـانيـد الصـحـيـحـة ، وترتيب درجـات الحـديث ، وتفـريق الموضوع عن الصحيح لكان الخطب أعظم ، أما القرآن فلله الحمد والمنة على أنه سبحانه تكفل بحفظه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[2] .

---

(١) القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن الكريم ١ / ٥٧ .

(٢) سورة الحجر ٩ .

لهذا ألهم من النهوض الى جمعه من صدور القراء وبعض الصحف فجمع وكتب بين الدفتين دون أن يلحق حرفا واحدا منه تغيير أو تبديل[1] .

لذلك استحق سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ثناء الصحابة عليه فقد أخرج أبو يعلى عن علي رضى الله عنه قال : أعظم الناس أجرا في المصاحف أبوبكر : إن أبابكر كان أول من جمع القرآن الكريم بين اللوحين[2] .

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام ص ٥٩٨ ، وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٢ . والخلفاء الراشدون للنجار ص ١١١ .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٣٧/١ من طريق الفضل بن دكين ، ومحمد بن عبد الله الاسدي ، وقبيصة بن عقبة عن سفيان عن السرى عن عبد خير .

٢ ـ العدل والشـورى :

من الخطة السياسية الداخلية للصديق رضى الله عنه : العدل والشورى .

قام الصديق منذ أول لحظة بتطبيق هذه السياسة في الأمة وهو يدرك أن العدل عز للحاكم والمحكوم ، وأنه بالعدل يؤلف دولة قوية البنيان ، عظيمة الأركان ، ولهذا وضع الصديق سياسته تلك موضع التنفيذ وهو يردد قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون »(١) .

« كان أبو بكر يريد أن يطمئن المسلمون إلى دينهم ، وحرية الدعوة إليه ، وإنما تتم الطمأنينة للمسلمين ما قام الحاكم فيهم على أساس من العدل المجرد عن الهوى .

والحكم على هذا الاساس يقتضي الحاكم أن يسمو فوق كل اعتبار شخصي وأن يكون العدل والرحمة مجتمعين ، وقد كانت نظرية أبى بكر في تولي أمور الدولة قائمة على إنكار الذات ، والتجرد لله تجردا مطلقا جعله يشعر بضعف الضعيف ، وحاجة المجتمع ويسمو بعدله على كل هوى ، وينسى في سبيل ذلك نفسه وأبناءه ، وأهله ، ثم يتتبع أمور الدولة جليلها ، ورقيقها بكل ماأتاه الله من يقظة وحذر »(٢) .

وبناء على ماسبق يرفع العدل لواءه بين الناس ، فالضعيف آمن على حقه ، وكله يقين أن ضعفه يزول حينما يحكم العدل .. فهو به قوى .. لايمنع حقه ولايضيع ، والقوى حين يظلم يردعه الحق ، وينتصف منه للمظلوم ، فلا يحتمى بجاه أو سلطان أو قرابة لذى سطوة أو مكانة ، وذلك هو العز الشامخ ، والتمكين الكامل في الأرض .

---

(١) النحل ٩٠ .

(٢) الصديق لهيكل باشا ص ٢٢٤ .

يقول ابن تيمية رحمه الله « إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولاينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة ، .. بالعدل تستصلح الرجال ، ونستغزر الأموال .. »[1] .

أخرج البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن أبا بكر قام يوم جمعة فقال : إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسم ، ولايدخل علينا أحد إلا بإذن ، فقالت امرأة لزوجها : خذ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملا ، فأتى الرجل فوجد أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما فالتفت أبو بكر فقال : ماأدخلك علينا ؟ ثم أخذ الخطام فضربه ، فلما فرغ من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام وقال : استقد فقال عمر : والله لايستقيد ولاتجعلها سنة ، قال أبو بكر : فمن لي من الله يوم القيامة ؟ فقال عمر : أرضه فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة وخمسة دنانير فأرضاه بها .

ثم جعل الصديق رضى الله عنه مع هذا العدل والشورى فرفع لواءها بين الناس وهو يدرك أهميتها وتأكيد القرآن والسنة عليها ، ويعلم أنه من فضل الله ورحمته توجد مجموعة كبيرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذوى الرأي والحنكة والتجربة تلتف حوله وتشير إن طلب منها ذلك في إخلاص وتجرد لله سبحانة وتعالى .

وبالفعل شاور الصديق هؤلاء الصفوة في الأمور جليلها وصغيرها . وكان يتيح الفرصة لكل من يريد الإدلاء برأيه .

---

(١) السياسة الشرعية ص ١٠ ، والحسبة ص ، وانظر غياث الامم للجويني .

روى أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله عن طارق بن شهاب قال : قدم وفد بزاخة من أسد وغطفان على أبى بكر يسألونه الصلح فخيرهم أبو بكر بين الحرب المجليه ـ أي المخرجة من جميع المال ـ والسلم المخزية ـ فقالوا : هذه الحرب المجلية قد عرفناها فما السلم المخزية ؟ فقال : أن تنزع منكم الحلقة والكراع ، وتتركوا أقواما تتبعون أذناب الإبل حتى يرى الله خليفة نبيه والمهاجرين أمرا يعذرونكم به ، ونغنم ماأصبنا منكم وتردوا إلينا ماأصبتم منا ، وتدوا قتلانا ، وتكون قتلاكم في النار ، فقام عمر فقال : إنك قد رأيت رأيا ، وسنشير عليك : أما مارأيته أن تنزع منهم الحلقة والكراع فنعم مارأيت ، وأما ماذكرت أن يتركوا أقواما يتبعون أذناب الإبل حتى ماأصبنا منهم ويردوا الينا ماأصابوا منا فنعم مارأيت ، وأما مارأيت أن يدوا قتلانا وتكون قتلاهم في النار فإن قتلانا قتلوا على أمر الله ، أجورهم على الله ليست لهم ديات : قال فتابع القوم عمر »(١) .

كما رأيناه رضى الله عنه يسمع مشورة الفاروق في جمع القرآن الكريم ، ومشورة سيدنا علي والمسلمين أن يبقى في المدينة ولايخرج في جيوش المسلمين المتجهة لحرب المرتدين(٢) .

٣ ـ قيام الأمة بدور المراقب والناصح للخليفة والأمراء :

طلب الصديق رضى الله عنه في خطبته الأولى الجامعة من الأمة مراقبته ، ومناصحته ، ومعاونته في إحسانه ، وتقويمه إن أساء .

---

(١) أخرجه أبو عبيد في الأموال عن عبد الرحمن بن مهدي والأشجعي كلاهما عن سفيان ابن سعد عن قيس بن مسلم عن طارق ص ٢٨٤ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١١٨/١ .

وهذه قمة الفطنة السياسية والحنكة الإدارية في حكومة الصديق وسياسته الداخلية حيث تشترك الأمة كلها في هذا الأمر ، فتعين الحاكم في الخير ، وتحجزه عن تسلط أو جور أو انحراف يقع منه .

وهو بهذا ينطلق مع الأمة إلى مبدأ أرسى النبي صلى الله عليه وسلم قواعده وربى الأمة عليه ، حين يضع في يقين كل مسلم أن الدين هو النصيحة حيث يقول :

« الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1] .

وفي الحديث الآخر : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، والنصح لكل مسلم »[2] .

ولقد حذت الدول الحديثة تلك السياسة الرائدة للصديق رضي الله عنه وترجمت ذلك إلى لجان متخصصة ومجالس شورية ، تمد الحاكم بالخطط ، وتزوده بالمعلومات ، وتشير عليه بما يحسن أن يقرره . والشيء المحزن أن كثيرا من الدول الإسلامية تعرض عن هذا النظام الحكيم ، فتعظم مصيبتها في تسلط الحكام وجبروتهم ، والتخلف الذي يعم معظم ديار المسلمين ماهو إلا نتيجة لتسلط بغيض ، « ودكتاتورية » لعينه ، أماتت في الأمة روح التناصح والشجاعة ، وبذرت فيها ، وزرعت بها الجبن والفزع إلا من رحم ربي . أما الأمة التي تقوم بدورها في مراقبة الحاكم ومناصحته تأخذ بأسباب القوة والتمكين في الأرض فتنطلق إلى آفاق الدنيا تبلغ دعوة الله سبحانه .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأبوداود : البخاري في صحيحه / كتاب الايمان - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «الدين النصيحة» معلقا ١/٢٣ ، مسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب بيان أنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون ١/٤٢ ، وأبوداود في سننه - كتاب الأدب باب في النصيحة عن تميم الداري رضي الله عنه ٤/٢٨٦ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبوداود وأحمد : البخاري ومسلم وأبو داود راجع ماسبق أعلاه ، وأحمد في مسنده ٤/٣٦٤ كلهم عن جرير رضي الله عنه .

٤ ـ الصدق أساس التعامل بين الحاكم والأمة :

أعلن الصديق رضى الله عنه مبدأ أسياسيا هاما تقوم عليه الخطة السياسية الداخلية وهو : أن الصدق بين الحاكم والأمة هو أساس التعامل ، وهذا المبدأ السياسي الحكيم له الأثر الهام في قوة الأمة حيث ترسخ جسور الثقة بينها وبين حاكمها .

إنه خلق سياسي منطلق من دعوة الإسلام إلى الصدق « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »(١) .

ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم « الإمام راع وهو مسئول عن رعيته »(٢) .

وهو بهذه المسئولية يدرك أنه لابد أن يكون صادقا مع أمته ، لايغشها ولايدنس عليها ، ولايخونها ، وأمام عينيه قول النبي صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة »(٣) .

وأثر هذا الخط السياسي الهادف في الأمة عظيم حيث يؤدي إلى الأمن والسلام ، وينشر ظلال الجد والاجتهاد ، فيزيد الإنتاج ويعظم ، ويعم الخير على الناس أجمعين .

---

(١) التوبة ١١٩ .

(٢) الحديث متفق عليه : أخرجه البخاري ومسلم ، البخاري في صحيحه /كتاب الجمعة /باب الجمعة في القرى والمدن ٦/١ عن سالم وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما : مسلم في صحيحه /كتابه الإمارة باب فضيلة الإمام العادل عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

(٣) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له . كتاب الإيمان /باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ١ / ٧١ .

كما أنه يمنع الحاكم من سرقة الأمة .. سرقة إرادتها .. سرقة شرفها ، سرقة حريتها .. سرقة أموالها .. ثم بيعها في سوق الذلة والهوان .

لذا يشتد البلاء بأمة تصاب بحاكم كذاب ـ والمؤمن لايكون كذابا ـ يرسم سياسته الداخلية على الكذب والغش .. حيث يزور إرادتها ، ويبدد كرامتها ، ويسرق ثروتها ـ ويضيع مواردها ، ويقتل فيها روح الإبداع والتقدم .

وصدق أبو بكر رضى الله عنه حين قال في خطبة الجمعة « الصدق أمانة ، والكذب خيانة »[1] .

٥ ـ إعلان التمسك بالجهاد وإعداد الأمة لذلك :

حرص الصديق رضى الله عنه على هذا الاساس في السياسة الداخلية لأن الأمة الإسلامية أمة لها غاية ورسالة تتمثل في نشر دين الله عز وجل في الآفاق ولايكون ذلك بجهاد الأعداء الذين يقفون حجر عثرة أمام الشعوب ، يمنعون عنها هذه الهداية ، ويحجبون نور الله عز وجل .

والأمة لاتستطيع ذلك إلا إذا تمت قيادتها على سياسة داخلية تجعل الجهاد في سبيل الله أمر لازما ، وتكرس جهود الأمة لذلك ، وتوظف كافة القوى الداخلية كذلك .

إن سياسة المؤمنين ، وطريق العاملين : الجهاد لأنه السبيل إلى عزة الأمة وكرامتها ، وقوتها ، وهو طريقها إلى القيادة والريادة والأستاذية للبشرية .

ومن هنا أعلن الصديق رضى الله عنه أن من خطط سياسته الداخلية تعبئة وحشد الطاقات في الأمة من أجل الجهاد ، لرفع الظلم عن المظلومين ، وإزالة الغشاوة عن أعين المقهورين ، وإعادة الحرية إلى المحرومين ، وهداية الحيارى ، وإيقاظ السكارى .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٠٧٥ ـ السيرة النبوية لابن حبان ص ٤٢٤ .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « ماترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب »[1] .

وصدق أبو بكر رضى الله عنه حين قال : « لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالبلاء »[2] .

٦ ـ إعلان الحرب على الفواحش :

قال الصديق رضى الله عنه في خطبته الجامعة : « ولاتشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء » ومن ثم حرص في سياسته الداخلية على طهر الأمة ونقائها ، ويبعدها عن الفواحش ماظهر منها وما بطن .

وهو رضى الله عنه يريد بذلك أمة قوية لاتشغلها شهواتها ، ولايضلها شيطانها ، لتعيش أمة منتجة تعطي الخير ، وتقدم الفضل لكل الناس .

وهي عبقرية الإيمان تتجلى في أعظم صورها التي لم تعرفها الأمم قديما ، والتي هجرتها دول الكفر والضلال حديثا .

ولقائل أن يقول : وماعلاقة الفواحش بحياة الأمم ؟

والإجابة بديهية : فإن قوام الأمم الأخلاق .. بها يرتفع قدرها ، وتزكو عقول أهلها ، وتنشط عوامل الإبداع فيها .

فإن فسدت الأخلاق ، وخربت الذمم .. ضاعت الأمم ، وعمها الفساد والدمار والدارس لحياة الأمم السابقة والحضارات السالفة بعين البصيرة ، يدرك كيف قامت حضارات على الأخلاق الكريمة ، فظلت قوية طالما حافظت عليها ، فلما دب سوس الفواحش إليها استسلمت للشياطين ، وبدلت نعمة الله كفرا ، وأحلت قومها دار البوار ، فزالت قوتها ، وتلاشت حضارتها .

---

(١) قال الهيثمي : أخرجه الطبراني في الأوسط عن شيخه علي بن سعيد الرازي ، قال الدارقطني ليس بذاك ، وقال الذهبي : روى عنه الناس . مجمع الزوائد ٢٨٤/٥ ، قلت وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب ١٣٩/٢ .

(٢) السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء لابن حبان ص ٤٢٤ .

« ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الاوتاد ، الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد »[1] .

« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد . وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتم التي يدعون من دون الله من شيئ لما جاء أمر ربك ومازادوهم غير تتبيب . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد »[2] .

والصديق رضى الله عنه يذكر الأمة بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « وما انتشرت الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ضربهم الله بالأمراض التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا »[3] .

وبهذه السياسة الحكيمة يعلن أبو بكر للحكام إلى يوم القيامة أن الحاكم التقي الذكي العادل هو الذي يربي أمته على الأخلاق القويمة لأنه حينئذ سيقود أمة أحست طعم الآدمية ، وجرت في عروقها دماء الإنسانية ، فهم للحاكم سلم ومودة ، وعدة وقت الشدة ، يدفعون عنه الأذى ، ويقاتلون العدا ، وهم لأمتهم ذخر وثروة ، وعزة وقوة .

أما إن سلب الحاكم الذكاء ، وصار من الأغبياء .. أشاع الفاحشة في قومه وقوض صرح الأخلاق فيهم ، وحولهم من آدميين إلى حيوانات ضالة ، وقطعان

---

(١) سورة الفجر الآيات ٦ / ١٤ .

(٢) سورة هود الآيات ١٠٠ ، ١٠٢ .

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في السنن . كتاب الفتن ٢ / ١١٣٣ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

هائمة سائمة لاهم لها إلا المتاع الحرام ، والزينة الخادعة ، فإن جد الجد وجدهم أقزاما قد ودعوا الرجولة والشهامة ، وحولتهم الشهوات الدنيئة إلى كم لاكيف له ، فتكون الطامة الكبرى .

وصدق الله العظيم « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »[١] .

٧ ــ طاعة الحاكم في طاعة الله :

يقول الصديق رضى الله عنه للناس في خطبته « أطيعوني ماأطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » .

وهو رضى الله عنه بهذا البيان يؤسس قاعدة سياسية هامة ، وهي أن علاقة المحكومين بالحاكم يحكمها خط مستقيم .. فهم في طاعة له وإذعان لأوامره مادام مطيعا لله ورسوله أي مادام يسير بالأمة على منهج الكتاب والسنة لايبدل ولايغير . في عصيان له إن عصى الله ورسوله ، أي هجر الكتاب والسنة فبدل وغير .

إنه ميزان القوة .. ميزان الأمة الحية التي لم يغرقها الحاكم في مطالب الحياة ليصبح همها كيف تحصل على لقمة الخبز ، فهو يحركها من بطونها فإذا أشبعها سكتت ولو على حساب دينها . وإذا جاعت تحركت حركة الجبان المخذول !!

إن أمة ترقب حركات حكامها بهذا الميزان وهذه السياسة ، وتجعل الحاكم ينظر في كل صغيرة وكبيرة ، ويعلم أنه مطاع طاعة الله ورسوله وأنه بدون ذلك يفقد مقومات حكمه لهي أمة جديرة بالحياة .

---

(١) سورة النحل ١١٢ .

رضى الله عن الصديق العتيق ، وهو يخط هذه السياسة لتنجح أمة المسلمين في فتح الدنيا وإزالة الطواغيت ، وإذاقة الشعوب المخدرة طعم الحرية والعدل .

٨ ـ تأليف قلوب الأمة :

كان لأبى بكر خط سياسي ناطق بالذكاء والألمعية ـ وهما من لوازم القيادة الناجحة ، ويتمثل في تأليف القلوب ، وتجميع طاقاتها للعمل في سبيل الله ، وقد تم ذلك بأساليب منها :

أ ـ رفقه بخالد بن الوليد ، وإعذاره له فيما تأول فيه من قتل مالك بن نويرة مع إلحاح عمر عليه باستدعاء خالد إلى المدينة ليحاسبه على ذلك ، ولما قال له عمر : إن سيف خالد به رهق ، وأكثر في اللائمة عليه قال : ياعمر تأول خالد فأخطأ ، فارفع لسانك عنه فإني لاأشيم سيفا سله الله . وودى مالكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ، ففعل وأخبره الخبر واعتذر إليه فعنفه ثم تجاوز عنه وقبل عذره(١) .

ولايخفى على ذى لب بعد النظر في ذلك حيث يستعد المسلمون لمقابلة الفرس والروم ، وقد أبدى خالد رضى الله عنه في ذلك شجاعة عظمى وأبلى في الله بلاء حسنا في تلك الحروب .

ب ـ عفوه عن زعماء القبائل المعاندة بعد رجوعهم إلى الحق :

كان من سياسة الصديق في تأليف قلوب الامة عفوه عن زعماء القبائل المعاندة بعد رجوعهم إلى الحق فإنه لما استخضع العرب وأراهم سطوة

---

(١) الطبري ٣ / ٢٧٦ من طريق السري بن يحيى عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عقبة بن بلال . وانظر في ذلك البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٦/٦ فقد أجاد في عرض هذه القضية وأفاد .

المسلمين وقوة شكيمتهم ومضاء عزيمتهم فاعترفت القبائل بما أنكرت ، وعادت إلى الحق الذي حاربت ، واستكانت لحكم الإسلام ، وأطاعوا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أبو بكر أنه من تأليف القلوب ترك استعمال القوة مع زعماء هذه القبائل بل اللين والرفق هنا أوفق . فرفع العقوبة عنهم ، وألان القول لهم ، ووظف نفوذهم في قبائلهم لصالح الإسلام والمسلمين .

وقد جيئ بالسمط بن الأسود الكندي أحد ملوك كندة ، وعمرو بن معد يكرب والأشعث بن قيس أسرى مكبلين ، فعفا عن زلتهم وأحسن إليهم حتى أنه زوج أخته للأشعث بن قيس حين طلب ذلك .

وبذلك أسر الصديق رضى الله عنه قلوبهم ، وامتلك أفئدتهم ، فكانوا في مستقبل الأيام نصرا للإسلام ، وقوة للمسلمين . وأضحت لهم يد عظيمة في هذا المجال .

٩ ــ المحافظة على توحيد البلاد تحت راية الإسلام التي جمعها النبي صلى الله عليه وسلم :

بالخطوات السابقة مهد الصديق رضى الله عنه للوحدة السياسية للبلاد بعد الوحدة التي جمعهم الإسلام عليها ، وقد كانت مرونة أبى بكر وحزمه من أقوى العوامل التي مهدت لهذه الوحدة السياسية ، كما كان عفوه عن الزعماء كما أسلفنا مع حزمه ومضاء عزيمته مع المرتدين أعيا إلى ارتباط الجميع بالوحدة .

وكانت الشورى والحرية في إبداء الرأي عاملا من عوامل استقرار هذه الوحدة ، وقيام الفتوحات أدى إلى انصهار الأمة في بوتقة العمل تحت لواء الإسلام بلا فروق ولاعنصرية بل في أخوة رحيمة ، تعين المحتاج ، وتعود المريض ، وتفك العاني ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر .

وأحس المجتمع المسلم بروعة الأخوة وأهميتها ، وذاق طعم الحياة الرغيدة في ظل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ـ أو قال لجاره ـ مايحب لنفسه »[1] .

١٠ ـ التسوية في توزيع العطاء :

من خطط السياسة الداخلية للصديق رضى الله عنه التسوية في توزيع المال حتى يدور دورته الصحيحة في أيدي الناس :

وقد نظم رضى الله عنه ديوان العطاء ، وطريقة توزيع المال فيه ، حيث جعل التسوية بين الناس في العطاء قاعدة في خلافته .

وقد ناظر الفاروق عمر رضى الله عنه أبابكر في ذلك فقال : أتسوى بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين ، وبين من أسلم عام الفتح ؟ فقال أبو بكر : إنما عملوا لله ، وإنما أجورهم على الله ، وإنما الدنيا بلاغ للراكب .

ورغم أن عمر رضى الله عنه غيَّر في طريقة التوزيع فجعل التفضيل بالسابقة إلى الإسلام والجهاد إلا أنه في نهاية خلافته قال : لو استقبلت من أمري مااستدبرت لرجعت إلى طريقة أبى بكر فسويت بين الناس »[2] .

وأخرج ابن سعد عن نيار الأسلمي عن عائشة قالت : قسم أبي أول عام الفيئ فأعطى الحر عشرة ، والمملوك عشرة ، والمرأة عشرة ، وأمتها عشرة ، ثم قسم في العام الثاني فأعطاهم عشرين ، عشرين »[3] .

---

(١) اللفظ لمسلم في صحيحه : كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه مايحب لنفسه من الخير عن أنس بن مالك ١ / ٣٨ .

(٢) راجع في ذلك الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٠١ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١٩٣ من طريق خالد بن مخلد عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن نيار .

وقد كان المال الوارد من الفتوحات وغيرها يصب في بيت المال ، وينفقه أبو بكر في مصالح المسلمين .

قال ابن سعد : « وقد قدم المال من معادن جهينة كثيرا ، وانفتح معدن بني سليم في خلافته فقدم عليه منه لصدقته ، فكان يقسم على الناس ، نفرا نفرا ، فيصيب كل مائة إنسان كذا وكذا وكان يسوي بين الناس في القسم ، الحر والعبد ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير فيه سواء . واشترى عاما قطائف أتى بها من البادية ففرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء ، قال فسئل الوازن : كم بلغ ذلك المال الذي ورد على أبى بكر ؟ قال مائتي ألف »[1] .

وبناء على ذلك نجد الحياة الاقتصادية تنتعش بين الناس مما يعطي فرصة لنجاح التجارة والصناعة ، وإن كان ذلك لم يظهر على وجهه الكامل إلا فيما بعد نظرا لقصر مدة خلافة الصديق رضى الله عنه »

ثانيا : السياسة الخارجية :

تعنى السياسة الخارجية بالعلاقات بين الدول بعضها ببعض ، وهي ذات تأثير بالغ على السلام العالمي لما تؤدي إليه من الثقة والاحترام ومراعاة مصلحة الناس إن كانت حكيمة . أو تؤدي إلى النفرة والعداء إن كانت لئيمة خبيثة .

ودروب السياسة عند المسلمين تقوم على العدل والحفاظ على الانسان ، واحترام آدميته والعمل على وضوح الحق أمامه دون قهر أو إكراه ، وإتاحة الفرصة أمام عقله للموازنة الاختيار مع دوام الدعوة لدينهم .

---

(١) الطبقات الكبرى المرجع السابق ٣/٢١٣ .

وأستطيع القول بأن خلافة الصديق رضى الله عنه قد رسمت السياسة الخارجية للدولة على مايلي :

١ ـ بذر هيبة الدولة الإسلامية في نفوس الأمم الأخرى .

٢ ـ مواصلة الجهاد الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ العدل بين الأمم التي فتحت ديارها والرفق بأهلها .

٤ ـ رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة .

ونتناولها بعون الله بشئ من التفصيل :

ا ـ بذر هيبة الدول الإسلامية :

تعظم الدول وتسمو مكانتها على قدر هيبتها بين الأمم الأخرى وبخاصة إذا كانت تلك الهيبة ناشئة عن حق تحرسه قوة يقوم بها رجال صادقون ترى فيهم الأمم الشجاعة والصدق والبر والهداية .

وقد رسم الصديق سياسته الخارجية على بذر هيبة الدولة الإسلامية في نفوس الأمم الأخرى بطرق عديدة منها :

أ ـ وصول أخبار الانتصارات التي أيد الله بها الأمة المسلمة في حروب الردة مما ساعد على وأد هذه الفتنة وتثبيت أركان الدولة . ومثل هذه الأخبار تصل إلى الدول المجاورة وبخاصة إذا كانت تتابع أنباء الدولة الإسلامية وترقب حركتها وترى فيها خطرا جديدا يهددها ، وللفرس والروم في ذلك الوقت قدرة على معرفة الحوادث والأمور فلما وصلت أنباء المرتدين وثبات الناس على الدين ، وأدركت الدولتان أن بنيان هذه الأمة الجديدة يستعصى على المؤامرات ويتجاوز المحن والابتلاءات . ولاشك أن لهذا وقعه في نشر هيبة دولة الاسلام .

ب ـ جيش أسامة :

بان لجيش أسامة الذي أنفذه الصديق أثر بالغ في نشر هيبة الدولة الإسلامية ، وقد جعل الروم يتساءلون عن الجيش الذي حاربهم وعاد منتصرا إلى عاصمة دولته فأمتلأت قلوبهم فزعا حتى حشد هرقل عشرات الألوف من جيشه على الحدود . ومما لاشك فيه أن نفس الأنباء قد نقلت إلى بلاد كسرى وتناقلها الناس مما كان له أعظم الأثر في بث هيبة المسلمين في قلوب هذه الدول .

٢ ـ مواصلة الجهاد الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم :

كانت سياسة الصديق قائمة على الاتباع ووجوب تنفيذ مأمر به الله ورسوله لذا قام الصديق بانفاذ جيش أسامة ، وحرب المرتدين ، ثم جهز الجيوش وندب الناس للخروج إلى الجهاد في سبيل الله لنشر دعوة الحق ، وإزاحة الطواغيت اللذين رفضوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالإسلام ، وصمموا على حجب نور الحق عن شعوبهم .

وقد خرج الناس يلبون هذه الدعوة الحبيبة إلى النفوس تحت لواء قادة أصحاب بلاء وجهاد في سبيل الله أمثال خالد ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص وغيرهم اختارهم خليفة محنك مجرب ذو ملكة عسكرية عجيبة صقلتها الظروف التي أحاطت به والأزمات الخطيرة التي أحدقت بأمته مما دفعه إلى العناية بهذه الناحية فاختار القواد أحسن اختيار وأمدهم بتوجيهاته وإرشاداته ففتحوا الشام والعراق في أقصر وقت ممكن وبأقل كلفة متاحة .

٣ـ العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها :

كانت السياسة الخارجية للصديق رضى الله عنه قائمة على بسط لواء العدل على الديار المفتوحة ونشر الأمن والطمأنينة بين أهلها حتى يحس الناس بالفرق بين دولة الحق ودولة الباطل ، وحتى لايظن الناس أنه قد ذهب جبار ظالم ليحل مكانه من هو أشد منه أو مثله في ظلمه وجبروته .

ووصى أبو بكر قواده بالرحمة والعدل ، والاحسان إلى الناس ، فإن المغلوب يحتاج إلى الرأفة ، وتجنب مايثير فيه حمية القتال .

ومن ثم حافظ المسلمون الفاتحون على الانسان والعمران بل امتدت رحمتهم إلى الحيوانات والطيور فشاهدت الشعوب المفتوحة خلقا جديدا في ذوق رفيع ، وإنسانية صادقة ، فقام ميزان الشريعة بين الأمم المغلوبة بالقسط ، وانتشر نور الإسلام فأخذ بعدله مجامع القلوب . فسارعت الشعوب إلى اعتناق هذا الدين والانضواء تحت لوائه .

كان جند الأعاجم من الفرس أو الروم إذا وطئوا أرضا دنسوها ونشروا فيها الرعب والفزع وانتهكوا الحرمات مما قاسى منه الناس الويل والثبور وتناقلت الأجيال قصصه المرعبة والمفزعة جيلا بعد جيل وقبيلا إثر قبيل فلما جاء الإسلام ودخل جنده هذه الديار فإذا بالناس يجدون العدل يبسط رداءه فوق رؤوسهم ويعيد إليهم آدميتهم التي انتزعها الظلم والطغيان .

وقد حرص الصديق على هذه السياسة حرصا عظيما وكان يقوم أي عوج يظهر أو خطأ يقع روى البيهقي : أن الأعاجم كانوا إذا انتصروا على عدو استباحوا كل شئ من ملك أو أمير وكانوا يحملون رؤوس البشر إلى ملوكهم كبشائر للنصر وإعلان للفخر ، فرأى أمراء المسلمين في حروب الروم أن

يعاملوهم بنفس معاملتهم ، فبعث عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة برأس « بنان » أحد بطارقة الشام إلى أبى بكر مع عُقبة بن عامر فلما قدم عليه أنكر ذلك فقال له عقبة : ياخليفة رسول الله إنهم يصنعون ذلك بنا فقال : أفيستنان بفارس والروم ؟ لايحمل إلي رأس إنما يكفي الكتاب والخبر »[١] .

أين هذا من مدنية الغرب الزائفة التي استباحت الدماء والأعراض كما فعلت في مسلمي فلسطين والجزائر ، ومسلمي أفريقيا على العموم ؟ إنها مدنية الذئاب والحيوانات المفترسة التي لاتعرف الرحمة بالمغلوب .

لكن شريعة الاسلام في الكتاب والسنة أقامت قلوب المسلمين على الرحمة والعدل فأقاموا الميزان بالقسط لايظلمون ولايظلمون .

« أجل رفع الإسلام نفوس المسلمين عن أمثال تلك الخسائس التي كانت فاشية بين الأمم وهذبها ، وطبعها على الرحمة والعدل مع يقظة الخلفاء الراشدين التي كانت تسد على دنيئ العادات الوثنية ، وخيس السنن الرومية ، منافذ التسرب إلى نفوس المسلمين ، وتقيم في وجهها حواجز الدين الاسلامي المبين .. ومن حسن سياسة أبى بكر في هذا الأمر أنه كان يحذر المسلمين من الدخول في غمار الفتن التي تسفك فيها الدماء ، ويحملهم على التعفف عن المغانم ، والقناعة بالكفاف في إبان الفتوحات التي تحولت فيها كنوز كسرى وقيصر إلى المسلمين ، خشية أن تحيا فيهم ملكة الطمع ، فتترع منازع الظلم ، وتحرك بواعث الطلب من المزيد فيميلون إلى الترف والنعيم اللذين يقعدان بهم عن متابعة الجهاد ، ويشغلانهم عن بث الدعوة بين العباد .

---

(١) عزاه السيوطي في التاريخ إلى البيهقي ص ٩٣ ، ولم أجده فيما تحت يدي من مراجع للبيهقي .

أخرج أحمد في الزهد عن سلمان قال : أتيت أبابكر فقلت : اعهد إليّ فقال : يا سلمان اتق الله ، واعلم أنه ستكون فتوح فلا أعرف ماكان حظك منها ، ماجعلته في بطنك ، أو ألقيته على ظهرك ، وأعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ، ويمسي في الله ، فلا تقتلن أحدا من أهل ذمة الله فتخفر ذمة الله ، فيكبك الله في النار على وجهك »(١) .

٤ ـ رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة :

من خطوط السياسة الخارجية عند الصديق رضى الله عنه رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة فلم يكره أحدا من الأمم أو الشعوب على دينه بالقوة ، وهو في هذا ينطلق من القاعدة القرآنية العظيمة « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »(٢) .

والمسلمون أرادوا من الفتوحات إزالة الطغاة وفتح الأبواب أمام الشعوب لترى نور الإسلام أما وقد أزيل كابوس الظلم عن الناس فليتركوا أحرارا ولايكرهوا على شيئ طالما حافظوا على عهدهم مع المسلمين والذي كان يشمل في بنوده :

١ ـ أن يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون .
٢ ـ أن لايكون لهم مكان في بعض الوظائف كالجيش .
٣ ـ أن لايكوّنوا جهة معادية للإسلام في شعائره أو عباداته أو شريعته .
٤ ـ إذا غير أحدهم دينه السابق فلا يقبل منه إلا الإسلام .

وتقوم دولة الإسلام بتفسير الإسلام لهم عمليا ونظريا بحيث يؤدي ذلك إلى اقتناعهم بهذا الدين ليدخلوا فيه عن رغبة فإن العقائد لاتستقر بالإكراه .

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام ٨٤/١ ، والحديث أخرجه أحمد في الزهد ص ١١٠ من طريق موسى بن هلال وهشام بن حسان عن الحسن .
(٢) سورة يونس ٩٩ .

المطلب الثاني : إنفاذ جيش أسامة دعوة عملية :

كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته قد جهز جيش أسامة بن زيد ليرد كيد الروم ويخيفهم هم والقبائل التي تريد التحرش بالمسلمين في المدينة ، وذلك بعد أن استشهد أبوه زيد بمؤته .

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه : « أنفذوا جيش أسامة »[1] .

وقد خرج أسامة بمن معه حتى بلغ الجُرْف[2] فأرسلت إليه امرأته أن لايعجل لأن المرض اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم فرجع ، ورجع معه الناس إلى المدينة ، فدخل أسامة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لايستطيع الكلام فجعل يضع يده على أسامة ويرفعها إلى السماء ، فعلم أسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له ـ وكان أسامة لم يتجاوز العشرين ـ وكانت توليته من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعود الشباب على القيام بالمهام الخطيرة ، وقد عادت إلى النبي صلى الله عليه وسلم صحوة سبقت وفاته ، فاستأذنه أسامة في الخروج فأذن له ، وأمره أن يوطئ خيله البلقاء[3] من أرض فلسطين ، وأن يدهم الأعداء في الصبح ويمعن فيهم قتلا ، وأن ينفذ ذلك بسرعة حتى لاتسبق أنباؤه إلى أعدائه فإذا فعل وانتصر وغنم ، فليسرع بالعوده إلى المدينة .

---

(١) تاريخ خليفة ١ / ٦٥ .

(٢) الجُرْفُ : بضم الجيم وسكون الراء المذكور في الأحاديث والسيرة يقع شمال المدينة ، بل هو الآن حي من أحيائها متصل بها فيه زراعة وسكان / المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٨٩ . وانظر معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٨٠ .

(٣) تهذيب ابن عساكر ١١٨/١ . والبلقاء : إقليم في الأردن تتوسطه مدينة عمان ومن أشهر مدنه عمان والسلط وعاربا والزرقاء ، انظر المرجعين السابقين ص ٥٤ / ٤٩ .

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهرت الردة وكشفت عن وجهها القبيح ، ولما تولى أبو بكر الخلافة أمر بإنفاذ جيش أسامة على رغم مافي الأحداث من خطر داهم ، مما أدى إلى دهشة الناس في المدينة ، فكيف يخرج جيش أسامة في هذا الوقت العصيب ؟

حوار يحسمه الصديق :

لما سمع الناس بأمر الخليفة في شأن جيش أسامة تقدم الصحابة بعدة آراء :

١ ـ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك ؟ فقال : لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ، مارددت جيشا أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى البيهقي بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : والله الذي لاإله إلاهو لولا أبو بكر استخلف ماعبدالله ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة فقيل له : مه ياأباهريرة فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام فلما نزل بذى خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب حول المدينة ، فأجتمع إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ياأبابكر ، رد هؤلاء توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ فقال : والذي لا إله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ماردت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاحللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه أسامة فجعل لايمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن بهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فلقوا الروم فهزموهم ، وقتلوهم ، ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام[1] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٢١٠ .

٢ ـ لما خرج الجيش إلى معسكرهم وتكاملوا أرسل أسامة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان معه في جيشه إلى أبى بكر يستأذنه أن يرجع بالناس ، وقال : إن معي وجوه الناس وجلتهم ولاآمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن يتخطفهم المشركون[١] .

٣ ـ قال مع من أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب ارجع إلى أبى بكر فأبلغه أن يولي أمرنا أقدم سنا من أسامة فخرج عمر إلى أبى بكر فأخبره بما قال أسامة فأصر على رأيه ومضاء عزيمته على إنفاذ جيش أسامة وقال لعمر : لو خطفتني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته .. قال عمر : فإن الأنصار تطلب رجلا أقدم سنا من أسامة فأدرك أبو بكر من هذا مايريده البعض فرد على ذلك ردا عمليا فخرج حتى أتاهم وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب فقال له أسامة : ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن أو لأنزلن فقال : والله لانزلت ولاأركب وماعلى أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله فلم يسع الأنصار لما رأوا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا في ركاب أسامة إلا السكوت ولم يبدر من أحدهم بادرة قط بل ساروا صحبة أسامة وأبدوا ماعرفوا به من الإخلاص والذب عن حياض المسلمين والاستماتة في كيد الأعداء[٢] .

---

(١) انظر تهذيب ابن عساكر ١ / ١١٨ ، ١١٩ / ١٢٣ . وانظر السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء لابن حيان ص ٤٢٧ ، وأشهر مشاهير الاسلام ٢٤/١ والخلفاء الراشدون للنجار ص ٤٥ .

(٢) عهد الخلفاء الراشدين من تاريخ الإسلام للذهبي ص ١٩ ، وانظر جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ص ٢٢ .

إعلاء شأن القائد أمام جنده :

أ ـ كان لسياسة الصديق رضى الله عنه الحكيمة في إعلاء شأن أسامة القائد الشاب أمام الجميع بمشيه في ركابه أثر عظيم في نفوس الناس حيث كان السلوك العملي أبلغ من كل كلام وفي ذلك عضيد لطاقات العمل والجهاد ووحدة الصف خلف الأمير القائد .

ب ـ ومن هذا القبيل رأينا الصديق يستأذن القائد في رجوع أحد جنده ليكون بجانبه في المدينة وزيرا ومشيرا قائلا : إن رأيت أن تعينني بعمر . فأذن القائد الشاب لعمر أن يعود مع الخليفة ، وبذلك تكون النفوس قد أشربت احترام القائد وطاعته ، وهذا أساس من أسس النصر والظفر[1] .

وصية خالدة ترفع شأن الدعوة :

ملأ الصديق قلب الجيش احتراما لأسامة ، وطاعة له ، وودع الجيش بوصية غالية تظهر عظمة هذا الدين وحرصه على حرية الناس ، وكرامتهم بمالم تستطع أمم الحضارة المادية الخادعة اليوم أن تلزم جيوشها بأمر واحد منها والتي تثبت أن الصديق يعلم الأمة وقوادها ماتعلمه من النبي صلى الله عليه وسلم :

١ ـ لاتخونوا .

٢ ـ لاتغدروا .

٣ ـ لاتغلوا .

٤ ـ لاتمثلوا .

٥ ـ لاتقتلوا طفلا ولاشيخا كبيرا ولا امرأة .

٦ ـ لاتعقروا نخلا ولاتحرقوه .

---

(١) راجع الطبري ٣ / ٢٢٦ ابن عساكر ١/١١٨ ، ١٢٠ . والبداية والنهاية ٦/٣٠٩ .

٧ ـ لاتقطعوا شجرة مثمرة .

٨ ـ لاتذبحوا شاة ولابقرة ولابعيرا إلا للأكل .

٩ ـ وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم ومافرغوا أنفسهم له .

١٠ ـ وسوف تقدمون على قوم فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفوقهم بالسيف خفقا .

١١ ـ ثم قال : اندفعوا باسم الله ، وأوصى أسامة أن يفعل مايأمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاك فانفذ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه إنما أنا منفذ لأمر أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

تلك هي فقرات الوصية الخالدة التي تظهر الغاية من حروب المسلمين فهي دعوة إلى الإسلام . والمعلوم أن الجيوش لاتبقى ولاتذر ، ولاتعرف حقا للحر ، لاترحم كبيرا لكبره ، ولاصغيرا لضعفه ، ولاامرأة لحرمتها .. إنها تدمر وتخرب وتقتل وتمزق .. وتحرق وتهدم .. إنها جيوش المدنية الضالة !!

أما الحرب في الإسلام فهي حركة محسوبة لأجل الدعوة إلى الله بالسلوك العملي فإذا مارأت الشعوب جيشا بهذه الصفات لاتملك إلا الدخول في دين الله طواعية واختيارا :

أ ـ إنها ترى جيشا لايخون .. بل يصون الأمانة ، ويفي بالعهد ، ولايسرق مال الناس أو يستولي عليه دون حق .

---

(١) الطبري ٣/٢٢٧ ، وتهذيب ابن عساكر ١/١١٨ ، الكامل ٢/٢٢٧ ، والبداية والنهاية ٦/٣٠٨ .

ب ـ جيشا لايمثل الآدميين بل هو يحسن القتل كما يحسن العفو .. يحترم الطفل ويرحمه ، ويبر الشيخ الكبير ويكرمه ، ويصون المرأة ويحفظها .

جـ ـ جيشا لايبدد ثروة البلاد المفتوحة .. بل تراه يحفظ النخيل ولايحرقه ، ولايقطع شجرة مثمرة ، ولايدمر المزروعات أو يخرب الحقول .

د ـ وإذا ماحافظ على الثروة الآدمية فلم يغدر ، ولم يخن ، ولم يغل ، ولم يمثل بقتيل ، ولم يقتل طفلا ، ولاشيخا كبيرا ، ولا امرأة ، وحافظ على الثروة الزراعية ، فلم يعقر نخلا ، أو يقطع شجرة مثمرة ، فهو في نفس الوقت يحافظ على الثروة الحيوانية فلا يذبح شاة أو بقرة أو بعيرا إلا للأكل فقط ، فهل تحافظ الجيوش على واحد من هذه الأشياء ؟ أم أنها تحول البلاد التي تحاربها إلى خراب ودمار ؟ والمثال قائم في العدوان الشيوعي الملحد على أفغانستان ، فروسيا ـ نصيرة الشعوب ـ كما يسميها أذنابها ـ ألقت بمئات الأطنان من المواد الحارقة فحولت الحقول إلى ليل مظلم ، وأبادت الأخضر واليابس !!

ألا ماأعظم الفرق بين هداية الله ، وضلال الملحدين ، « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »(١) .

هـ ـ وهو جيش يحترم العقائد والأديان السابقة عليه ، فيحافظ على العباد في صوامعهم ، ولايتعرض لهم بأذى .. وتلك دعوة عملية تدل على سماحة الاسلام وعدالته ، أما من يعبثون منهم في الأرض فسادا ، ويحاربون الحق فجزاؤهم القتل ليكونوا عبرة لغيرهم .

د ـ ونرى الدعوة تستفيد هنا دروسا عظيمة في الحركة منها :

١ ـ تربية الأمة على طاعة الله والرسول ، وعدم تعطيل أمر لهما .

---

(١) سورة النور جزء من الآية ٤٠ .

٢ ـ إبراز أهمية القدوة الصالحة للتأثير في المدعوين .

٣ ـ تدريب الأمة على احترام القواد وطاعتهم في طاعة الله والرسول .

٤ ـ إبراز هذا الميثاق العملي الذي لم تر البشرية له نظيرا .

٥ ـ عاد جيش أسامة ظافرا غانما بعد ماأرهب الروم حتى قال لهم هرقل وهو بحمص بعد ماجمع بطارقته : هذا الذي حذرتكم فأبيتم أن تقبلوه مني !! قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر فتغير عليكم ، ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم . قال أخوه « يناف » فابعث رباطا « جندا مرابطين » تكون بالبلقاء ، فبعث رباطا واستعمل عليهم رجلا من أصحابه فلم يزل مقيما حتى تقدّمت البعوث إلى الشام في خلافة أبى بكر وعمر(١) . ثم تعجب الروم بأجمعهم وقالوا : مابال هؤلاء يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا ؟(٢) .

٦ ـ تم إرهاب القبائل التي حول المدينة حيث كانت تفكر في الانقضاض عليها . وظهر بهذا كله توفيق الله للصديق بالذكاء والفطنة والروية في علاج الأمور ، وتلك صفات لازمة ، ومزية هامة من أجل مزايا رجال الإدارة والقيادة .

« وعاد جيش أسامة الظافر ، وبلغ ظاهرا لمدينة ، فتلقاه أبو بكر ، وكان قد خرج في جماعة من كبار المهاجرين والأنصار للقائه وكلهم خرج وتهلل ، وتلقاه أهل المدينة الذين هتفوا في إثر أبى بكر وأصحابه بصيحات السرور والإعجاب والتقدير ، ببسالته ، وبسالة جيشه ، ودخل أسامة المدينة تحيط به هالة من فخار النصر ، فقصد من فوره إلى المسجد حيث صلى لله شكرا على ماأنعم به

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١٢٥/١ .

(٢) البداية والنهاية ٣٠٩/٦ .

عليه وعلى المسلمين .. لكن الأمر الذي لاريب فيه أنها كانت بعيدة الأثر في حياة المسلمين وفي حياة العرب الذين فكروا في الثورة عليهم ، وفي حياة الروم الذين تمتد بلادهم على حدودهم .. وقال أعداؤهم من العرب الذين تسامعوا بهذه الغزوة « لو لم يكن للقوم قوة ماأرسلوا جيوشهم تغير على من بعد عنهم من القبائل القوية » .. وانزعج هرقل حين بلغته أنباء هذه الغزوة فبعث جيشا قويا عسكر بالبلقاء .. وتلك الحجة السالفة على أن الروم والعرب جميعا حسبوا حساب المسلمين بعد هذه الغزوة التي جعلت غرب الشمال فيما عدا دومة الجندل لايلحون في التحرش بالمدينة والانتفاضة عليها[1] .

« بعثة أسامة كانت العنوان الأول لسياسة عامة في الدول الأسلامية هي في ذلك الحين خير السياسات :

كان قوامها كله طاعة مأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الطاعة – جد الطاعة مناط السلامة ، وعصمة المعتصمين من الخطأ الأكبر في ذلك الحين .

ماذا كان يحدث لو أن قبائل غسان ، وقضاعة استضعفت شأن المسلمين وفي أيديها الطريق بين بلاد العرب وبلاد الروم ؟

كل شئ جائز أن يكون ، وأوله إغراء الروم بالهجوم ، ولهم عون من تلك القبائل ومن يجتمع إليها من المجترئين والمتحفزين ، ولما تقعدهم عن الامتراء والتحفز هيبة جيوش الإسلام .

ولقد أدرك الناس في عصر أبى بكر صواب الرأي في إنفاذ تلك البعثة بعد إنفاذها وعودتها فشاع في الجزيرة خبرها .. فإذا كان بقاء أسامة في المدينة

---

(١) الصديق لهيكل باشا ص ١٠٧ .

جائزا لدفع الخطر فإرساله كذلك لدفع خطر مثله ، وفازت الدول بين هذا أو ذاك بدرس الطاعة وهو يومئذ لزوم الدروس ثم تكرر هذا الدرس في أوسع نطاقه لأنه نطاق الدولة الاسلامية في ذلك الوقت .. وهي حرب الردة[1] .

المطلب الثالث : الدعوة العملية :

حروب الدفاع عن الدعوة بقتال المرتدين :

استأثر الله بنبيه صلى الله عليه وسلم وقبضه إليه بعد ماأكمل الدين وأتم النعمة فيه ورضيه للمسلمين : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا »[2] .

وتصور أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ماحدث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فتقول : لما قبض الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب قاطبة واشرأب النفاق ، والله لقد نزل بأبي مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وصار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كأنهم معزى مطيرة في حش في ليلة ممطرة بأرض مسبعة »[3] .

جُوبه أبو بكر رضى الله عنه بهذه المصائب الجسام التي تهيض رواسي الجبال ، فكان لها الصديق ، حيث وفقه الله تمام التوفيق ، فقام بالقضاء على هذه الردة ، وحفظ بذلك الدين ، ومكن له في العالمين .

---

(١) عبقرية الصديق للعقاد ص ٩٨ ، وراجع العواصم من القواصم ص ٦٧ .

(٢) سورة المائدة ٣ .

(٣) تاريخ ١/٨٠ .

وها أنذا أرتب الحديث عن حروب الدفاع عن الدعوة والقضاء على الردة كما يلي :

١ ـ ماالردة التي ظهرت في الجزيرة ؟

٢ ـ ماذا فعل الصديق في القضاء عليها ؟

٣ ـ الجهاد وألويته .

٤ ـ الدفاع عن الدعوة بقتال الكذابين .

٥ ـ نتائج هذه الحروب .

ماالردة التي ظهرت في الجزيرة العربية ؟

أ ـ ظهرت بوادر الردة في الجزيرة قبيل موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهور الأسود العنسي في اليمن ، ومسيلمة في بني حنيفة .

قال ابن جرير رحمه الله : « حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحق عن عبد الله بن أبى بكر قال : كان مسيلمة بن حبيب الكذاب كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام الله عليك فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإنا لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قريشا قوم يعتدون » فقدم عليه رسولان بذلك ، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسيلمة « بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد « إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » وكان ذلك آخر سنة عشر .

وعن أبى مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي المدينة بعد ماقضى حجة التمام ، فتحلل به

السير ، وطارت به الاخبار لتحل السير بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه قد اشتكى ، فوثب الأسود العنسي باليمن ، ومسيلمة باليمامة ، وجاء الخبر عنهما للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعد ماأقامه النبي صلى الله عليه وسلم »[١] .

ومن ثم قام المتنبئون بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فانحاز إليهم خلق كثير وارتدت أحياء كثيرة من العرب : فبنو حنيفة ومعهم عدد كبير انضموا إلى مسيلمة ، والتفّت على طليحة بنو أسد وطيئ وبشر كثيف واشتد الكرب وعظم الخطب ، وفي هذه الظروف أنفذ أبو بكر جيش أسامة ، فقل الجند عنده فطمعت قبائل الأعراب في المدينة وخططوا للهجوم عليها فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراسا يبيتون بالجيوش حولها ، وجعلت وفود العرب تأتي إلى المدينة وتقابل الصديق رضى الله عنه فيقرون بالصلاة ، ويمتنعون عن الزكاة ، ومنهم من امتنع فعلا من تسليمها إلى الصديق رضى الله عنه وفلسفوا هذا الامتناع بتأويل القرآن على غير وجه صحيح فقالوا إن الله قال « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » وكنا ندفع زكاتنا إلى من صلاته سكن لنا ولن ندفع لغيره ، !! وأنشد بعضهم .

أطعنا رسول الله ماكان وسطنا .. فيا لعباد الله مالأبى بكر
أيورثها بكرا إذا مات بعده .. وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
فهلا رددتم وفدنا بزمامه .. وهلا خشيتم حس راغبة البكر
وإن التي ساء لكمو فمنعتموا .. لكالتمر أو أحلى لديّ من التمر[١] .

(١) تاريخ الطبري ١٤٦/٣ ، ١٤٧ ، وراجع الفتوح لابن أعتم ١٤/١ . وتاريخ خليفة ٦٧/١ والكامل ٢٢٧/٢ ، والبداية والنهاية ٣١٥/٦ ، ومروج الذهب ١٩٦/٢ .

(٢) البداية والنهاية ٣٥٢/٦ .

ونلاحظ هنا أن الردة التي كانت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم نوعان :

أ ـ كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وتكذيب بأنه خاتم الأنبياء وادعاء للنبوة وذلك شأن المتنبئين الكذابين ومن تبعهم .

ب ـ كفر بالزكاة كفريضة ثابتة في الاسلام وذلك شأن بعض الاعراب .

٢ ـ ماذا فعل الصديق في القضاء عليها ؟

وقف الصديق أمام هذه الفتن العاتية مستعينا بالله عز وجل مصمما على ضرورة قتال أهل الردة من المتنبئين ومن تبعهم ومن القبائل التي تصر على منع الزكاة .

قال ابن كثير رحمه الله :

روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبابة بن سوار : حدثنا عيسى بن يزيد المديني حدثني صالح بن كيسان قال : لما كانت الردة قام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : الحمد لله الذي هدى فكفى وأعطى فأغنى إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم والعلم شريد ، والإسلام غريب طريد ، قدرت حبله ، وخلق ثوبه ، وضل أهله منه ، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيرا لخير عندهم ، ولايصرف عنهم شرا لشر عندهم ، وقد غيروا كتابهم ، وألحقوا فيه ماليس منه ، والعرب الآمنون يحسبون أنهم في منعة من الله ، لايعبدونه ، ولايدعونه ، فأجهدهم عيشا ، وأظلهم دينا في ظلف من الأرض مع مافيه من سحاب ، فختمهم الله بحمد وجعلهم الأمة الوسطى ، ونصرهم بمن اتبعهم ، ونصرهم على غيرهم ، حتى قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه ، وأخذ بأيديهم ، وبغى هلكتهم

« ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين »[1] .

إن من حولكم من الاعراب قد منعوا شاتهم ، وبعيرهم ، ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا ، على ماتقدم من بركة نبيكم صلى الله عليه وسلم وقد وكلكم إلى المولى الكافي الذي وجده ضالا فهداه ، وعائلا فأغناه « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »[2] .

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ويوفي لنا عهده ، ويقتل من قتل شهيدا من أهل الجنة ، ويبقى منها خليفته وذريته في أرضه قضاء الله الحق ، وقوله الذي لاخلف له « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم »[3] .

هنا نرى الصديق يخطب الناس ويبين لهم الخطر الداهم على دعوة الاسلام نتيجة هذه الردة ، وهو يعرض الأمر أمام الصحابة وقد شاهدوا القبائل المنكرة للزكاة تأتي إلى المدينة ، وترى قلة المقاتلين فيها بعد خروج جيش أسامة . لذا عرض بعضهم الرأي على الصديق فأشار بأن يتركهم وماهم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون ، مامتنع الصديق من ذلك وأباه [4] .

---

(١) آل عمران ١٤٤ .

(٢) آل عمران من الآية ١٠٣ .

(٣) الآية ٥٥ من سورة النور ٢/٢٣١ ، وراجع الخبر في البداية والنهاية ٦ / ٣١٦ .

(٤) البداية والنهاية ٦ / ٣١٥ .

أخرج الطبري بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما بويع أبو بكر ، وجمع الأنصار في الأمر الذي اختلفوا فيه قال : ليتم بعث أسامة ، وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة ، في كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشرأبت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقدهم نبيهم ، وقلتهم ، وكثرة عددهم فقال له الناس : إن هؤلاء جل المسلمين والعرب على ماترى ، وقد انتقضت بك ، فليس ينبغي بك أن تفرق عنك جماعة المسلمين فقال أبو بكر : والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته[1] .

وقد روى الجماعة سوى ابن ماجة عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلابحقها» ؟[2] فقال أبوبكر : والله لومنعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، قال عمر : فماهو إلا أن رايت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، وقد قال : فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم[3] .

إن الباحث المدقق بعد هذا العرض يجد الحق كل الحق مع الصديق ، ويرى توفيق الله للحاكم المتوكل عليه ، الحازم على نصرة دينه، ورفع لوائه مهما كان الثمن فيمخ من الله المعية التي تمده بالذكاء والألمعيه وبعد النظر .

---

(١) التاريخ ٣/٢٢٥ وانظر الكامل .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الزكاة ٢/١٣١ ، ومسلم في صحيحه /كتاب ..
الرجاء إيضاح الهوامش في التعديل .

(٣) التوبة آية (٥) .

أخرج ابن كثير ، وابن الأثير عن القاسم بن محمد [1] قال : اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحه الأسدي ، وبعثوا وفوداالى المدينه فنزلوا على وجوه الناس ، فأنزلوهم إلى العباس فحملوا بهم إلى أبي بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتواالزكاة فعزم الله لأبي بكر الحق فقال : لومنعوني عقالا لجاهدتهم، فردهم فرجعوا الى عشائرهم [2] .

---

(١) الرجاء الايضاح .

(٢) البداية والنهاية ٦/٣٥٢ ، الكامل ٢/٢٣١ .

أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» ؟[1] فقال أبوبكر : والله لومنعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، قال عمر : فماهو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، وقد قال : فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم[2] .

إن الباحث المدقق بعد هذا العرض يجد الحق كل الحق مع الصديق ، ويرى توفيق الله للحاكم المتوكل عليه ، الحازم على نصرة دينه، ورفع لوائه مهما كان الثمن فيمخ من الله المعية التي تمده بالذكاء والألمعيه وبعد النظر .

أخرج ابن كثير ، وابن الأثير عن القاسم بن محمد [3]. قال : اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحه الأسدي ، وبعثوا وفودا الى المدينه فنزلوا على وجوه الناس ، فأنزلوهم إلى العباس فحملوا بهم إلى أبي بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتواالزكاة فعزم الله لأبي بكر الحق فقال : لومنعوني عقالا لجاهدتهم، فردهم فرجعوا الى عشائرهم[4] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الزكاة ١٣١/٢ ، ومسلم في صحيحه / كتاب وأمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لاإله إلا الله .

(٢) الآية ٥ من سورة التوبة .

(٣) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التابعي الجليل أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ـ كان ثقة بها كثير الحديث ورعا انظر ترجمته : تهذيب الأسماء واللغات للنووى ٥٥/٢ ، وسير أعلام النبلاء .

(٤) البداية والنهاية ٣٥٢/٦ ، الكامل ٢٣١/٢ .

إن الدعاة يستفيدون من هذا الداعية الموفق أبي بكر رضي الله عنه درسا مهما عليه مدار العزة والفلاح، وهو التمسك بالاسلام كله، وعدم التفريط في شيء منه ، لأن الإسلام كثوب كامل إما أن يلبس كله أو يخلع كله و ما ضاع المسلمون فى هذا الزمن إلا لتفريطهم في دينهم شيئا فشيئا ، ورضاهم أن يزحزح لتحل محله المناهج الأرضيه... .

٣- الجهاد وألويته :

أ- المواجهة مع القبائل المغيرة على المدينه :

انصرفت وفود القبائل المانعة للزكاة من المدينه بعدما رأت حزم الصديق محمد صلى الله عليه وسلم وعزمه وقد خرجت مقتنعة بأمرين :

الاول : أن قضية منع الزكاة لاتقبل المفاوضة وأن حكم الاسلام فيها واضح ولذلك لا أمل في تنازل خليفة المسلمين عن عزمه ورأيه وخاصة بعدما أيده المسلمون وثبتوا على رأيه بعد وضوح الرؤية وظهور الدليل.

الثاني : أنه لا بد من اغتنام فرصة ضعف المسلمين – كما يظنون – وقلة عددهم لهجوم كاسح على المدينه يسقط الحكم الاسلامي فيها ويقضي على هذا الدين.

ب - فراسة القائد :

رزق الله الصديق رضى الله عنه فطنة عالية وفراسة هادية ، وعزيمة ماضية – وهى مقومات القائد الناجح – فقرأ في وجوه القوم ما فيها من الغدر ، ورأى فيها الخسة وتفرس فيها اللؤم . فماذا فعل ؟

ج - خطة الخليفة رضى الله عنه :

أعد الصديق رضى الله عنه للأمر عدته فأقام خطته على مايلي :

١- أن يبيت أهل المدينه في المسجد حتى يكونوا على أكمل استعداد للدفاع وقال لهم شارحا سبب هذا الأمر فقال : إن الأرض كافرة ، وقد رأى وفدهم منكم قلة ، وإنكم لا تدرون أليلا يأتون أم نهارا ؟ وأدناهم منكم على بريد[1] .

وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم ، وقد أبينا عليهم فاستعدوا وأعدوا [2] .

٢- تنظيم الحرس الذين يقومون على أنقاب المدينه ويبيتون حولها حتى يدفعوا أى غارة قادمة .

٣- تعيين أمراء الحرس وهم :

١ـ علي بن أبي طالب « رضى الله عنه » .

٢ ـ الزبير بن العوام « رضى الله عنه » .

٣ ـ طلحة بن عبيد الله « رضى الله عنه » .

٤ ـ سعد بن أبي وقاص « رضى الله عنه » .

٥ ـ عبد الرحمن بن عوف « رضى الله عنه » .

٦ ـ عبد الله بن مسعود « رضى الله عنه » .

وبهذا الإعداد السليم والنظر القويم أحكم المسلمون الدفاع عن المدينة وبات بقية الناس حضورا في المسجد النبوي .

وصدقت فراسة الصديق « رضي الله عنه » فما لبث الناس ثلاثة أيام حتى وصلت القبائل المغيرة وطرقوا المدينة ليلا وكانت خطتهم قائمة على مايلي :

---

(١) البريد مسافة من المقاييس القديمة ، وهي تقدر اليوم حسب المقاييس الحديثة بأربعة فراسخ والفرسخ يساوى ثمانية كيلو متر فيكون البريد « ٣٢ » اثنين وثلاثين كيلاً انظر المعالم الآتية ص١١ .

(٢) البداية والنهاية ٣٥٢/٦ .

١ ـ الغارة الليلية حتى تكون مفاجأة للمسلمين فلا يستطيعون فعل شيء فتسقط المدينة .

٢ ـ وضع كمائن في « ذي حي » ليكونوا ردءا لهم[١] خطة القائد « رضي الله عنه » وتنفيذها .

وقد قام الحرس على الفور بأبلاغ الخليفة « رضي الله عنه » بالغارة فأصدر أمر قيادة مؤدّاه .

أ / « أن الزموا أماكنكم » .

ب / ثم خرج بأهل المسجد على النواضح « أي الأبل » فكانت مفاجأة شتت الحدود المهجم وتبعد حتى بلغوا « حسى » .

ج / خرج الكمين الذى أعدته القبائل المهاجمة والتقوا مع الجمع فكان الفتح والنصر للمسلمين .

د / رأى الصديق « رضي الله عنه » ببصيرته النافذة أن يخرج إلى الأعراب الذين حول المدينة والذين أغاروا عليها ، فتواجه مع أعدائه من :

١ ـ بني عبس .

٢ ـ بني مرة[٢].

٣ ـ ذبيان .

٤ ـ مؤيديهم من كنانة .

---

(١) الة حل ٢/٢٣٢ ٣/٢٤٥ .

(٢) عبس : بلفظ القبيلة : حاء بنجد ، ديار بني أسد ، معجم ما أستعجم ٢/٩١٧ وهي بطن من غطفان من العدنانية ، وهم بنو عبس بن بغيض بن ويث بن غطفان نهاية الأدب في معر فة أنساب العرب للقلقشندي ص١٨٠ ونهاية الأدب للنويري ٢/٣٤١ بنو مرة : بطن من بني ذبيان من بغيض من غطفان من العدنانية نهاية الأدب للقلقشندي ص٢٥٤ بنو كنانه ، بطن من مضر بن القحطانية / نهاية الأدب للقلقشندى ص٤٠٩ .

وتواجه القوم حيث صنع الأعداء مكيدة جمعوا فيها بعض الأنحاء ـ الزق ـ ونفحوها ثم أرسلوها من رءوس الجبال فلما رأتها إبل المسلمين نفرت ، وذهبت في كل مكان فلم يملكوا من أمرها شيئا إلى الليل .

هـ / تفكر الصديق في الأمر مليا ، ثم رأى المسلمين بعثوا إلى عشائرهم من نواحي مختلفة فاجتمعوا فأخذ الصديق يجيء الناس طوال الليل .

و / وضع الصديق خطته على مباغته العدو آخر الليل في تعبئة جعل فيها على الميمنة النعمان بن مقرن وعلى الميسرة أخاه عبد الله بن مقرن ، وعلى الساقة أخاهما سويد بن مقرن فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين حسًا وهمسا حتى وضعوا فيهم سيوفهم فما طلعت الشمس حتى ولو هم الأدبار ، وغلبوهم على عامة ظهورهم .

ز / رأى الصديق أن يتبع أثرهم حتى وصل إلي ذى القصة وكان أول فتح ذل به المشركون ، وعز به المسلمون .(١)

الدفاع عن المسلمين دفاع عن الدعوة

بعد هذا النصر العظيم توقدت مراجل الحقد في قلوب أعداء الإسلام وأرادوا الانتقام لأنفسهم ، فوثبت عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوهم ، وفعل من وراءهم كفعلهم . فما تصرف القائد المسلم للدفاع عن دعوته وأهلها ؟

والجواب عن ذلك أن أبا بكر صمم أن ينتقم للمسلمين الشهداء ، وأن يؤدب هؤلاء الحاقدين وكان التنفيذ كما يلي :

أ ـ ركب أبو بكر « رضي الله عنه » في الذين كانوا معه ـ في الوقعة المتقدمة ـ إلى ذى القصة فقال له المسلمون : لو رجعت إلى المدينة وأرسلت

---

(١) البداية والنهاية ٦/٣٥٣ وذى القصة موضع على بعد بريد من المدينة ٣٢ كيلا .

رجلا فقال : والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي فخرج في تعبئته إلى ذى حسى وذي القصة .

ب ـ ظل النعمان وعبد الله وسويد بنو مقرن على ما كانوا عليه في الوقعة السابقة .

ج ـ خرج الصديق حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق[1] وهناك جماعة من بنى عبس وذبيان ، وطائفة من بني كنانة فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفا وأخذ الحطيئة أسيرا ، فطارت بنو عبس ، وبنوبكر .

د ـ أقام الصديق على الأبرق أياما ، وقد غلب بني ذبيان على البلاد وقال : حرام على بني ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذا غنمناها الله ، وحمي الأبرق لخيول المسلمين ، وأرعى سائر بلاد الربذَة الناس على بنى ثعلبة .

هنا استفاد المسلمون ودعوتهم عدة فوائد :

١ ـ كانت من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله .

٢ ـ عز المسلمون من كل قبيلة ، وأصبحت لهم الهيبة في كل النفوس : وأقول : إن هذه بركة الجهاد والبذل في سبيل الله .

إن الناظر إلى ضياع المسلمين اليوم يجد أهم الأسباب المؤثرة في ذلك : تركهم الجهاد في سبيل الله ، حتى أصبح الدم المسلم اليوم أرخص دم على الأرض يراق فلا يتحرك لذلك إنسان !! وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أبرق الربذة : بالتحريك والذال محجمة : موضع كانت به وقعة أهل الردة وأبي بكر « رضي الله عنه » ذكر في كتاب الفتوح أنه كان من منازل بني ذبيان فغلبهم عليها أبو بكر لما ارتدوا وجعله حمى لخيول المسلمين . وهذا الموضع عنى زياد بن حنظلة بقوله :

ويوم بالأبارق قد شهدت .. على ذبيان يلتهب التهابا

أتيناهم بداهية وإدٍّ .. مع الصديق إذ ترك العتابا

ياقوت ١/٦٨ .

« حيث قال : « ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ الجهاد[1] .

٣ ـ ذل الكفار في كل قبيلة ، وأضحت نفوسهم مملوءة رعبا وفزعا ، وأدركوا أن الإسلام لم يضعف ، لأن رجاله الذين رباهم محمد ، مازالواعلى العهد سائرين .

٤ ـ رجع أبو بكر إلى المدينة مؤيدا منصورا سالما غانما ، مؤجد عطاء الله واسعا حيث وصلت الصدقات التي يحملها عدى بن حاتم ، وصفوان ، والزبرقان ، وذلك على رأس ستين ليلة متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ قدم أسامة بن زيد بعد عدة ليال فاستخلفه الصديق على المدينة ، وأوهم أن يريحوا ظهورهم وخرج إلى الجهاد شاهرا سيفه مسلولا ، فتشاور معه الصحابة حيث وصل إلى ذى القصة فأشاروا عليه أن يبقى في المدينة ، وأن يبعث البعوث لقتال المرتدين ، فنزل على رأيهم .[2]

(١) الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه : الترمذي في سننه / كتاب الإيمان باب ماجاء في حرمة الصلاة وقال حسن صحيح ١٢١٥ ـ ابن ماجه في سننه كتاب الفتن / باب كف اللسان في الفتن ١٣١٢/٢ كلاهما عن معاذ « رضي الله عنه » .

(٢) الطبرى ٢٤٧/٣ من طريق السرى عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد ، والكامل ٢٣٣/٢ ، تاريخ أبي زرعة ١٧٠/١ ، البداية ٣١٩/٣١٨/٦

ألوية الجهاد :[1]

استعد الصديق « رضي الله عنه » لقتال أهل الردة استعدادا عسكريا يتوافق مع خطر هذه الحروب وأهميتها فدقق في اختيار القواد الذين سيدبرون دفة هذه المعارك فعقد أحد عشر لواء بيانها مايلي :

١ ـ اللواء الأول : عقده لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة إن أقام له[2] .

٢ ـ اللواء الثاني : لعكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة الكذاب[3]

٣ ـ اللواء الثالث : للمهاجر بن أبي أمية إلى العنسيّ باليمن ، ومعونة الأبناء على قيس بن المكسوح ، ثم يمضى إلى كندة بحضرموت[4] .

٤ ـ اللواء الرابع : لخالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام[5] .

---

(١) انظر الطبرى ٣/٢٤٦ ، تاريخ أبي زرعة ١/١٧٢ .

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، سيف الله تعالى ، وفارس الإسلام ، وليث المشاهد السيد الإمام الأمير الكبير قائد المجاهدين أبو سليمان القرشي المخزومي المكي أسلم أول يوم من صفر سنة ٨هـ حيث قدم المدينة صلى الله عليه وسلم » بالنبوة فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بوجه طلق فأسلم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لايسلمك إلا الى خير فبايع رسول الله صلي الله عليه وسلم شهر موته وانحاز بالمسلمين عن عدوهم وقاد حروب الردة والفتوح . انظر في ترجمة ابن سعد ٤/٢٥٢ ، الاستيعاب ١/٤٠٥ الإصابة ١/٤١٢ سير أعلام النبلاء ١/٣٦٦ .

(٣) عكرمة بن أبي جهل . قائد مظفر ، ومقاتل مغوار ، أسلم سنة ثمان بعد الفتح وحسن إسلامه كان مجتهدا في قتال المشركين مع المسلمين ، ووجه أبو بكر إلى عمان لما ارتدوا فظهر عليهم ثم وجهه إلى اليمن ثم اشترك في فتوح الشام حتى قتل يوم اليرموك أو أجنادين شهيدا ، انظر في ترجمته الاستيعاب ٣/١٥٠ ، أسد الغابة ٤/٧٢ .

(٤) المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة القرشي المخزومي أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، بعثه أبو بكر لقتال من باليمن من المرتدين ثم فتح حصن « النُجيره » بحضرموت ، وله في قتال الردة باليمن أثر كبير انظر ترجمة الإستيعاب ٣/٤١٥١ ـ أسد الغابة ٥/٢٧٨ .

(٥) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية من السابقين الأولين كان ثالثاً أو رابعاً أو خامساً هاجر إلى الحبشة أمره أبو بكر على مشارق الشام في الردة : استشهد يوم مرج الصفر أو أجنادين انظر ترجمة الاستيعاب ١/٣١٩٨ ، الإصابة ٤٦٨ .

٥ ـ اللواء الخامس : لعمرو بن العاص إلى قضاعة .[١]

٦ ـ اللواء السادس : لحذيفة بن محصن الحميري إلى دُبًا .[٢]

٧ ـ اللواء السابع : لشرحبيل بن حسنة في إثر عكرمة ثم إلى قضاعة .[٣]

٨ ـ اللواء الثامن : لعرفجة بن هرثمة الأزدي إلى مهرة .[٤]

٩ ـ اللواء التاسع : لمعن بن حاجر السلمي إلى بني سليم ، ومن معهم من هوازن .[٥]

١٠ ـ اللواء العاشر : لسويد بن مقرن إلى تهامة اليمن .[٦]

١١ ـ اللواء الحادي عشر : للعلاء بن الحضرمي إلى البحرين .[٧]

---

(١) عمرو بن العاص . من شجعان العرب وأبطالهم ودهاتهم : أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قضاعة وبها أخواله ليتألفهم بذلك فلما كان بجذام وقف على مايسمى السلاسل وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فأمده بجمع من الصحابة بينهم أبو بكر وعمر واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان ثم سيره أبو بكر أميرا إلى الشام ، وولي فلسطين لعمر بن الخطاب ، وفتح مصر وظل واليا عليها إلى أن مات عمر « رضى الله عنه » انظر أسد الغابة ٢٤٦/٤ .

(٢) خذيفة بن محصن الحميرى الغطفاني ـ استعمله أبو بكر على عمان ، وذكر أبو عبيدة أنه دعا أهل عمان إلى الإسلام فأسلموا ما عدا أهل دبا انظر الإصابة ٣٣٢/١ .

(٣) شرحبيل بن حسنة سبق ص ١٩٧ .

(٤) عرفجة بن هرثمة بن عبد العزى البارقي أحد أمراء الفتوح وكانوا لايؤمرون إلا الصحابة ـ وقد أمر به الصديق « رضي الله عنه » صفر بن الجلندى : قال ابن دريد في الأخبار المنثورة حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : أوصى عمر عتبة بن غزوان فقال : وقد أمرت العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة فإنه نو مجاهدة ونكاية في العدو انظر الإصابة ٤٦٧/٢ .

(٥) معن بن حاجر السلمي كان هو وأخوه طريفة بن حاجر مع خالد بن الوليد مسلمين في قتال أهل الردة انظر في ترجمته الاستيعاب ٤٢٧/٣ أسد الغابة ٢٣٧/٥ .

(٦) سويد بن مقرن وأخوه النعمان وعبد الله من المجاهدين الأشداء في قتال الأعداء خرجوا ثلاثتهم مع الصديق لرد القبائل المغيرة على المدينة في الردة ثم أرسل الصديق سويدا إلى تهامة اليمن لردع المرتدين بها انظر في ذلك البداية والنهاية ٣٥٣/٦ وفي الترجمة راجع ابن سعد ١٩/٦ ، الاستيعاب ١٢٢/٢ ، ٤٩٤/٢ ، الإصابة ٩٩/٢ .

(٧) العلاء بن الحضرمي : عبد الله بن عماد الحضرمي استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على البحرين وأمره أبو بكر عليها انظر ترجمته ص١٩٧ .

الدعوة في الجهاد :

بعد هذا التنظيم البديع الذى يتجلى فيه حسن الإعداد ، وفطنة القائد في اختيار أمراء الجهاد نجد الدعوة البيانية القولية تطل بعد الدعوة بالسلاح أو معها ، لتقوم بدورها ، وتدلي بدلوها .

وقد برزت الدعوة البيانية في جملة كتب كتبها الصديق إلى أمرائه في حروب الردة وإلى غيرهم .

ونبدأ بذلك الكتاب الهام الذي دفعه الصديق إلى كل أمير من أمراء الجهاد ليقرأه على المرتدين حيث كانوا ، وفيه يقول « رضي الله عنه » .

بسم الله الرحمن الرحيم : « من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم » إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقام على إسلامه أو رجع عنه .

سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلال والعمى ، فإنى أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، نقر بما جاء به ونكفر من أبى ذلك ونجاهده ... أما بعد :

فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلي خلقه بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، فيهدى الله بالحق من أجاب إليه ، وحارب رسوله صلى الله عليه وسلم من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعا أو كرها .

ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمته ، وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب فقال « إنك ميت وإنكم ميتون »[١] ، وقال : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله

---

(١) النمر / ٣٠ .

الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين »[١] وقال « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون »[٢] . فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله لاشريك له فإن الله له بالمرصاد حتى يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، منتقما من عدوه يخربه ، وان تعتصموا بدين الله فإن كل من لم يهده الله ضال ، وكل من لم يعافه مبتلى ، ومن لم يعنه الله مخذول ، ومن هداه غير الله ضال .

قال تعالى : « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » ، لم يقبل الله له في الدين عملاً حتى يُقَد به .

ولم يقبل الله له في الآخرة صرفا ولا عدلا ، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه ، بعد أن أقر بالإسلام وعمل به ، اغترارا بالله وجهلا بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال تعالى « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه » الأية[٣] وقال « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير »[٤] .

وإني بعثت إليكم فلانا في جيش من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان وأمرته أن لايقبل من أحد إلا الإيمان بالله ، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل فإن أجاب وأقر ، وعمل صالحا قبل منه ، وأعانه عليه ، وإن أبى حاربه عليه حتى يفيء إلى أمر الله ، ثم لا يبقى على أحد منهم تحدر عليه ، وأن يحرقهم بالنار ، وأن يقتلهم كل قتلة ، وأن يَسبى النساء والذرارى ، ولا يقبل

---

(١) آل عمران /٤٤ .

(٢) الأنبياء /٣٤ .

(٣) الكهف ٥٠ .

(٤) فاطر /٦ .

من أحد غير الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله ، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم ، والداعية الأذان فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفُّوا عنهم وإن لم يؤذنوا فسلوهم ماعليهم فإن أبو عاجلوهم ، وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ماينبغي منهم .[1]

ونرى دور الدعوة بارزا فيما يلي :

١ ـ توجيه الكتاب إلى العامة والخاصة ليسمع الجميع دعوة الله .

٢ ـ بيان أن الله بعث محمدا بالحق فمن أقربه كان مؤمنا ، ومن أنكر كان كافرا يجاهد ويقاتل .

٣ ـ بيان أن محمدا ، بشر قد حق عليه قول الله « إنك ميت »[2] وأن المؤمن لايعبد محمدا « صلى الله عليه وسلم » وإنما يعبد الله الحي الباقي الذي لايموت أبدا ، ولذلك لاعذر لمرتد يرتفع به السيف عنه .

٤ ـ توجيه الدعوة إلى كل من ارتد فإن قبلوها كف المسلمون أذاهم عنهم وإن رفضوها فلا عذر لهم في وجوب قتلهم .

٥ ـ أنه لايقبل من أحد الا الإسلام أى الإسلام الكامل الذى لا يقبل المزاحمة من غيره أو التنازل عن جزء منه « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعلمون » .[3]

ثانياً : كتاب الصديق إلى أمرائه وقواده في حروب الردة :

بعد أن رأينا الصديق « رضي الله عنه » يكتب للمرتدين ويقيم عليهم الحجة

---

(١) انظر في ذلك الطبري .

(٢) الزمر ٣٠ .

(٣) سورة البقرة جزء من الآية /٨٥ .

نجده يكتب لأمرائه في حروب الردة يقول : « هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حيث بعثه لقتال من رجع عن الإسلام ، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع من أمره كله سره وجهره وأمره بالجد في أمر الله ، ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له ، ثم ينبؤهم بالذى عليهم والذى لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذى لهم ، لاينظرهم ولا يرد المسلمين من قتال عدوهم ، فمن أجاب إلى أمر الله وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف ، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استتر به ، ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمة لايقبل الله من أحد شيئا مما أعطى إلا الإسلام ، فمن أجابه وأقر قبل منه وأعانه ، ومن أبى قاتله فإن أظهره الله عليه عز وجل قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس ، فإنه يبلغناه ويمنع أصحابه العجلة والفساد وأن لايدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ماهم عليه لئلا يكونوا عيونا ، ولئلا يوتي المسلمون من قبلهم . وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ، ويتفقدهم ولايعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين من حسن الصحبة ولين القول . »(١)

وظاهر من الكتاب أن الصديق « رضي الله عنه » يرسم لقواده وأمرائه كيف يتحركون عبر خط سياسي معلوم يمثل فيما يلي :

١ ـ أن يلزموا أنفسهم تقوى الله عز وجل ومراقبته في السر والعلن :

وهذا عين الصواب في هذه السياسة الرشيدة لأن القائد إذا ألزم نفسه

---

(١) الطبرى ٣٠/٥١ في البداية والنهاية ٦/٣٢٠ .

تقوى الله عز وجل كان معه « إن الله مع الذين اتقوا والّذين هم محسنون »[1] كما أن التقوى تجعل القائد قدوة حسنة للجنود .

٢ ـ الجد والاجتهاد وإخلاص النية لله سبحانه ، وتلك أخلاق المنصورين الفائزين ، « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين »[2]

٣ ـ تقوم السياسة الإسلامية على دعوة المخالفين أولا إلى الإسلام ، وبيان حالهم لو أسلموا حيث يصبحون إخوانا للمسلمين لهم مالهم وعليهم ما عليهم .

٤ ـ والذى لا يقر بالإسلام ولا يرضى به بعد دعوته إليه ، وإقامة الحجة عليه : شن المسلمون غارتهم عليه حتى يقر ثم يخبره القائد بالذى لهم والذى عليهم .

٥ ـ لاينظر القائد المرتدين ولا يمهلهم ولا يرد المسلمين عن قتالهم .

٦ ـ من قبل من المرتدين أمر الله وأقر له قبل منه القائد ذلك وإعانه على المعروف .

٧ ـ متى أظهر الله المسلمين على عدوهم أعملوا فيهم القتل جزاء عنادهم وكفرهم .

٨ ـ يقوم القائد بتقسيم الغنائم على المجاهدين ويرسل الخمس إلى بيت مال المسلمين .

٩ ـ يمنع القائد جنده من العجلة والفساد فإن فشوّ الفساد والعجلة من أسباب الهزيمة .

١٠ ـ يحتاط القائد في دخول الأفراد الذين لايعرفهم فلا يدخل إلى المسلمين أناسا أو يلحقهم بهم إلابعد معرفتهم حتى لايكونوا عيونا للمسلمين ، وجواسيس عليهم فيؤتى المسلمون من قبلهم .

---

(١) النحل ١٢٨ .

(٢) العنكبوت ٦٩ .

١١ ـ أن يقتصد القائد بالمسلمين ، ويرفق بالمجاهدين في السير والمنزل ، ويشرف عليهم ولا ينسى أن يتفقد أصولهم في حسن صحبة ولين القول .

وهكذا تتبدى الحنكة السياسية ، والتجربة العملية ، والعلم الراسخ ، والفتح الرباني في هذا الكتاب الذى يأخذ بيد المسلمين إلى نشر دعوتهم ، وحمايتهم من الردة والمرتدين ، والمطلع على الفقرات السابقة يغنيه بيانها عن كل شرح .

ثالثا : كتاب أبي بكر الصديق « رضي الله عنه » إلى أهل اليمن للجهاد في سبيل الله :

من الدعوة البيانية : كتاب الصديق إلى أهل اليمن يدعوهم فيه إلى الجهاد في سبيل الله وقد جاء الكتاب كما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم » من خليفة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » إلى من قرىء عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن :

سلام الله عليكم . فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله الاهو : أما بعد : فإن الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا خفافا وثقالا ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

والجهاد فريضة مفروضة ، والثواب عند الله عظيم ، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا إلى ذلك ، وقد حسنت بذلك نيتهم ، وعظمت حسبتهم ، فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه ، ولتحسن نيتكم فيه ، فإنكم إلى إحدى الحسنيين ، إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة ، فإن الله تبارك وتعالى لم يرض لعباده القول دون العمل ، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق ويقروا الحكم بكتاب الله ، حفظ الله لكم دينكم ، وهدى قلوبكم ، وزكى أعمالكم ، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين » .

وقد بعث بهذا الكتاب مع أنس أبن مالك « رضى الله عنه » .(١)

في هذا الكتـاب يبـرز دور الصـديق « رضى الله عنه » في حث المسلمين وجمعهم للجهاد في سبيل الله ، وهو ما يمكن أن يسمى بالتعبئة العامة على طريقة الجيوش النظامية في هذا العصر .

١ ـ وكتابه إلى أهل اليمن يبدأ بحمد الله تعالى ثم يتبع طريقة الترغيب بذكر فضل الجهاد ، وثواب المجاهدين .

٢ ـ إخبارهم بقضية التعبئة العامة والاستنفار لقتال الروم واستثارتهم بذكر مسارعة إخوان لهم في ذلك .

٣ ـ ثم مطالبة أهل اليمن بالإسراع إلى الجهاد الذى هو الطريقة لحفظ الدين ونشر الدعوة .

٤ ـ ينتهي الخطاب بالدعاء لأهل اليمن ليحفظ الله لهم دينهم ، ويهدى قلوبهم ، ويزكي أعمالهم ويرزقهم ثواب المجاهدين الصابرين .

٥ ـ هذه السياسة الكلية الرشيدة التي بها تحشد القوى ، وتوظف الطاقات في سبيل الله عز وجل لافي سبيل أطروحات شرقية أو غربية .

رابعاً : كتابه إلى خالد بن الوليد « رضى الله عنه » :

خالد بن الوليد « رضى الله عنه » ذلك القائد الهمام المنتصر بتأييد الله سبحانه ، سيف الله المسلول على أعدائه ، كانت له وقعة مع مالك بن نويرة حيث قتله لشواهد رأى فيها إصراره على الردة ، فاعترض بعض لم يشاهد ذلك مع القائد خالد ، واشتكوا إلى الصديق « رضي الله عنه » فأعذر خالدا

---

(١) الطبرى ٨٤/٤ . فتوح الشام للواقدى ٤٢/١ ، الكامل ٢٧٦/٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٢٩/١ ، مقدمة ابن خلدون ص١٣٤ .

وقبل تأوله ثم أمره بالسير إلي جموع المسلمين باليرموك حتى يضرب الروم الشام وكتب إليه :

« أما بعد : سر حتى تأتي جمع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا وأشجوا ، وإيّاك أن تعود لمثل مافعلت ، فإنه لم يشج الجموع من الناس شجاك ، ولم ينزع الشجى من الناس نزعك ... فليهنك أبا سليمان النية والحظوة ، فأتمم يتمم الله لك ، ولايدخلنك عجب فتخسر وتخذل ، وإياك أن تُدِل بعمل فإن الله عز وجل له المن وهو وليّ الجزاء .[1]

هذا الخطاب الجليل من الخليفة الحكيم « رضى الله عنه » يصور مدى حرص الصديق « رضى الله عنه » على القواد الناجحين فيمدهم بالمشورة والنصائح التى تأخذ بيدهم إلى الفوز والتمكين بفضل الله :

١ ـ يأمر الصديق « رضى الله عنه » سيف الله خالد « رضى الله عنه » أن يترك العراق ويتوجه إلى اليرموك لعل الله يفتح على يديه في هذا الموقع .

٢ ـ ينصحه أن لايعود لمثل ماحدث في قضيَّة مالك بن نويره .

٣ ـ يأمره أن يسدد ويقارب ويجتهد مخلصا النية لله وحده .

٤ ـ يحذره من العجب بالنفس والزهو والفخر فذلك حظ النفس الذى يفسد العمل على العامل ويرده في وجهه . كما يحذره من أن يدل ويمنّ على الله بالعمل الذى يعمله فإن الله هو المان به إذ التوفيق بيده سبحانه « يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا عليَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » .[2]

---

(١) الطبرى ٣/٣٨٥ .

(٢) سورة الحجرات /١٧ .

خامساً ـ الدفاع عن الدعوة بقتال المرتدين :

كان أمام الدعوة عدد من الكذابين الذين أظهروا ردتهم وادعوا النبوة ، وتبعهم الهمج من الناس . ومنهج الدعوة هنا يقوم ـ كما سبق ـ على توجيه رسالة الصديق إليهم فإن قبلوا ودخلوا في دين الله كما أراده الله ـ لا كما يريدونه هم ـ كف المسلمون عنهم ، وإلا كانت السيوف ناطقة بالحق وكلمة الفصل بين الناس .

وسوف أقف مع دفاع المسلمين عن دعوتهم ، وضربهم للكذابين ، وقضائهم على فتنة الردة بأجمعها .

أولا : القضاء على الأسود العنسي :

كان الأسود واسمه ـ عبهلة بن كعب بن عوف العنسى ـ وهى بطن من مذحج[1] ـ لما عاد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » من حجة الوداع ، وتمرض في السفر غير مرض موته بلغه ذلك فادعى النبوة ، وكان مشعوذا يريهم الأعاجيب .[2]

وكانت ردته أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وكانت خطته في الردة قائمة على مايلي :

١ ـ غزو نجران : وقد غزاها الأسود وأخرج عنها عمرو بن حزم ، وخالد بن سعيد .[3]

---

(١) مذحج واسمه مالك قبيلة من كهلان ، قال ياقوت : على قول ابن الكلبى بنو الحارث بن كعب كلهم بطن من مذحج . المعجم ٨٩/٥ ، نهاية الأرب للقلقشندي ص٤١٧ .

(٢) تاريخ خليفة ص٩٩ ـ الكامل ٢٢٨/٢ .

(٣) نجران بالفتح ثم السكون وآخره نون : من مخاليف اليمن من ناحية مكة سمى بنجران بن زيدان لأنه أول من عمرها . ياقوت ٢٦٦/٥ هذا وعمرو بن حزم بن زيد الأنصارى شهد الخندق وما بعدها واستعمله النبي « صلى الله عليه وسلم » على نجران مات في خلافة عمر « رضى الله عنه » انظر في ترجمته الاستيعاب ٥١٠/٢ ، الإصابة ٥٢٤/٣ . وخالد بن سعيد سبقت ترجمته ص٢٤٨ .

٢ ـ غزو مراد : وقد قام به من أتباع الأسود قيس بن عبد يغوث فوثب على فروة بن مسيك فأجلاه ونزل منزله .[١]

٣ ـ غزو صنعاء : وقد قام به الأسود فخرج إليه شهر باذان فلقيه فقتل شهر ، وخرج معاذ بن جبل حتى لحق بأبي موسى وهو بمأرب فلحقا بحضرموت ، ولحق بفروة بن مسيك ومن تم على أسلامه من مذحج .[٢]

٤ ـ استتب ملك اليمن للأسود ، وقفز على مابين مفاز حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والإحساء إلى عدن ، وطار أمره كالحريق ، وكان معه سبعمائه فارس سوى الركبان ، واستغلظ أمره .

٥ ـ كان خليفته فى مذحج عمرو بن معد يكرب ، وخليفته على جنده قيس بن يغوث ، وأمر الأبناء إلى فيروز داذويه .[٣]

كيف تم القضاء على الأسود ؟

١ ـ كان الأسود قد تزوج امرأة شهرباذان بعد قتله ، وهى ابنة عم فيروز ، والتى كان لها دور كبير في القضاء على الأسود .[٤]

٢ ـ تزوج معاذ بن جبل من السكون فأدى ذلك إلى تعاطفهم معه ومع

(١) مراد : بطن كهلان من القحطانية ، وقد جعلها الذهبي في العبر بطنا من مذحج . نهاية الأدب للقلقشندى ص٤١٧ . وفروة بن مسيك بالتصغير بن سلمى المرادى استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على مراد ومذحج وزبيد كلها وكان من وجوه القوم وله أحاديث ، وكان شاعرا محسنا . انظر في ترجمة الاستيعاب ١٩٥/٣ ، الأصابه ٢٠/٣ .

(٢) تاريخ خليفة ص٩٩ ، الطبرى ٢٢٩/٣ ، البداية ٣٣١/٦ ، الكامل ٢٢٨/٢ .

(٣) نفس المراجع السابقة .

(٤) شهرباذام استعمله النبى « صلى الله عليه وسلم » على صنعاء فلما ادّعى الأسود النبوة قاتلهُ شهر فقتل شهر لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود . انظر أسد الغابة ٥٣٣/٢ .

المسلمين .[1] وقال الطبري : وقد تزوج معاذ من بنى بكرة : حيّ من السكون فحدبوا لصهره على المسلمين .[2]

٣ ـ جاءت كتب النبى « صلى الله عليه وسلم » إلى معاذ حُشَيْش الديلمى ، وفيروز ، وداذويه بقتال الأسود إما مصادمة ، وإما غيلة ، وأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بمكاتبة من عنده دين فوجدوا أمرا كثيفا .[3]

٤ ـ تغير الأسود لقيس بن عبد يغوث فخاف قيس على دمه ، فرأى فيروز وأصحابه أن هذا وقت مناسب لدعوته إلى ماجاء بكتاب النبى « صلى الله عليه وسلم » فاستبشر بذلك وعمل على تنفيذه .

٥ ـ دعا الأسود قيسا وقال : إن شيطانى يخبرني بأن أقتلك فحلف له قيس حتى اطمأن ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم بسرعة العمل .

٦ ـ استعانوا بامرأة شهرباذام حتى دلتهم على نقب حائط حجرة الكذاب فنقبوها ثم دخلوا عليه فقتله فيروز .

٧ ـ لما طلع الفجر نادى فيروز ومن معه بشعارهم ثم أذنوا ، وألقوا برأس الكذاب إلى الناس فهزم أتباعه وغادروا صنعاء .

٨ ـ كتب المسلمون بهذا النصر إلى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وأتاه الخبر من الليلة ، قال ابن عمر : أتى الخبر من السماء إلى النبى « صلى الله عليه وسلم » فى الليلة التى قتل فيها فقال : « قتل العنسيّ » قتله رجل

---

(١) كندة والسكون : مخلاف من مخليف اليمن : انظر : المالك والممالك لابن خرداذبة ، وأحسن التقاسيم للبشارى ص٩٢ .

(٢) الطبرى ٣/٢٣٠ .

(٣) حشيش الديلمي كان ممن كاتبه النبى « صلى الله عليه وسلم » فاشترك مع فيروز ودانويه فى قتله ـ الطبرى ٣/٢٣١ ، أسد الغابة ١/٣٣٧ .

مبارك من أهل بيت مباركين ، قيل من قتله ؟ قال : قتله فيروز »[1]

٩ ـ تأخر وصول البشير إلى ما بعد موت الرسول « صلى الله عليه وسلم » فكان أول بشارة أتت أبا بكر وهو في المدينة .[2]

ثانياً : القضاء على ردة طليحة الأسدى :[3]

ظهرت فتنة طليحة فى حياة النبى « صلى الله عليه وسلم » وكان ضرار بن الأزور[4] عامل النبى « صلى الله عليه وسلم » على بنى سعد فأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتى ضرب بالسيف فلم يفعل فيه شيئا فشاع بين الناس أن السلاح لايعمل فيه فكثر جمعه . واجتمعت حوله العصبية ، ومات النبى « صلى الله عليه وسلم » وطليحة : يسجع للناس ويكذب !! فكيف تم القضاء عليه ؟

والجواب عن ذلك : أن الصديق « رضى الله عنه » وضع لذلك برنامجا عمليا مدروساً كما يلي :

١ ـ أرسل خالد بن الوليد « رضى الله عنه » إلى ذى القصة ، وهناك فارقه الصديق وأظهر أمام الناس أنه سيلقاه من ناحية خيبر ومن معه من الأمراء وذلك يرعب الأعراب وتلك خطة حكيمة .

---

(١) أخرجه احمد فى مسنده ٢٦٣/١ عن ابن عباس ، وأخرجه سيف بن عمر عن أبى القاسم الشنوى عن العلاء بن زيد عن ابن عمر . البداية والنهاية ٣١٤/٦ .

(٢) الطبرى ٢٦٣/٣ ـ البداية والنهاية ٣١٤/٦ .

(٣) طليحة بن خويلد الأسدى : ارتد بعد النبى « صلى الله عليه وسلم » وادعى النبوة ، وكان فارسا مشهوراً بطلاً اجتمع عليه قومه ، فخرج إليهم خالد بن الوليد فانهزم طليحة ولحق بالشام فأسلم وحسن إسلامه وأبلى في القادسية بلاء حسناً انظر في ترجمته الاستيعاب ٢٢٩/٢ أسد لطابة ٩٥/٣ .

(٤) ضرار بن الأزور : كان فارسا شجاعا شاعرا ، شهد قتال مسيلمة باليمامة وأبلى فيه بلاء حسنا حتى قطعت ساقاه جميعا ، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت . انظر في ترجمته : الاستيعاب ٢٠٤/٢ ، أسد الغابة ٥٢/٣ .

٢ ـ جاء جنود خالد فبعثوا طلائع من الجند تتمثل فى ثابت بن أقرم ، وعكاشة ابن محصن ،[١] فتلقاهما طليحة وأخوه سلمة فتبارزوا ، واستشهد ثابت وعكاشة فشق ذلك على المسلمين ، فمال خالد إلى طيء[٢] فاستنظره عدى ابن حاتم ثلاثة أيام حتى يبعثوا إلى من لحق بطليحة منهم حتى لايميل عليهم طليحة فيقتلهم ، وجاء بعد ثلاث في خمسمائة ممن راجع الحق فانضافوا إلى جيش خالد ، ثم مال خالد إلى جديلة[٣] فاستنظره عدى أياما فردهم إلى الحق ، ولحق منهم ألف راكب بجيش خالد .

٣ ـ التقى خالد مع طليحة في بزاخة[٤] ، ووقفت أحياء كثيره من العرب ينظرون على من تكون الدائرة ، وكان عيينة بن حصن الفزارى[٥] قد ناصر طليحة ومعه سبعمائة من بنى فزارة ، والتف الناس وحميت المعركة .

---

(١) ثابت بن أقرم بن ثعلبة البلوى ثم الأنصارى شهد بدرا والمشاهد كلها ، ثم شهد غزوة مؤتة فدفعت إليه الراية بعد استشهاد ابن رواحة فدفعها ثابت إلى خالد بن الوليد ، وقال : أنت أعلم بالقتال منى . قتل شهيدا مع عكاشة فى حرب طليحة انظر فى ترجمة ، الاستيعاب ١٩٢/١ ، الإصابة ١٩٢/١ ، أسد الغابة ٢٩٥/١ . أما عكاشة بن محصن بن حُرْثان الأسدى من السابقين الأولين ، وشهد بدرا ـ كان من سادات الصحابة وعقلائهم ورد ذكره فى حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهو في الصحيحين عن ابن عباس ـ استشهد مع ثابت بن أقرم بن طليحة الأسدى ـ انظر فى ترجمته ، الإصابة ٤٨٨/٢ ، أسد الغابة ٦٨/٤ .

(٢) طيء قبيلة من كهلان ، والنسبة إليهم طائى ، وإليهم ينسب حاتم الطائى ، ومنهم زيد الخيل الذى وفد على النبى « صلى الله عليه وسلم » فى وفد طيء ، كانت منازلهم باليمن فخرجوا على إثر الأزد إلى الحجاز ونزلوا سميراء . نهاية الأرب للقلقشندى ص٣٢٦ ، معجم قبائل العرب . لكحالة ٦٨٩/٢ .

(٣) جديلة : بالفتح ثم الكسر ، قبيلة من طيء . ياقوت ١١٥/٢ نهاية الأرب للقلقشندي ص٢٠٥ .

(٤) بزاخة : بضم أوله وبالخاء المعجمة ماء بطيء ، وقال أبو عمر الشيباني ماء لبنى أسد . انظر معجم ما استعجم ٢٤٦/١ . هذا : وعدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى ولد الجواد المشهور ، أسلم سنة تسع أوعشر وثبت على إسلامه في الردة ، وأحضر صدقات قومه إلى أبى بكر ، وشهد فتح العراق ، وسكن الكوفة ، وشهد صفين مع علي ومات بعد الستين ـ الإصابة ٤٦١/٢ .

(٥) عيينة بن حصن الغزارى : أسلم بعد الفتح وقيل قبله وشهد الفتح مسلما ، شهد حنينا ==

٤ ـ قدم عيينة بن حصن إلى طليحة ، وهو ملتف فى كساء يتنبأ ، فسأله : هل أتاك وحى ؟ فرد لا .. فعاد فقاتل قتالا شديدا ثم سأله : هل أتاك جبريل ؟ قال لا ، فعاد فقاتل ثم جاءه وسأله فقال في الثالثه : نعم جاء جبريل ، قال فماذا قال لك ؟ فأجاب قائلا : قال إن لك رحىً كرحاه ، وحديثا لاتنساه ، فنادى عيينة بنى فرازه فانصرفوا وكبس المسلمون المهزومين من بنى أسد فتفرقت جموعهم ، وهرب طليحة مع امرأته إلى الشام .

٥ ـ وصل خبر النصر إلى الصديق « رضى الله عنه » فكتب إلى خالد بن الوليد « رضى الله عنه » ليزدك ما أنعم الله به خيرا ، واتق الله في أمرك فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » جد في أمرك ولا تكن ، ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكلت به ، ومن أخذت ممن حاد الله أو ضاده ممن يرى أن في ذلك صلاحا فاقتله .[٢] وأقام خالد في بزاخة شهرا يتتبع هؤلاء حتى قضى عليهم ، وأدخل مهابة المسلمين من كل القلوب .

٦ ـ اجتمع الفارون المنهزمون يوم بزاخة إلى امرأة يقال لها « أم زمل » دعتهم إلى قتال خالد بن الوليد ، واجتمع بهم فلول من طيء ، وهوازن ، وأسد[٣] ، وكونوا جيشاً كثيفا ، فالتقى خالد بهم وتقاتلوا قتالا شديدا خذل الله فيه المرتدّين ونصر المؤمنين ، وبعث خالد بالفتح إلى الصديق « رضى الله عنه » .

= أو الطائف وكان من المؤلفة قلوبهم ـ ومن الأعراب الجفاة ـ ارتد مع طليحة فأسر ثم حمل إلي أبى بكر فأسلم فأطلقه أبو بكر ـ انظر في ترجمة : الاستيعاب ١٩٧/٣ .

(١) تاريخ خليفة ٦٥/١ ، ٦٦، تاريخ الطبرى ٢٥٦/٣ الكامل ٢٣٥/٢ ـ البداية والنهاية ٣٢٢/٦

(٢) البداية والنهاية ٣٢٣/٦ .

(٣) هوازن : بطن من قيس بن عيلان من العدنانية نهاية الأرب للقلقشندي ص٤٤٢ . وبنو أسد : حيٌ من بنى خزيمة من العدنانية وبلادهم مما يلى الكرخ . من أرض نجد بجوار طيء ـ المرجع السابق ص٣٧ .

ثالثاً : القضاء على مسيلمة الكذاب :[1]

بعث الصديق « رضى الله عنه » خالدا إلى بنى حنيفة باليمامة ، وأوعب معه المسلمين ، وعلى الأنصار : ثابت بن قيس بن شماس ، فسار لايمر بأحد من المرتدين إلا نكل بهم .

كيف تم القضاء على مسيلمة الكذاب ؟

١ ـ أرسل الصديق « رضى الله عنه » عكرمة بن أبى جهل ، وشرحبيل بن حسنة « رضى الله عنه » قبل خالد إلى مسيلمة ، فعجل عكرمة قبل وصول شرحبيل فناجزهم فنكب ، ثم عجل شرحبيل أيضا فنكب ، فانتظروا قدوم خالد .

٢ ـ علم مسيلمة بقدوم خالد فعسكر فى « عقرباء »[2] وحشد الناس فاجتمع له أهل اليمامة بنجد كثيف .

٣ ـ أسر خالد مجموعة بقيادة مجاعة بن مرارة[3] فقتلهم واستبقى مجاعة لشرفه وعلمه بفنون الحرب ، وأسره فى خيمته مع أم تميم امرأته .

٤ ـ التقى الصفان ، واشتدت المعركة ، وحميَ الوطيس ، وخطب مسيلمة فى قومه يستحثهم على الثبات والقتال ، وكانت جولة فانهزم الأعراب حتى

---

(١) مسيلمة ـ بن حبيب الكذاب المتنبيء ، قتله سيف الحق ، وقضى عليه عزم الصديق ، وخذله الله سبحانه ، انظر فى تفصيل ردته : تاريخ خليفة ٧٢/١ ، تاريخ الطبرى ٢٨١/٣ ، الكامل ٢٤٣/٢ ، البداية ٣٢٨/٦ ، تاريخ ابن خلدون ٨٧٦/٤ .

(٢) « عقرباء » بلفظ العقرب من الحشرات : منزل من أرض اليمامة في طريق النباج ، خرج إليها مسيلمة لما بلغه مسير خالد إليه ، فنزل بها لأنها طرف اليمامة فقتل بها . مراصد الاطلاع ٩٤٩/٢ .

(٣) مجاعة بن مرارة بن سلمى وقيل سليم بن زايد الحنفى اليمامى ـ كان من رؤساء بنى حنيفة وأسلم ووفد ، وأسر يوم اليمامة فاستبقاه خالد وأرسله إلى أبى بكر ، انظر الاستيعاب ٤٨٣/٣ ، الإصابة ٣٤٢/٣ ، أسد الغابة ٦١/٥ .

دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد ، وهموا بقتل زوج خالد فأجارها مجاعة .

٥ ـ تذامر أصحاب النبى « صلى الله عليه وسلم » فيما بينهم ، كيف يحدث هذا ؟ وقال ثابت بن قيس : بئس ماعودتم أقرانكم ، ونادوا من كل مكان : أخلصنا ياخالد ، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار ، وحمس البراء بن مالك[1] وكان شديد البطش يثور كالأسد .

٦ ـ جعل الصحابة يتواصون : ياأصحاب سورة البقرة ، بطل السحر اليوم ، وحفر ثابت بن قيس لقدمية في الأرض إلى أنصاف ساقيه وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن ، فلم يزل ثابت حتى قتل هناك ، وحمل خالد ابن الوليد مع المسلمين حتى جاوزوا بنى حنيفة .

٧ ـ علم خالد أن الأمر لن ينتهي حتى يقتل مسيلمة فأخذ ينتظر الفرصة لذلك حتى انهزم العدو ، ودخلوا الحديقة فتسورها البراء بن مالك ، وفتح بابها فدخلها المسلمون حتى وصل وحشي بن حرب[2] إلى مسيلمة فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الناحية الأخرى فسارع إليه أبو دجانة[3] فضربه

---

(١) البراء بن مالك بن النضر الأنصارى ، شهد أحدا وما بعدها من المشاهد مع النبى « صلى الله عليه وسلم » ، وكان أحد الفضلاء ومن الأبطال الأشداء ، قتل من المشركين مائة رجل مبارزة ، سوى من شارك في قتله وله يوم اليمامة موقف مشهور . انظر في ترجمته : الاستيعاب ١٤٣/١ ، الإصابه ١٤٧/١ ، أسد الغابة ٢٠٦/١ .

(٢) وحشي بن حرب : مولى بن نوفل ، أسلم مع قدوم وفد الطائف وشارك في قتل مسيلمة وشهد حرب اليرموك ، سكن حمص ومات بها في خلافة عثمان « رضى الله عنه » انظر الإصابة ٥٩٤/٣ ، أسد الغابة ٤٣٨/٥ .

(٣) أبو دجانة : سماك بن خرشة الأنصاري الساعدى ـ شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وأعطاه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » سيفه يوم أحد ، ففلق به هام المشركين ، كان من الشجعان المشهورين ، وله عصابة حمراء يعلم بها في الحرب . استشهد يوم اليمامة بعدما أبلى بلاء حسنا ـ أسد الغابة ٤٥٢/٢ .

بالسيف فقتله ، وانهزمت بنو حنيفة ، واشتد فيهم القتال حتى انهزم الجميع ، وكان النصر حليف المؤمنين الصابرين .

رابعاً : القضاء على ردة البحرين :[1]

١ ـ كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قد بعث العلاء بن الحضرمى إلى ملك البحرين المنذر بن ساوى[2] فأسلم وأقام الإسلام والعدل فى قومه . وتوفى بعد وفاة النبى « صلى الله عليه وسلم » بقليل .

٢ ـ ارتد أهل البحرين بعد وفاة النبى « صلى الله عليه وسلم » وملكوا عليهم المنذر بن النعمان بن المنذر ، وقال قائلهم : لو كان محمد نبيا مامات !! وما بقى على الإسلام سوى أهل قرية « جواثا »[3] وقد حاصرهم المرتدون ، وضيقوا عليهم حتى منعوا عنهم الأقوات واشتد بهم الأمر .

٣ ـ قام الجارود بن المعلى[4] بدوره فى الدعوة إلي الله فخطب فيهم قائلا : يامعشر عبد القيس إنى سائلكم عن أمر فأجيبوني إن علمتموه ، ولا تجيبوني إن لم تعلموه ، فقالوا : سل قال : تعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد ؟ قالوا : نعم قال : تعلمونه أم ترونه ؟ قالوا نعلمه . قال : فما فعلوا ؟ قالوا ماتوا ، قال فإن محمدا رسول الله مات كما ماتوا . وإنى

---

(١) راجع ص١٩٧ .

(٢) العلاء بن الحضرمي ترجمة ، والمنذر بن مساوى بن الافنس التميمي الدرامى ، كتب إليه النبى « صلى الله عليه وسلم » مع العلاء بن الحضرمى فأسلم قبل الفتح ـ أنظر فى ترجمته الأصابة ٣/٤٣٩ ، أسد الغابة ٥/٢٦٧ .

(٣) « جواثا » بالضم وبين الألفين ثاء مثلثه تمد وتقصر ، حصن لعبد القيس بالبحرين . مراصد الاطلاع ١/٣٥٣ ، معجم ماستعجم ١/٤٠٢ .

(٤) الجارود بن المعلى : قدم سنه عشر وفد عبد القيس الأخير ، وسر النبى « صلى الله عليه وسلم » بإسلامه وكان حسن الإسلام ، صلبا في دينه ، وكان صهر أبى هريرة ، وكان معه بالبحرين انظر الإصابة ١/٢١٧ .

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله « صلى الله عليه وسلم »
قالوا : ونحن أيضا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وأنت أفضلنا وسيدنا ، وثبتوا على إسلامهم وتركوا بقية الناس فيما هم فيه .

٤ ـ بعث الصديق العلاء بن الحضرمى فلما دنى من البحرين قدم إليه ثمامة بن أثال وأمراء تلك النواحى فانضموا لجيش العلاء فرحب بهم وأكرمهم .(١)

٥ ـ اقترب العلاء من جيوش المرتدين ـ وكانوا جمعا عظيما ـ فباتوامتجاورين في المنازل فبينما المسلمون في الليل إذ سمع العلاء أصواتا عالية في جيش المرتدين ، فأرسل عبد الله بن حذف(٢) فدخل فيهم فوجدهم سكارى لايعقلون من الشراب ، فرجع فأخبر العلاء ، فركب من فوره والجيش معه ، فكبسوا المرتدين فقتلوا منهم العدد الهائل ، ولم يهرب منهم الا عدد قليل ، وغنم المسلمون الغنائم العظيمة .

---

(١) ثمامة بن أثال الحنفى : سيد أهل اليمامة : ظفرت به خيل الرسول « صلى الله عليه وسلم » بنجد فجاؤا به فأصبح مربوطا بأسطوانة عند باب الرسول « صلى الله عليه وسلم » فرآه فعرفه فقال : ماتقول ياثمام ؟ قال إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تمنن تمنن على شاكر ، وإن ترد المال تعط ماشئت وتكرر ذلك ثلاث مرات ثم أطلقه النبى « صلى الله عليه وسلم » فذهب فاغتسل ثم عاد فأسلم ، وثبت على إسلامه وحاول أن يثنى بنى حنيفة عن الردة ، فلم يسمعوا له ، فخرج من ثبت فانضم إلى العلاء بن الحضرمى فكان فزعا لأعداء الإسلام حين بلغهم عدد بنى حنيفة انظر الاستيعاب ٢٠٥/١ .

(٢) عبد الله بن حذف ـ أحد بني كلاب ـ حوصر مع أهل « جواثى » وأنشد :

ألا أبلغ أبا بكر رسولا … وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام … قعودا في جواث محاصرينا
كأن دماءهم في كل فج … شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا … وجدنا الصبر للمتوكلينا

٦ ـ ركب المسلمون خلف المنهزمين ، وقعدوا لهم كل مرصد فذهب جماعة منهم إلى دارين[١] بالسفن فأمر العلاء المسلمين باللحاق بهم فأتوا ساحل البحر ، ورأى العلاء أنهم لم يدركوا القوم في السفن فاقتحم البحر بفرسه وهو يدعو الله ، وعبر بقومه البحر ، ولم تغمر المياه أخفاف الإبل ، فقاتل العدو ولم يترك منهم أحدا ، وغنم المسلمون الخير الكثير من عدوهم .[٢]

خامسا : القضاء على ردة أهل عمان ومهرة :[٣]

١ ـ ظهر في عمان رجل يدعى « بذى التاج » ادعى النبوة وتابعه جهلة قومه فتغلب على عمان ومهرة وقهر عاملي أبي بكر « رضى الله عنه » جيفرا وعبادا[٤] وألجأهما إلى أطرافها فبعثا إلى الصديق فأخبراه الخبر ، فبعث « رضى الله عنه » أميرين هما :

١ ـ حذيفة بن محصن « رضى الله عنه »

٢ ـ عرفجة البارقي « رضى الله عنه »[٥]

---

(١) دارين : مدينة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند فينسب إليها ـ مراصد الاطلاع ٥٠٨/٢ معجم ما استعجم ٥٣٨/١ .

(٢) راجع تاريخ خليفة ٧٢/١ ، تاريخ الطبرى ٢٨٧/٣ .

(٣) تاريخ الطبرى ٣١٣/٣ ، الكامل ٢٥٢/٢ ، البداية والنهاية ٣٣٤/٦ ، ابن خلدون ٨٨٥/٤ هذا وعمان بضم العين وفتح الميم دون تشديد : اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن شرقي هجر ـ مراصد الإطلاع ٩٥٩/٢ ، ومَهْرة بالفتح ثم السكون ، والصحيح بالتحريك وهو مخلاف ينسب إليه مهرة وهم قبيلة من قضاعة بينه وبين عمان نحو شهر وكذلك بينه وبين حضرموت ـ مراصد الاطلاع ١٣٣٩/٣ .

(٤) ذو التاج لقيط بن مالك الأزدى كان يسمى في الجاهلية الجلندى ـ البداية ٣٣٤/٦ وجيفر وعباد بن الجلندى الأزدى ملك عمان أرسل النبى « صلى الله عليه وسلم » إليها عمرو بن العاص فاسلما وأسلم معها بشر كثير وكان إسلامهما بعد خيبر الإصابه ٢٦٥/١ ، ٣٧/١ .

(٥) حذيفة بن محصن ، وعرفجة البارقي سبقت ترجمتها ص٢٤٨ .

إلى عمان ومهرة ، وأمرهما أن يتفقا ويبتدئا بعمان ، ثم سير إليهم عكرمة « رضى الله عنه » .

٢ ـ لحق عكرمة حذيفة وعرفجة قبل أن يصلا إلى عمان وكتب إليهما الصديق أن ينتهيا عند رأى عكرمة بعد الفراغ من السير إلى عمان .

٣ ـ بلغ ذا التاج لقيط بن مالك مجيء جيش المسلمين فعسكر في دَبَا[١] وجعل الذرارى والأموال وراء ظهورهم ليكون أقوى للحراسة .

٤ ـ عسكر المسلمون في « صحار »[٢] وجاء أمراء الصديق ، فقدموا على المسلمين ، وتقابل الجيشان وتقاتلا قتالا شديدا ، وابتلي المسلمون وكادوا أن يولوا ، فمن الله عليهم وأرسل مددا في ساعة العسرة من بنى بياضة وعبد القيس[٣] في جماعة من الأمراء فلما وصلوا كان النصر ، وولى المشركون الأدبار ، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف وغنموا خيرا كثيرا .

٥ ـ سار عكرمة والمسلمون بعد هذه الوقعة إلى مهرة فوجدوا أهلها قد انقسموا إلى قسمين :

---

(١) دبا : بفتح أوله والقصر : سوق من أسواق العرب بعمان وهى مدينة عظيمة بعمان كانت قصبتها ـ مراصد الإطلاع ٥١١/٢ ، البداية ٣٣٥/٦ .

(٢) صُحَار : بالضم وآخره راء : هضبة عمان مما يلي الجبل ، وقوام قصبتها مما يلي الساحل : مدينة طيبة كثيرة الخيرات . مراصد الإطلاع ٨٣٣/٢ ، معجم ما استعجم ٨٢٥/٢ .

(٣) بنو بياضة : بطن من الخزرج من الأزد من القحطانية ـ نهاية الأرب للقلقشندى ص١٨٤ .
وبنو عبد القيس : بطن من أسد من ربيعة من العدنانية . كانت ديارهم بتهامة ثم خرجوا منها إلى البحرين ، وفدوا على النبى « صلى الله عليه وسلم » وأسلموا ، ومقدمهم يومئذ المنذر بن عائذ فكان له مكانة عند النبى « صلى الله عليه وسلم » ، وكان فيهم الأشج الذى قال له النبى « صلى الله عليه وسلم » : « إن فيك خصلتين يحبها الله ورسوله : الحلم والأناة » نهاية الأرب للقلقشندى ص٣٣٨ .

١ ـ جند كثيف على رأسهم المصباح أميرهم .

٢ ـ جند غير كثيف على رأسهم شخريت أميرهم .

ودب الخلاف بين الفريقين فكان رحمة للمسلمين ، ولذلك استغل عكرمة هذه الفرصة وأرسل إلى شخريت فأجابه وانضم إلى جند المسلمين فقوى المسلمون بذلك ، فأرسل عكرمة إلى المصباح فاغتر بكثرة جنده فسار إليه عكرمة بمن معه ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم فتح الله للمؤمنين ففر المرتدون ، وقتل المصباح ، وغنم المسلمون خيرا وافرا .[1]

سادساً : القضاء على ردة أهل اليمن :[2]

١ ـ بعد موت العنسي الكذاب والقضاء عليه بيد الأمراء الثلاثة ، قيس بن مكشوح وفيروز الديلمى ، وداذويه ، ازداد أهل اليمن شكا وحيرة بعد موت النبى « صلى الله عليه وسلم » .

٢ ـ طمع قيس بن مكشوح في إمرة اليمن وعمل لذلك فارتد عن الإسلام ، وتابعه عوام أهل اليمن .

٣ ـ كتب الصديق « رضى الله عنه » إلى الأمراء والرؤساء من أهل اليمن أن يكونوا عونا لفيروز ضد قيس بن مكشوح .

٤ ـ حرص قيس على اغتيال الأميرين فيروز ، وداذويه فعمل طعاما ودعاهما فقدم إليه داذويه فقتله قيس ، وعلم فيروز بما حدث فرجع من طريقه ، وخرج إلى أخواله « خولان » فتحصن عندهم ، وساعدته عقيل ، وعك .[3]

---

(١) البداية ٣٧٢/٦ ، الكامل ٢٥٢/٢ .

(٢) راجع الطبرى ٣١٩/٣ ، الكامل ٢٥٣/٢ ، البداية والنهاية ٣٣٤/٦ ، تاريخ الأمم الإسلامية ص٢٥٦ .

(٣) بنو عقيل بطن من بنى عامر بن صعصعة من العدنانية ، كانت مساكنهم بالبحرين من كثير من قبائل العرب ـ نهاية الأدب للقلقشندى ص٣٦٦ ، وبنو عك : بطن من الأزد من القحطانية ، نهاية الأرب المرجع السابق ص٣٦٦ .

٥ ـ عمد قيس إلى ذرارى فيروز ، وداذويه ، والأبناء ، فأجلاهم عن اليمن ، وأرسل طائفة في البر ، وطائفة في البحر .

٦ ـ تقابل الفريقان وتقاتلا قتالا شديدا ، وهزم قيس بن مكشوح ومن معه من فلول العوام ، وبقية جند الأسود ، وأسر قيس ، وعمرو بن معد يكرب ، وبُعث بهما إلى الصديق فاعتذرا فعنفهما ، وأطلق سراحهما ، وردهما إلى قومهما ، ورجع عمال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الذين كانوا باليمن إلى أماكنهم التى كانوا عليها في حياته « صلى الله عليه وسلم » والتى أقرهم عليها الصديق « رضى الله عنه » .[١]

سابعاً : القضاء على ردة حضرموت وكندة :[٢]

١ ـ كان المهاجرين أبى أمية « رضى الله عنه » عاملا للنبى « صلى الله عليه وسلم » على كنده ، ولم يخرج إليها بسبب مرضه إلا بعد وفاة النبى « صلى الله عليه وسلم » وفي خلافة الصديق « رضى الله عنه » .

٢ ـ كانت ردة كنده ـ بسبب اختلافهم على ظهر ـ أى بعير ـ أخذه زياد بن لبيد ـ وطلبه صاحبه ليتبدل به غيره ، فرفض زياد ، وصاح الرجل في قومه يطلب النجدة حتى قدم حارثة بن سراقة إلى زياد يطالبه برد السبكرة ـ البعير ـ ليأخذ غيرها فرفض ، وهاج حارثه ، وأطلق البكرة ، فأمر زياد شبابا من حضرموت والسكون فمنعوه وكتفوه مع أصحابه وارتهنوهم ،

---

(١) قيس بن المكشوح المرادى كان ممن أسلم فى عهد النبى « صلى الله عليه وسلم » وشارك في قتل الأسود العنسي ـ كان فارسا شجاعا ـ ارتد عن الإسلام وقتل دادوية ثم رجع إلى الإسلام وشهد الفتوح ، وله آثار عظيمة في القادسية ونهاوند . الاستيعاب ٣/٢٣٥ الإصابة ٣/٢٦١ .

(٢) الطبرى ٣/٣٣٠ ، الكامل ٢/٢٥٦ وقد سبق التعريف بحضرموت وكندة ص٢٢٢ .

وأخذوا البكرة ، فتصايحت كندة وغضبت بنو معاوية لحارثة[1] ، وأظهروا أمرهم ، بينما غضبت السكون وحضرموت لزياد ، فالتقى المعسكران ، وناهد زياد القوم ليلا فقتل منهم وتفرقوا .

٣ ـ أطلق زياد سراح حارثة ومن معه ، فحرضوا قومهم على زياد ومن معه ، فاجتمع عسكر كثير منهم ، ونادوا بمنع الزكاة فتركهم زياد ولم يخرج إليهم ، ولم يسيروا هم إليه .

٤ ـ أرسل زياد الحصين بن نمير إليهم فما زال يسفر فيما بينهم وبين زياد ، وحضرموت والسكون ، حتى سكن بعضهم عن بعض فأقاموا يسيرا ، ثم ذهب بنو عمرو بن معاوية من كندة إلى محاجرهم ، وبنو الحارث بن معاوية نزلوا أيضا محاجرهم ، واتفق الجميع على منع الصدقة إلا شرحبيل من السمط[2] وابنه اللذين نصحا زياد بأن يبيت القوم فوجدهم حول نيرانهم فهاجموهم وأكثروا فيهم القتل .

٥ ـ جمع الأشعث بن قيس قومه ونزلوا إلى النجير[3] بعد قتالهم بواسطة زياد والمهاجر ، واشتد الحصار على كنده فتحصنوا فحصر بهم المسلمون ، ثم

---

(١) بنو معاوية الأكرمين : بطن من كندة من القحطانية ـ نهاية الأرب للقلقشندى ص٤٢٣ .

(٢) شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة الكندى : أدرك النبى « صلى الله عليه وسلم » وكان أميرا على حمص لمعاوية ، ومات بها . الاستيعاب ١٤٠/٢ ـ أسد الغابة ٣٩١/٢ ـ طبق جمعية المعارف سنة ١٢٨٥هـ .

(٣) الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية الكندى ، من ملوك كنده ، وفد على النبى « صلى الله عليه وسلم » سنة عشر من سبعين راكبا من كندة ، ارتد فيمن ارتد من قومه وأسر فمن عليه أبو بكر بعد أن أسلم فأطلقه وزوجه أخته أم فروة بنت أبى قحافة ، شهد اليرموك والقادسية وغيرها بالعراق . انظر في ترجمته : الإصابة ٦٦/١ ، اسد الغابة ١١٨/١ .
هذا والنجير : بضم أوله وفتح ثانيه ، وبعده ياء مهملة على وزن التصغير : حصن باليمن قال فيه الأعشى : ياحبذا وادى النجير وحبذا قيس الفَعَّالِ .
معجم ما استعجم ١٣٠٠/٢ .

ازداد الحصار شدة بعد قدوم عكرمة ، وتفرقت السرايا في طلب القوم ، وخرج من بالنجير من كندة وغيرهم فقاتلوا المسلمين فكثر فيهم القتل فرجعوا إلى النجير وخشعت نفوسهم .

٦ ـ خرج الأشعث بن قيس ومعه تسعة نفر فطلبوا من زياد أن يؤمنهم وأهليهم على أن يفتحوا له الباب فأجابهم إلى ذلك وفتحوا الباب فدخل المسلمون فلم يدعوا فيه مقاتلا إلا ضربوا عنقه ، وأوثقوا الأشعث حتى قدموا به إلى أبى بكر فاعتذر إليه ، وطلب منه أن يعينه ليكون خير أهل بلاده لدين الله ، فحقن دمه ورد عليه أهله .(١)

نتائج حروب الردة :

بعد هذا العرض أرى الدعوة قد استفادت ما يلى :

١ ـ مناصرة المؤمنين المقيمين وسط المرتدين والدفاع عنهم ، وقد بعث الصديق « رضى الله عنه » إليهم جيوشا وأمراء ليكونوا عونا لهم ، وهذا نصر كبير للدعوة .

٢ ـ ماتواجه المسلمون والمرتدون فى موقعة من المواقع إلا غلب جيش الصديق من هناك من المرتدين ، وقتلوا منهم مقتلا عظيما ، وفي هذا إرهاب لكل عدو للدعوة يفكر في وقف مدها .

٣ ـ غنم المسلمون مغانم كثيرة ، فقويت شوكة المحاربين المسلمين وقوي أمرهم أمام عدوهم .

٤ ـ بعث المسلمون بأخماس الغنائم إلي المدينة فوزعها الصديق بين الناس ، فحصلت لهم القوة ، واستعدوا بذلك لقتال من يريدون قتالهم من الأعاجم والروم .

---

(١) الكامل ٢/٢٦٠ بتصرف يسير .

٥ ـ ثبتت أركان الإسلام ، وعزت كلمته ، ولم يبق في الجزيرة العربية إلا أهل طاعة لله ورسوله أو أهل ذمة من الصديق كأهل نجران ، ومن جرى مجراهم .

٦ ـ قال الإمام أبن كثير « رضى الله عنه » عن سنة أثنتى عشرة من الهجرة :

« استهلت هذه السنة وجيوش الصديق وأمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الردة جوالون في البلاد يمينا وشمالا :

أ ـ تمهيد قواعد الإسلام .

ب ـ وقتال الطغاة من الأنام .

ج ـ حتى رد شارد الدين بعد ذهابه .

د ـ ورجع الحق إلى نصابه .

هـ ـ وتمهدت الجزيرة العربية .

و ـ وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى .[1]

---

(١) البداية والنهاية ٦/ .

المطلب الرابع : « الفتوحـــات » :

كانت القوتان الكبيرتان عند ظهور الإسلام الفرس واليرموك تملآن سمع العالم وبصره بما هما عليه من الحضارة والنعيم تمثل إحداهما حضارة الغرب حضارة اللاتين واليونان والفينيقيين والفراعنة وهي الروم وتمثل الثانية حضارة فارس إيران والهند ومذاهب الشرق الأقصى مجتمعه وعاشت الأمبراطوريتان في صراع دائم وقتال مستمر أستلب أنظار العالم في ذلك الوقت دون أن تكون إحداهما مرفوعة إلى ذلك بسبب القصر أو العوز بل كانت كل واحدة منهما تعيش حياة الرفاهة والنعيم ، لذلك كان الدافع لهما وراء هذه الحروب حب السيطرة على الحضارة الأخرى في ظل وجود السلاح والعتاد ، وظل هذا الصراع الدامى سبعة قرون متوالية والدول الصغيرة تنظر إليهما في دهش وتظن أنهما قوتان أبديتان سوف تظل لهما السيطرة على العالم ودون مزاحم .

ولم تكن هذه الدول تفكر في سنن الله الكونية التى يغير الله بها أحوال الأمم والشعوب ، فإن الأجسام تمرض وتموت والحضارة كذلك تمرض وتصيبها الشيخوخة ثم تأتيها الوفاة .

وأمراض الحضارة التي تسبب موتها مذكورة في القرآن لتتعلم أمه الإسلام كيف تحافظ على حضارتها وقوتها .

إن القرآن الكريم يبين أن فساد الأخلاق وتسلط القادة المفسدين يؤدى إلى انحلال الحضارة « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً »(١)

---

(١) سورة الإسراء ١٦ .

وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »[1]

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل »[2]

وفي غير ذلك من الآيات التي تبين أن فساد الأخلاق وفساد الحكام سبب ضياع الحضارات .

وقد حقت سنة الله في الكون على فارس والروم فاضطرب بلاط فارس وانتشرت الدسائس فيها وطمع الطامعون في عرشها وقتل الأكاسرة بعضهم بعضاً حتى تولت « بوران بنت كسرى أمر الفرس فقال النبى « صلى الله عليه وسلم » : « ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة »[3] وكذلك كان الحال في بلاد الروم انحلال الأخلاق وانتشار الظلم وانحلال العصبيه وضياع المثل العليا فانحلت الروابط الاجتماعيه وأصبح الناس فوضى .

فإذا كان الأمر كذلك حلت سنة الله في هاتين الحضارتين وقضى عليهما بالزوال . وبينما هاتان الحضارتان تقدمان أوراق نهايتها أذن الله لحضارة جديدة أن يبزغ فجرها ويظهر نورها ، وإذ بشبه الجزيرة العربية ببواديها الماحلة وصحاريها الجرداء تخرج حضارة جديدة من حيث لا يتوقع إنسان ... فهل كان قيصر أو كسرى أو سواهما من البشر يفكرون أو يمر على خاطرهم

---

(١) سورة النحل ١١٢ .

(٢) سورة سبأ ١٥ / ١٦ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر ١٠/٧ ، وأخرجه أحمد في مسنده ٥٠/٥ كلاهما عن أبى بكر رضى الله عنه .

في لحظة من اللحظات أن الجزيرة العربية بما هي عليه يمكن أن يخرج منها حضارة راشدة ترث الأرض وتزهق الحضارات الظالمة ؟

إنها مشيئة الله وحكمته « وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون »(١)

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » .(٢)

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » .(٣)

نعم قامت دولة الإسلام العظيمة التى حملت عبء الحضارة عشرة قرون تباعاً والتي نشرت الإسلام في أنحاء الامبراطوريتين وفيما وراءهما : في الهند والصين والتركستان وغيرهما من ممالك آسيا ، وفي مصر وما وراءها إلى المحيط الأطلنطى من بلاد أفريقية ومن عاصمة قسطنطين وفي روسيا وأسبانيا وغيرها من أمم المغرب .(٤)

أرسل النبى « صلى الله عليه وسلم » قبل وفاته رسله إلى الملوك والحكام الذين في عصره يدعوهم إلى الإسلام ويبين لهم ويقيم عليهم الحجة ثم ترك بعد وفاته للمسلمين ليقوموا بهذا الفتح وليبلغوا دين الله للعالمين .

وقد شعر الروم والفرس منذ بداية ظهور الدعوة بالخطر الذى يتهددهم من وراء اجتماع العرب على كلمة الإسلام ، ومن ثَمَّ رفض هرقل الدعوة المرسلة إليه من الرسول « صلى الله عليه وسلم » تحت ضغط القساوسة ومزق كسرى

---

(١) سورة القصص /٦٨ .

(٢) سورة الأنعام جزء من الآية ١٢٤ .

(٣) الصديق لهيكل باشا ص٣٨٧ .

(٤) سورة الأنبياء ١٨ .

خطاب النبى « صلى الله عليه وسلم » وأرسل إلى حاكمه في اليمن أن يرسل إليه النبى « صلى الله عليه وسلم » ليرى فيه رأيه .

وأخذت المؤامرات تتوالى للقضاء على الدعوة ومنعها من الانتشار خارج حدود الجزيرة .

وقد قابل النبى « صلى الله عليه وسلم » ذلك بتخطيط عظيم وهو يعلم أن المسلمين ينتظرون في أي لحظة هجوماً رومياً ونجاصة حين بدأت دولة الروم ترسل البعوث إلي تخوم الجزيرة . وتهيج القبائل لحرب المسلمين ويصور ذلك الأمر حديث سيدنا عمر « رضى الله عنه » حيث يقول : « وكنا تحدثنا أن غسان تنتعل النعّال لغزونا ... فترك صاحبى يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابى ضرباً شديداً وقال : آثم هو ؟ فقرعت فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم قلت وما هو ؟ أجاءت غسان قال لا بل هو أعظم ...... طلق النبى « صلى الله عليه وسلم » نساءه »[1]

وقد قابل النبى « صلى الله عليه وسلم » هذا الخطر المتوقع بخطة علمية قوامها الانتقال من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم فأرسل أربع غزوات حتى حدود الشام ، ثم قاد بنفسه الغزوة الخامسة وهى غزوة تبوك .

وقد تركت هذه السياسة النبوية آثاراً عظيمة من أهمها :

١ ـ رفع الروم المعنوية للمسلمين مقابل إحباط القوة المعنوية للروم خاصة والمشركين عامة .[2]

٢ ـ دفع المسلمين إلى كسر حاجز الخوف من هذه الدول المحيطة بهم استعداداً للانطلاق إلى الفتوحات .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب النكاح رباب موعظة الرجل ابنته لحال زواجها ٣٦/٧ عن عمر رضى الله عنه وأخرجه أحمد في سنده ٣٣/١ عن عمر رضى الله عنه .

(١) واجع في ذلك فن الحرب الإسلامي لبسام العلى وقد أجاد في عرض هذه القضية .

٣ ـ تكوين خبرات قتالية ، وإعداد صفوف المقاتلين إعداداً كاملاً وتأهيلهم نفسياً لهذه المهمة الكبرى .

٤ ـ تطبيق قوله « صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق »[1] وهو بالمعنى الحديث الهجوم أقوى وسائل الدفاع .

٥ ـ جمع المعلومات عن الروم والفرس ، وتنظيم قواعد متقدمة عند حدود الدولتين لتكون قاعدة الانطلاق بهجمات كبيرة .

٦ ـ دراسة الأرض ، ومعرفة ميزاتها للتقدم والحشد والهجوم ولما تولى الصديق « رضى الله عنه » أنفذ جيش أسامة لتأديب القبائل التى تعيش في الأرض بين الحجاز والشام تأميناً لتلك الطريق ، وتوطيداً لهيبة الإسلام في نفوس تلك القبائل .[2]

وبعد النبى « صلى الله عليه وسلم » قامت جيوش الإسلام في عهد الصديق بالفتوحات لعظيمة التى تابعها الخلفاء من بعده وأحرزت الانتصارات في هذه الفتوحات التى كانت دعوة إلي الإسلام في المقام الأول ويقتضينا المقام أن نشير هنا إلى عدة نقاط :

١ ـ مشروعية القتال في الإسلام .

٢ ـ الرد على دعوى الإكراه .

٣ ـ السر في اكتساح المسلمين لأعدائهم في الفتوحات .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الامارة / باب ذم من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو ١٥٩/٢ .

(٢) راجع في ذلك عبقرية الصديق ص١١٤ .

مشروعية القتال في الإسلام

ظل المسلمون في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يكابدون الشدائد ويصبرون على الإيذاء . والقرآن ينزل فيقول للنبى « صلى الله عليه وسلم » وللمؤمنين معه « فاصبر صبراً جميلاً »[1] ثم كانت الهجرة المباركة وقيام دولة المسلمين في المدينة فجاء الإذن بقتال العدو « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير »[2] .

ثم أمر النبى « صلى الله عليه وسلم » بقتال الطواغيت الذين راسلهم فلم يسمعوا كلمة الحق ولم يتركوا شعوبهم تختار الحق .

ومن ثم نستطيع القول بأن القتال في الإسلام كان لأمرين :

أ ــ تأمين الدعوة ونشرها .

ب ــ رد العدوان .

أ ــ تأمين الدعوة ونشرها :

الإسلام لايعرف حرب العدوان ولا يزاولها لبسط سلطان ، وإنما يعتبرها تأميناً لدعوته وإباحة لحرية الاعتقاد ويتخذ منها حصنا يقيه اعتداء المعتدين ويرد عنه كيد الغاشمين ليبلغ الناس كلمة التوحيد التى جاء بها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فكل من يمنعه من تبليغ دعوته ويحول بينه وبين الناس يجب قتاله ليفسح الطريق أمام الدعوة قال تعالى :« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين »[3] .

---

(١) سورة المعارج : ٥ .

(٢) سورة الحج الآية ٣٩ .

(٣) البقرة ١٩٣ .

وقال في حق أهل الكتاب الذين قاوموا دعوته : « قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون »(١)

ب ـ رد العـــــدوان :

جعل الله نبيه « صلى الله عليه وسلم » فى موقف المدافع الذى يرد العدوان ولا يعتدى « فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين »(٢)

كما يبين أن طرد المؤمنين من ديارهم ومبادأتهم بالعدوان ونقض عهودهم كلها أمور كافية لقتالهم : « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين »(٣)

وجعل قتال المشركين وسيلة لكف شرهم : « فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلَّا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا »(٤) .

وفوق هذا علم الله رسوله أن يكتفي برد العدوان : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم »(٥) .

وقد اعتدى المشركون على المسلمين وهاجموا المدينة عدة مرات فهل يعاب على الرسول « صلى الله عليه وسلم » بعد ذلك أن يرد وثنياً إلى حظيرة التوحيد أو يهدى الضالين إلى سبيل الله ؟

---

(١) التوبة : ٢٩ .
(٢) البقرة : ١٩١ .
(٣) التوبة : ١٣ .
(٤) النساء : ٨٤ .
(٥) البقرة : ١٩٤ .

إنه لو لم يفعل لكان مقصراً في حق دعوته وتبليغها .[1]

إذن فقد كانت حروب الإسلام من أجل الدعوة وإزالة الطواغيت الذين يقفون في طريق شعوبهم ويمنعون عنها الهدى والرشاد .

٢ ـ الرد على دعوى الإكراه :

لقد نشر المسلمون دينهم بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن حتى يثبتوا للناس كلهم أن لا إكراه في الدين وهم بذلك يتردون على الدعوى القائلة بأنهم أكرهوا الناس على الدخول في دينهم . والرد على ذلك كالآتى .

أ ـ العقائد لا تستقر بالإكراه :

إن القرآن يعلن بوضوح أن العقائد لا تستقر في القلب إلا بالاقتناع الكامل الصادر عن يقين جازم لايدانيه شك في صحة هذه العقائد ويعلن القرآن كذلك أن الإكراه فى الإسلام ممنوع لأنه سبيل إلى النفاق والرياء : « لا إكراه في الدين قد تبيَّن الرشد من الغي »[2] .

« أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »[3]

وكان طريق الدعوة واضحاً منذ أول لحظة : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »[4]

ب ـ مهمة الرسول « صلى الله عليه وسلم » هى الإنذار والتبشير ووظيفته توضيح السبيل والإقناع بالحجة وليس عليه بعد ذلك إن تبعه قوم وانصرف آخرون فكل محاسب بما قدم .

---

(١) انظر في ذلك للمزيد « فن الحرب ونظمها عند المسلمين للدكتور عبد الرؤوف عون » .

(٢) البقرة : ٢٥٦ .

(٣) يونس : ٩٩ .

(٤) النحل : ١٢٥ .

« فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر »[1] .

ج ـ انتشار الإسلام فى عهود ضعف أهله :

أثبت التاريخ وذهاب قوتها ، بل لقد انتهت الخلافة وقضى عليها بيد أعدائها وبقي الإسلام فتياً قوياً يذهل المبشرين والمنصرين الذين يبذلون المليارات ومع ذلك لايحرزون نجاحاً بينما الإسلام وحده وبجمهور بسيط متواضع للعاملين ينتشر بسرعة بين الأمم .

وخلاصة القول أن الإسلام لايعرف الإكراه ولكنه لجأ إلى الجهاد لخير الإنسانية وحرية الاعتقاد ، وما كان كغيره من الانقلابات الدينية التى سارت بسببها الحروب فكثيراً ما أشعل اليهود نار الحرب في بلاد الشام حتى طردهم « بختنصر » ومثل بهم وكما حدث لأصحاب الأخدود علي يد « ذي نواس » اليهودى وما حدث بين فريقي اليعاقبة والنساطرة قديماً .[2]

السّر في اكتساح المسلمين لأعدائهم في الفتوحات

إن الناظر في تاريخ الفتح الإسلامي ليعجب لسرعة انتشاره وتوالى انتصارات الجيوش الإسلامية بشكل لم يعهد في تاريخ الحروب السابقة فقد اندفعت تلك الجيوش المظفرة شرقي الجزيرة وغربها لم يقف لها شيء وقام ديوان الجند بتنظيم تلك الجيوش تنظيما دقيقاً حتى استطاعوا أن يفتحوا في عشرات السنين من البلاد مالم تستطع أمة من الأمم أن تفعله عبر آلاف السنين ، ولقد وصلت الفتوحات إلى بلاد الصين شرقاً وإلى المغرب الأقصى وبلاد

---

(١) سورة الغاشية ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) من الحرب لعبد الرؤف عون .

الأندلس غرباً وامتدت رقعة الملك العربى الإسلامي من جبال القوقاز وسهول سيبيريا شمالا إلى بلاد النوبة جنوباً وذلك يحتاج بعين الناقد البصير إلى قرون عديدة . فما هو السر في انتشار الفتوحات بهذه السرعة ؟

والجواب على ذلك أن هذه السرعة في انتشار الفتوحات واكتساح المسلمين لأعدائهم ترجع إلى :

أ ـ أسباب تتعلق بالمسلمين الفاتحين وطبيعة الدين الجديد ودعوته .

ب ـ وأسباب ترجع إلى الأمم التى فتح المسلمون ديارهم .

أ ـ الأسباب التي تتعلق بالمسلمين الفاتحين :

١ ـ إيمان المسلمين بالحق الذي يقاتلون من أجله :

إن إيمان الجندى بعدالة قضيته التى يحارب من أجلها عامل له أبعد الأثر في نصر الجيوش ، فالجندى الذى يحارب مؤمناً بما يحارب من أجله يبذل كل ما يستطيع في سبيل حصوله على النصر أو الشهادة وقد كانت تلك الروح التى سيطرت على الجيش المسلم كله ولذلك أمر سعد بن أبى وقاص في فتح القادسية بقراءة سورة الجهاد ـ وهي الأنفال ـ فلما قرئت هشت قلوب المسلمين وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها .(١)

٢ ـ يقين المسلمين بربهم في قضيتي الرزق والأجل والقضاء والقدر :

حدث القرآن الكريم المسلمين عن قضيتى الرزق والأجل بما يبدد أسباب الخوف والجبن فإن الإنسان يجبن ويخاف إذا اهتزت هذه العقيدة في قلبه فيخاف على رزقه أن يضيع أو على أجله أن ينتهي . !!

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢/٣٩٥ .

ولكن إذا اطمأن إلى أن هذين الأمرين في يد الله لافي يد بشر وفي السماء لافي الأرض صار يخوض الحروب غير هياب ولاوجل .

والقرآن يهتف في حس المؤمن دائما « وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون »(١)

هذه العقيدة العظيمة جعلت المسلم يقابل المعارك بصدر رحب وقلب واثق لايخاف الموت بل يسعى إليه ويتسابق عليه ولسان حاله يقول :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعى
فصبرا في مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع
فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لن تطاعى(٢)

انطلق المسلمون إلى ميدان القتال وهم يؤمنون بأن الشجاعة لا تنقص الأجل كما أن الجبن لايطيل العمر .

إن خبيب بن عدى آمن بهذه القضية فرضيَ بالشهادة في سبيل الله ولم يخنع لعدو وأنشد :

ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع (٣)

إن ربعي بن عامر يخاطب « رستما » قائد الفرس ويقول له :

« لقد جئناك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .(٤)

---

(١) سورة الذاريات ٢٢/٢٣ .

(٢) الأبيات لقطريّ بن الفجاءة : ديوان الخوارج تحقيق حامد عباس ص١٤ .

(٣) الشعر لخبيب بن عدى وقد أخرجه البخاري في صحيحه في قصة يوم الرجيع / كتاب المغازى / باب غزوة الرجيع ٥/١٣٣ .

(٤) الطبرى ٣/٤٩٦ ، الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى ص١٢٠ .

٣ـ تأصل الصّفات الحربية في المسلمين :

لقد كان العرب منذ جاهليتهم مفطورين على حب الفروسية ، ومزاولة الحروب ، ولهم من فنون القتال باع طويل .

فلما جاء الإسلام أبرز فيهم تلك الخصائص من الشجاعة والنجدة والمروءة إن العرب وإن كانوا حديثي عهد بالقتال بالزحف ، ولكن القتال الذلك العهد كان يبدأ بالمبارزة غالبا ، فيبدأ الفارس يطلب قِرناً ينازله ، وخيل العرب أنجب من خيل الفرس والروم ، فهي تدرك الخصم إذا كرت ، وتفوته إذا فرت ، وكانوا أقدر على تصريف الأعنه من سواهم ، ففرس الواحد منهم طوع يده ، وكانوا أسد بالنبال رميا ، وكان لذلك يغلب أن يفوز العربي بالغلب على مبارزه ، فيكسر ذلك من قلوب مقاتليهم ، ويقع الرعب في نفوسهم من أول الأمر ، وخاصة إذا كان المطلوب رئيس الجند أو ممن اشتهر بالشجاعة فيهم .(١)

٤ ـ سماحة المسلمين وعدالتهم مع الشعوب :

رأت الشعوب في المسلمين الفاتحين أخلاقا لم ترها في أبناء جنسها ، وسماحة لم يشاهدوا مثيلا لها ، رأوا جيوشا ترحم الصغير ، والشيخ المسن ، ولا تقتل امرأة ولا طفلا ، ولا تقطع نخلا ، ولا تبيد زرعا ، ولا تذبح ماشية إلا لطعامها ، ولا تروع عابدا في صومعته .

إن الشعوب رأت خلقا جديدا لم تعرفه الدنيا من قبل ، يعدل ولا يفرق في عدله يبين مسلم وغيره ، ولا بين عظيم وغير عظيم ، ولا بين غني وفقير ،.. رأت مع الشعوب هذا المثال التطبيقي للإسلام ، في صفاء جوهره ، ونقاء معدنه ، فسارعت بالترحيب بالقادمين الفاتحين .

---

(١) فن الحرب لعون ص٤٠ بتصرف .

« أن المسلمين كانوا يفشون العدل في البلاد التي تدين بطاعتهم ، ويرفقون بالرعية ويزهدون فيما في أيدى المحكومين ، وهذا شيء لم يألفوه فى حكامهم ، فكان شيوع هذه الخلال عنهم يسبقهم ، ويفتح لهم القلوب قبل فتح المدن والحصون »(١)

٥ ـ رحمة المسلمين في تقدير الجزية والخراج ووفائهم بعهودهم :

كان المسلمون إذا دخلوا بلدا أقروا أهلها على ماهم عليه من دين ومعاملات ، ولا يتقاضون منهم سوى الجزية ، وقد كانت الجزية ثمنا لحمايتهم والدفاع عنهم ، وتأمين سبلهم ، وتقديم الخدمات العامة من مستشفيات ، وعلاج ، ورعايةلأصحاب الأعذار والأمراض أو الشيخوخة ، وقد كانت الجزية أقل بكثير جدا من الضرائب الباهضة الظالمة عند الروم والفرس التي أثقلت كواهل الناس بسبب الحروب الدامية التى كانت بينها، والتى تأكل الأخضر واليابس .

والجزية كانت تقرر على أصحاء الجسد بحيث يدفع عن كل غنى أربعة دنانير في العام وعن متوسطى الدخل دينارات ، ومن الفقير دينار ، هذا إلى خراج الأرض الذى كان يراعى فيه حسن التقدير بالرحمة والرأفة ، وكان يدفع من حاصلات الأرض .

وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان أن المقوقس ضمن مصر من هرقل بتسعة عشر مليونا ، وكان يجبيها عشرين مليونا ، فلما فتح المسلمون مصر جعل عمر بن العاص خراج أول عام عشرة ملايين ، والثاني اثنى عشر مليونا ، وفي عهد معاوية تسعة ملايين وهو على كل حال لايصل إلى ماكان يفعله البيزنطيون (٢).

---

(١) الخلفاء الراشدون للشيخ عبد الوهاب النجار ص٧٨ .

(٢) ياقوت معجم البلدان ١٤١/٥ .

ويرى ذلك واضحا في قول عبادة بن الصامت « رضى الله عنه » للمقوقس والقبط لما دعاهم إلى الإسلام « وإن أبيتم إلا الجزية فأدوها إلينا عن يد وأنتم صاغرون ، وأن نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم من كل عام أبدا مابقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم ، وعرض لكم فى شيء من أرضكم ، ودمائكم ، ونقوم بذلك عنكم »(١)

« ولما دخلت حمص في ذمة المسلمين وأدوا الجزية ، واحتاج المسلمون بعد ذلك إلى الإجتماع في اليرموك ردوا إلى أهل حمص ماأخذوا من جزيتهم وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم ، فأنتم على أمركم ، فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والضيم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم »

٦ ـ ثروة المسلمين الواسعة من الرجال والقواد العظماء :

حبا الله المسلمين ثروةً واسعة من عظماء الرجال والقواد الذين رباهم النبى « صلى الله عليه وسلم » ودربتهم الحروب ، والغزوات ، والسرايا ، وحروب الردة على القوة ، والشجاعة وشدة الباس ، وزادهم الإيمان بالله عزيمة ومضاء ، فإذا ذهبنا نعدد أمثال عمر ، وعثمان ، وعلي ، وخالد بن الوليد ، وأبى عبيدة ابن الجراح ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله وغيرهم ممن تتجلى فيهم الحنكة السياسية والبسالة الحربية ، والفطنة في قيادة الجند ، والذكاء في إدارة المعارك وجدنا أعدادا كثيرة .

وإذا ذهبنا نعدد أصحاب الدهاء السياسى مثل عمرو بن العاص ، ومعاوية ابن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة ، وجدنا عددا فوق الكفاية ، وعلى رأس هؤلاء

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى ٤٨/١ ، ٤٩ ، فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ٥٣/١ .

جميعا أبو بكر الصديق « رضى الله عنه » بعزمه القوي ، وحزمه الفتي ، وذكائه الغني ، وتقواه العالية وأخلاقه السامية ، وفطنته الواعية .

٧ ـ إحكام الخطة الحربية الإسلامية :

سعد المسلمون بقيادة النبى « صلى الله عليه وسلم » حيث تعلموا منه « صلى الله عليه وسلم » فن إدارة المعارك ، والتخطيط لها ، والدارس للغزوات والسرايا في عهد النبى « صلى الله عليه وسلم » يستطيع بتوفيق الله أن يستنتج خطوطا رئيسة للخطة الحربية في هذا العهد الرائد كما يلي :

أ ـ حرمان العدو من مصادر التموين الرئيسة وبخاصة الماء :

استمع النبى « صلى الله عليه وسلم » إلى مشورة الحباب بن المنذر ـ وهو المشهور بين قومه بذى الرأى ـ فسار بالمسلمين في غزوة بدر حتى وصلوا إلى أدنى ماء من بدر وقاموا بردم الآبار الآخرى حتى يشرب الجيش المسلم ، ولا يشرب جيش المشركين وقد كانت خطة لها وقعها في هذه المعركة .(١)

ب ـ تنظيم صفوف القتال :

رأى المسلمون في غزوة بدر الكبرى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ينظم صفوف القتال تنظيما دقيقا مكونا من :

أ ـ ميمنة .   ب ـ ميسرة .   ج ـ قلب .

ولا شك أن هذا التنظيم يعطى للجيش فرصة الالتفاف حول عدوه وتقوية الصفوف بعضها بعضا ساعة الالتحام .

ج ـ إعداد صفوف المبارزين :

كان النبى « صلى الله عليه وسلم » يعلم أن الحروب في هذا الوقت تحتاج إلى إعداد مبارزين أقوياء لذلك أعد « صلى الله عليه وسلم » صفوفا من الرجال

(١) راجع سيرة ابن هشام ٢/٤٥٢ .

الأقوياء الذين لهم باع قوي في هذا المجال ففي غزوة بدر مثلا : خرج عتبة بن ربيعة - بين أخيه شيبة - وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة فخرج إليه بعد الأنصار ، عبيدة بن الحارث ، وحمزة ، وعلي ، فقتل حمزة شيبة ، وقتل علي الوليد ، واختلف عبيدة مع عتبة في ضربتين كلاهما أثبت صاحبه ، فكر حمزة وعلي على عتبة فأجهزا عليه ، وفي الخندق تصدى علي « رضى الله عنه » لعمرو بن عَبدوُدّ فقتله علي بعد مبارزة بينهما .[1]

د - كمائن النبل لضرب خيول العدو وحماية ظهر المسلمين :

ظهر في غزوة « أحد » إضافة حربية خطيرة التأثير في سير المعارك وهي : كمائن الرجال الذين يستخدمون النبال لضرب مقدمة جيوش العدو ، وقد قامت فرقة الرماة بضرب العدو وخيوله في المواجهة مما أدى إلى فرار المشركين في أول الوقعة حتى إذا ترك معظم الرماة أماكنهم انقلب ميزان المعركة .[2]

هـ - حرب المدن :

عرض النبى « صلى الله عليه وسلم » على المسلمين في « أحد » يظلوا في المدينة حتى إذا قدم العدو أكله المسلمون فيها . لكن الرأي انقضى في النهاية بالخروج لملاقاة العدو خارج المدينة .

لكن النبى « صلى الله عليه وسلم » طبق هذه الخطة في غزوة الخندق وتبعه المسلمون في ذلك .

---

(١) سيرة أبن هشام ٤٥٦/٢ ، ٧٠٩/٣ .

(٢)سيرة أبن هشام ٥٨٦/٣ .

و ـ إجادة الاستحكامات الحربية :

أجاد النبى « صلى الله عليه وسلم « في إقامة هذا البند من الخطة الحربية في غـزوة الخندق ببناء الخندق مما أذهل المشـركين ، وجـعلهم ذوى مـوازين مقلوبة . وهذا في حد ذاته من أهم عوامل التأثير النفسى على العدو .

ز ـ استخدام فرق الاستطلاع :

استخدم النبى « صلى الله عليـه وسلم » فرق الاستطلاع وأفـراده في تتبع أخبار المشركين ، وقام بذلك بنفسه مع الصديق في غزوة بدر الكبرى[١] . وفـي غيرها أرسل الأفراد للقيام بهذه المهمة ، ووصى بها أسامة وهو يرسله إلى العدو فقال له :

« خذ معك الأدلاء ، وقدم العيون أمامك والطلائع » .[٢]

ح ـ تخذيل العدو وإيقاع الفتنة بين صفوفه :

في غـزوة الخندق أسلم نعيم بن مسـعود وطلب من النبى « صلى الله عليـه وسلم » أن يأمره بشىء يفعله فقال له : « خذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة »[٣] .

ط ـ الهجوم أقوى وسائل الدفاع :

طبق النبى « صلى الله عليه وسلم » هذا المبدأ الحربي الهام في ردع عدوه فأرسل السرايا تردع كل معاند ومن هذه السرايا : سرية عبيدة بن الحارث[٤] .

---

(١) راجع في ذلك ص٩٧ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١١٨/١ .

(٣) سيرة ابن هشام ٧١٢/٣ .

(٤) ابن هشام ٤٢٨/٢ .

سرية حمزة إلى سيف البحر[1] . سرية سعد بن أبى وقاص[2] . سرية عبد الله بن جحش[3] .

ي ـ رفع الروح المعنوية للمجاهدين :

وقف النبى « صلى الله عليه وسلم » في بدر يقول للمسلمين : والله لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا إلا دخل الجنة[4] ، فرفع بذلك معنويات المقاتلين ، وكانت هذه سنة القواد بعده « صلى الله عليه وسلم » .

وبعد النبى « صلى الله عليه وسلم » سار المسلمون ومعهم ميراث علمي عظيم في فن الحرب وقيادتها من النبى « صلى الله عليه وسلم » وثلة عظيمة من القواد المدربين ، وآلاف من الجنود الذين خاضوا غمار المعارك في الغزوات والسرايا وحروب الردة .

وقد سعد المسلمون بأبي بكر « رضى الله عنه » وهو السائر على هدي النبى « صلى الله عليه وسلم » كما سعدوا بالنبى « صلى الله عليه وسلم » من قبل .

وقد كان الصديق « رضى الله عنه » الموافق له الذى لم يغب عنه في مشهد من المشاهد والذى دربه النبى « صلى الله عليه وسلم » على القيادة الحربية في السرايا ، وتعلم هو من النبى « صلى الله عليه وسلم » فن إدارة المعارك والتخطيط لها .

ومن ثم سار أبو بكر على نفس نهج النبى « صلى الله عليه وسلم » في الأخذ بالأسباب الصحيحة والإعداد العلمي والفني في التخطيط للمعارك .

---

(١) المرجع السابق ٢/٢٣١ .

(٢) المرجع السابق ٢/٤٣٤ .

(٣) المرجع السابق ٢/٤٣٥ .

(٤) المرجع السابق ٢/٤٥٦ .

والمطالع المتدبر للفتوحات في عهده « رضى الله عنه » يمكن له أن يستنتج خطوطا رئيسة للخطة الحربية في عهد الصديق وله كذلك أن يدرك بيقين كيف كانت هذه الخطة المحكمة عاملا من عوامل نزول النصر والتمكين من الله ـ عز وجل ـ للمسلمين .

ومن هذه الخطوط الرئيسية مايلي :

أ ـ عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين :

زيادة على المعالم السابق ذكرها على وجه الإيجاز للخطة الحربية عند النبى « صلى الله عليه وسلم » أضاف أبو بكر من الخطوط الجديدة : عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين ، وقد كان ذلك واضحا تمام الوضوح في جبهات الشام : حيث كانت الصحراء من خلف المسلمين حماية لهم ومع هذا كان المسلمون يتأكدون أولا من أن عدوهم قد انقطع أمله في مفاجآتهم من خلف ظهورهم . وأن يستولوا على ما يقع بيمينهم وشمالهم من المدن والبلاد ، وسدً كل ثغر بالمقاتلة . وقد كانت تلك القاعدة مرعية عندهم يحرصون عليها أشد الحرص[1] . وفي قتال فارس كانت خطة المثنى بن حارثة تقوم على ذلك حيث يقول ذلك القائد المظفر : قاتلوا الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ، ولا تقاتلوهم بعقر دارهم ، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ماوراءهم ، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثم يكونون أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم .[2]

---

(١) الخلفاء الراشدون للنجار ص٧٨ بتصرف يسير .

(٢) الاستيعاب ٣/٤٩٧ ، الإصابة ٣/٣٤١ .

ب ـ التعبئة وحشد القوات :

كان النبى « صلى الله عليه وسلم » يستنفر كل المسلمين للقتال ، وعندما تولى الصديق الخلافة وضع من خطوط الإعداد الحربي : التعبئة وحشد القوات ، وقد نادى المسلمين لحروب الردة ثم استنفرهم بعدها للفتوحات وأرسل إلى أهل اليمن كتابه المعروف في ذلك .(١)

ج ـ تنظيم عملية الإمداد للجيوش :

حينما تطورت معارك الجبهة الشرقية ووجد قائدا الجبهة ـ خالد والمثنى ـ أنهما في حاجة إلى مدد بشري لأن الطاقة التي معهما لا تستطيع تلبية المعركة في متطلباتها وواجباتها فكتبا إلى الصديق « رضى الله عنه » يلتمسان المدد فقال لهما : استنفرا من قاتل أهل الردّة ، ومن بقى على الإسلام بعد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ولايغزون معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي .(٢)

د ـ تحديد الهدف من الحرب :

وضعت هذه النقطة في خطة الحرب الإسلامية في الفتوحات لتكون هدف العمليات الواضح الذى يسعى إليه الجميع . وقد وضع الصديق خطته في هذه القضية على أساس أن يوقن كل فرد مقاتل أن هدف المسلمين من هذه الفتوحات نشر الإسلام وتبليغه إلى الشعوب بإزالة الطواغيت الذين يحرمون شعوبهم من هذا الخير العميم .

« لهذا كان يسبق كل معركة اتصالات الغرض منها تحقيق هذا الهدف ـ وكانت هذه الاتصالات تتكرر في إطار من الظروف السلمية ، ثم في مناخ من

---

(١) ارجع إليه ص٥٢٩ .

(٢) الطبرى ٨٤/٤ وارجع إلى فن الحرب لبسام العلى وقد أجاد في هذه القضية وأفاد .

الحرب النفسية ، فإذا فشلت كل الوسائل كانت الحرب هى الوسيلة النهائية لتحقيق ما عجزت عنه الوسائل السلميّة لتحقيقه ، وكان القادة يعرضون على عدوهم قبل المعركة اختيار واحدة من ثلاث :

١ ـ الإسلام . ٢ ـ الجزية . ٣ ـ الحرب » .[١]

هـ ـ إعطاء الأفضلية لمسارح العمليات :

قاد الصديق « رضى الله عنه » بنفسه أولى العمليات الحربية ضد المرتدين ، ونظم الجيوش لحربهم ولم يهمل بقية المسارح فوجه أسامة إلى الشام ، والمثنى إلى العراق ، وكرس جهود المسلمين في السنة الأولى للقضاء على الردة ، وعندما تمت عملية إعادة توحيد الجزيرة وأصبح بالإمكان الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونه ، وجه ثقل العمليات إلي الجبهتين الشمالية ، والشرقية في وقت واحد ، وعندما احتاجت الجبهة الشمالية إلى المدد ، نقل الصديق محور ثقل الهجوم إلى الجبهة الشمالية ، ووجه خالدا إليها ـ وترك المثنى في الجبهة الشرقية ـ ليهدأ الوضع فيها حتى تنتهى مهمة الجبهة الشمالية . وفي خطابه إلى خالد يقول الصديق « رضى الله عنه »

« سر بنصف القوات التى معك لإمداد إخوانك بالشام ، والعجل والعجل ،، ووالله لقرية من قرى الشام يفتحها الله على المسلمين أحب إلى من رستاق عظيم من رساتيق العراق »[٢] .

واستغرقت عملية الشام السنة الثالثة عشرة ـ حيث كانت الجبهة الشرقية خلالها في حالة كمون .[٣]

---

(١) فن الحرب ـ المرجع السابق ـ ص١٨ / ١٩ . بتصرف يسير .(٢)
(٣) فن الحرب لبسام العلى ص٢٥ .

و ـ عزل ميدان المعركة :

عندما بدأ الصديق « رضى الله عنه » باستنفار القوات لحرب الروم والفرس أرسل خالد بن سعيد إلى تبوك بمهمة مناطق الحشد ، ومحاور التقدم ، وأمره أن يكون ردءا للمسلمين ، وعندما فشل في هذا الواجب وتجاوزه قام عكرمة بن أبى جهل به .[1]

ز ـ التطور في أساليب القتال :

كتب الصديق إلى أبي عبيدة عندما بلغه تقدم جيوش الروم وانضمام أهل دمشق إليهم مايلي :

« بث خيولك في القرى والسواد ، وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة ، ولا تحاصرن المدائن حتى يأتيك أمرى » .

وعندما دعمه بقوات كافية كتب له : « فإن ناهضوك فاشهد لهم ، واستعن بالله عليه فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناك بمثلهم أو ضعفيهم »[2]

ح ـ سلامة خطوط الاتصال مع القادة :

كانت خطوط الاتصال بين الصديق « رضى الله عنه » وأمرائه قواد المعارك منظمة ومنتظمة بحيث تصل المكاتبات من القواد في أمان ، وتصل ردود الخليفة في أمان وفي سرعة لا تتيح فرصة للعدو أن يفاجأ المسلمين بشىء لايتوقعونه .

وهكذا كانت الخطة الحربية عند المسلمين محكمة دقيقة مما كان عاملا من عوامل الانتصار بفضل الله في الفتوحات .

---

(١) فن الحرب المرجع السابق ص٢٦ .

(٢) الواقدي ٤٢/١ وانظر فن الحرب المرجع السابق ص٨٦ .

ط ـ ذكاء الخليفة وفطنته :

امتازت الخطة الحربية الإسلامية بوجود العقل المدبر ، ذى الفطانة والذكاء ، والكياسة والفراسة ، وهو الصديق « رضى الله عنه » .

إن الجيوش العامة في حاجة إلى رجل هذه أوصافه ، تحبه وتعطيه ، وتوقن من إخلاصه وتقواه .

وقد قص القرآن الكريم علينا في سورة النمل قصة سليمان «عليه السلام» ودولته القوية الفتية التى اعتمدت على مايلي :

أ ـ ذكاء القائد وبصيرته .

ب ـ الجيش القوي المؤمن بهدفه .

ج ـ علم يسخر في سبيل الغاية العظمى للدولة وهي التوحيد .

وقد ظهرت بصيرة سليمان « عليه السلام » في تفقده لجيشه حيث يقول تعالى « وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين » .[1]

فالقائد الذى يتفقد جيشا من الجن والأنس والطير ويدرك غياب هدهد لهو قائد بصير بلا شك .

وهو لايدع الأمر يمر دون عقاب رادع ، فيتوعد الهدهد لكنه وعيد لفطن الذكى حيث يعطى نفسه فرصة للرجوع عنه إن كان ثمة عذر للغائب « لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين » وذلك أمر يدل على بصيرة عالية تجعل مقام القائد محفوظا لايهتز بظلم أحد أو سكوت عن خطأ بدون عذر وتكون النتيجة مع هذا القائد الفطن نصرا وتمكينا بفضل الله ـ عز وجل ـ[2]

---

(١) النمل / ٢٠ / ٢١ .

(٢) تذكرة الدعاة للشيخ البهى الخولى ص٧٠ بتصرف .

وقد كان الصديق « رضى الله عنه » من هذا الطراز الحكيم من البشر الذى لم يكن نبيا ، وإنما تربى على يدي أكرم نبي « صلى الله عليه وسلم » فحمل البصيرة الواعية ، وزود الجيش بالنصائح الغاية وأرسل الأعداد في أوقاتها تسعف المقاتلين وتمدهم بالقوة .

أرأيت إلى توليتــه المثنى بن حارثــة بعدما سأل عنه وعلم أنه خبير بأرض فارس ؟

ورأيت كيف أمر خالدا بترك العراق والتوجه إلى الشام ؟

ورأيت كيف زود القواد بالمعلومات الهامة في المجال الحربي ؟ وكيف وصى الجيش بعدم الإفساد في الأرض ؟ .

ثم رأيت إلى تعميته على عدوه حين خرج مع جيوش خالد إلى ذى القصة ؟ يقول خليفة :

عن يزيد بن رومان أن أبا بكر خرج إلى ذي القصه وهم بالمسير بنفسه فقال له المسلمون : إنك لاتصنع بالمسير بنفسك شيئا ، ولا تدري لم تقصد ؟ فأمر رجلا تأمنه وتثق به وارجع إلى المدينة فإنك تركتها تغلى بالنفاق ، فعقد لخالد ابن الوليد على الناس ، وأمر على الأنصار خاصة ثابت بن قيس بن شماس ، وعليهم جميعا خالدا وأمره أن يعمد لطليحة ، وأظهر أبو بكر مكيدة فقال لخالد : إني موافيك بمكان كذا وكذا .

ب ـ الأسباب التى تتعلق بالبلاد المفتوحة :

ضعف الروم والفرس :

لقد أقدم المسلمون على الفتوحات تلفهم روح وثابة ، وعزيمة قوية ، وإيمان

---

(١) تاريخ خليفة ٨١/١ .

بالغاية التي يقاتلون من أجلها ، وهم قوم جمع الإسلام بين قلوبهم فجعلهم بفضل الله إخوانا لبسوا ثياب الحب في الله ، والأخوة فيه ، فلا مكان بينهم لشيطان ، ولا سبيل لمفسد إلى قلوبهم ، أضحى الواحد منهم يسبق أخاه إلى الموت ويتمنى نجاته ، وهم يقاتلون كالبنيان المرصوص في سبيل الله فأحبهم وقال فيهم « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »[1]

بينما كان عدوهم من الروم والفرس على عكس هذه الحالة ، فهم قوم انتشر بينهم الظلم ، وعم الفساد ، ودب فيهم سوء الأخلاق ، وأصابت حضارتهم الشيخوخة ، وقضى عليها إسراف ملوكها ، ثم جاءت الضرائب الباهضة ، والمشاحنات الداخلية لتجعل بنايتهما .[2]

ومع ذلك فلا يظن أحد أن هذا الضعف سهل السبيل أمام المسلمين بشكل كبير فرغم ضعف الدولتين بسبب العوامل السابقه ذكرها إلا أنه لم يمنعهما من الإعداد الهائل لملاقاة المسلمين فجهزتا مئات الآلاف من الجند المدربين الذين يفوقون جند المسلمين عددا وعدة ، كما أنهما أبرزتا أسلحة غير معهودة عند المسلمين كالفيلة والكلاليب المحماه التى كانوا يرسلونها من خلف الحصون يصطادون بها من تقع عليه من المسلمين وقد أصابت إحداها أنس بن مالك واستنقذه منها أخوه البراء بن مالك .

كما أن الظن بأن الروم والفرس استهانوا بالمسلمين ولم يستعدوا لهم يدفعه الكلام السابق ، وترده رواية ابن عساكر : أن هرقل جمع بطارقته وهو بحمص

---

(١) سورة الصف /٤ .

(٢) راجع في ذلك : ماذا اخسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة الندوى ص١٢٠ وما بعدها ، والنظم الإسلامية للدكتور صبحى الصالح ص٣٦ وما بعدها .

وقال لهم : هذا الذى حذرتكم فأبيتم أن تقبلوه منى !! قد صارت العرب تأتى مسيرة شهر فتغير عليكم ، ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم ، قال أخوه : ابعث رباطا إلى البلقاء فبعث رباطا واستعمل عليهم رجلا من أصحابه فلم يزل حتى تقدمت البحوث إلى الشام في خلافة أبى بكر وعمر « رضى الله عنهما »[1] .

ويرى البعض أن الاتحاد الجنسي بين أهل البلاد والفاتحين كان من العوامل التى أدت إلى سرعة انتشار المد الإسلامي وأن العرب في تلك البلاد المفتوحة رحبوا بأبناء عمومتهم من العرب المسلمين وساعدوهم على فتح تلك البلاد ، وأنهم لذلك كانوا يبدون للروم والفرس المودة ظاهرا ، لكن قلوبهم مع العرب الفاتحين .[2]

وهذا الكلام لايصح تعميمه لأنه إن وقع لبعض العرب مثل ذلك فإن كثرة منهم كانت مشاركة للروم والفرس وانظر إلى وقعة « أُلَّيْس » ستجد سببها أن كثيرا من نصارى بني بكر بن وائل أصيبوا وقتلوا في معركة « الولجه » فحنق بنو بكر على المسلمين وكاتبوا الفرس ليساعدوهم في قتال المسلمين . فاجتمع الفريقان على العرب ورؤساؤهم وعلى الفرس «جابان» فقابلهم خالد بن الوليد ، وقد ذكر الطبرى أن القبائل العربية في الشام ساعدت الروم ضد المسلمين فقال : ففر إليهم ـ أى الروم ـ من مهراء ، وكلب ، وسليم ، وتنوخ ، ولخم ، وحذام ، وغسان »[3]

وعندى أن هذا استنتاج البعض المستشرقين وتلامذتهم يعمدون إليه ليزعموا أن سبب انتصار المسلمين على فارس والروم عصبية العرب في الدولتين لإخوانهم الفاتحين وقد بان خطأ هذا التعميم .

---

(١) انظر ذلك في ص٢٣٥ .

(٢) ارجع فذ ذلك إلى فن الحرب لعبد الرؤف عون ص٤٠ .

(٣) الطبرى ٣/٣٨٩ .

فتــوح فــارس

انطلق المسلمون إلى الفتوحات وفي أذهانهم وقلوبهم قول الله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » .[1]

وقد اشتملت هاتان الآيتان على عدة وصايا :

١ ـ الثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار من المعركة ، والنظام الحربى المعاصر يقضى بقتل الجندى الفار من القتال حال فراره ، وذلك خشية أن تنتقل عدوى فراره إلى غيره ، فتحدث البلبلة والجزع في صفوف المقاتلين فيكون داعيا لهم على الهزيمة .

٢ ـ ذكر الله ـ عز وجل ـ في الحرب لما له من التأثير الفعال في النصر لأن الإيمان يمنح جند الله المقاتلين شحنة نفسية قوية حيث يجعلهم في معية الله ـ عز وجل ـ « فاذكرونى أذكركم »[2] « لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى »[3] « قال كلا إن معي ربى سيهدين »[4] ومن ثم يكون ذكر الله عاملا من عوامل النصر المهمة .

٣ ـ طاعة الله ورسوله : وتتحقق طاعة الله عز وجل بتنفيذ أمره ، وإقامة شرعه واجتناب نواهيه ، ونصرة دينه ، والجهاد في سبيله ، والثبات عند الزحف ، وذكر الله فيه .

---

(١) سورة الأنفال ٤٥/٤٦ .

(٢) البقرة /١٥٢ .

(٣) سورة طه /٤٦ .

(٤) الشعراء /٦٢ .

وطاعة رسوله « صلى الله عليه وسلم » بالتزام ماجاء به ، وتنفيذ ما أمر به من شئون الحرب والمعارك ومن ذلك طاعته « صلى الله عليه وسلم » باحترام القائد الذى يدير المعركة مادامت هذه الطاعة في رضا الله سبحانه . وذلك ركن من أركان النصر المهمة .

٤ ـ عدم التنازع : إن أعظم شيء يؤدّي إلى النصر : وحدة الصف ، وتآلف القلوب « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »[1] كما أن تفرق الصف ، واختلاف القلوب ، والتنازع يؤدى إلى الهزيمة المروعة ، والخيبة المفزعة ، والتعبير القرآنى هنا يصل بالإنسان المسلم وهو في الصفة إلى قمة الحرص على الوحدة وإلى قمة الخوف من الفرقة والتنازع « فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

٥ ـ الصبر عند لقاء العدو ، ومقابلة الشدة والأهوال التى فى المعارك بصدر رحب وعدم الخوف من كثرة عدد وعتاد لدى العدو كذلك من عوامل النصر المهمة ، والنصر صبر ساعة ، والنبى « صلى الله عليه وسلم » يقول : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »[2]

وكفى بهذا الأمر جلالا أن يقول الله فيه « إن الله مع الصابرين »

انطلق المسلمون بهذه الخطة المحكمة التى رسمها القرآن وبينها النبى «صلى الله عليه وسلم» عمليا في غزواته وسراياه إلى الفتوحات .

وما انطلق المسلمون إلى معركة وهم يحملون هذه الوصايا في قلوبهم ويطبقونها في سلوكهم إلا كان النصر حليفهم بفضل الله تعالى .

---

(١) الصف / ٤ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٣٠٧/١ عن ابن عباس « رضى الله عنه » .

وفي الفتوحات كانت الدعوة أمام ثلاثة أصناف من المدعوين :

١ ـ مشركوا العرب .

٢ ـ أهل الكتاب .

٣ ـ المجـــوس .

وقد نظمت الشريعة الغراء الحكم لكل صنف من هذه الأصناف :

١ ـ مشركوا العرب : لايقبل منهم إلا الإسلام .

٢ ـ أهل الكتاب : وضع الإسلام لهم واحدة من ثلاث :

(أ) الإسلام (ب) الجزية عند يدوهم صاغرون (ج) القتال بالسيف .

٣ ـ المجوس : المشـهور عند العلماء معـاملة المجوس كأهل الكتـاب . وقد قبل النبى « صلى الله عليه وسلم » الجزية من مجوس « هجر » .[١]

في سنة أثنى عشر من الهجرة خرج الصديق « رضى الله عنه » إلى الحج ، ثم رجع إلى المدينة ، وكان خالد بن الوليد قد انتهى من أمر بنى حنيفة مكتب إليه الصديق يأمره بالتوجه إلى العراق ، وأن يبدأ بالبصرة ، وندب عياض بن غنم ليغز فارس من الشمال ليلحقا بالمثنى بن حارثة ، ولما استمد الخليفة أمد خالدا بالقعقاع بن عمرو[٢] وقال لمن راجعه في ذلك بقوله أتمدّه برجل واحد ، «

---

(١) هَجَر بفتح أوله وثانيه قيل معناها القرية ، وعند ياقوت ، مدينه هى قاعدة البحرين « أى القديمة » انظر المعالم الأحيرة ص٢٩٣ بتصرف يسير والخبر في فتوح البلدان للبلاذرى ص٩٠/ ٩١ .

(٢) القعقاع بن عمرو التميمى ـ كان من الشجعان الفرسان ـ قيل إن أبا بكر كان يقول : لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل ، وله في قتال القادسية وغيرها بلاء عظيم ، قال سيف : قالوا كيف عمر إلى سعد : أى فارس كان أفرس في القادسية ؟ قال : فكتب إليه : إنى لم أرمثل القعقاع بن عمرو ، حمل في يـوم واحد ثلاثين حملـة يقتل في كل حملـة بطلا وقـال ابن عسـاكـر: يقال له صـحبـة ـ انظر في ترجمتـه : الاستيعاب ٣/٢٥٢ ، الإصابـة ٣/١٣٠ .

لايغلب جيش فيه مثل هذا » وأمد عياضا بعبد يغوث الحميرى فسارا بحمد الله وتوفيقه .

وقد وصى الصديق « رضى الله عنه » خالدا وعياضا وهما يلحقان بالمثنى ابن حارثه :

١ ـ أن لايضرا بفلاحى العراق وأهل السواد حرصا منه على منابع الثروة ، وعلما بأن العمران لاتقوم بدونه دولة ، كما أن الفلاحة مصدر من مصادر الثروة ، وهى المتصلة بحياة الناس ومعايشهم .

٢ ـ أن لا يغزون معهما أحد ممن ارتد ، وذلك لضعف ثقته « رضى الله عنه » بأهل الردة بعدما ظهر منهم ، ولعله خشى من أن يكون في قلوب بعضهم ضغن على المسلمين فيبثوا فيهم روح الفتنة ويفسدوا عليهم أمر الفتح .

١ ـ الأبُلَّة (١) :

كتب خالد وهو باليمامة كتاباً إلى صاحب الأبُلَّة يقول له فيها « أما بعد فأسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

«الخطة الحربية»

بعد هذه الدعوة الصريحة في الكتاب المرسل إلى هرمز أعد خالد خطته الحربية كما يلي :

١ ـ تقسيم الجيش ثلاثة أقسام حتى لايسير وافى طريق واحد :

١ ـ المثنى بن الحارثة .

---

(١) بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة ، وكانت مدينة فيها مسارح من قبل كسرى . ياقوت ٧٧/١ .

٢ ـ عدى بن حاتم وعاصم بن عمرو .

٣ ـ خالد ومن معه .

٢ ـ أن يخرج المثنى بن حارثة قبل خالد بيومين ويخرج عدى بن حاتم وعاصم ابن عمرو أحدهما قبل صاحبه بيوم .

٣ ـ أن يلتقى الجمع في الحفير ليقابلوا عدوهم مجتمعين .

٤ ـ أن تعمل قوات الاستطلاع لرصد حركات العدو .

٥ ـ نزل خالد على غير ماء ونزل العدو على الماء فقال خالد جالدوهم على الماء فلعمرى فليصيرن الماء لأصبر الفريقين .

كيف تمت المعركة ؟

١ ـ قدم كتاب خالد إلى هرمز بالخير إلى أزدشير الملك وجمع جموعه يريد « الكواظم » فلم يجدوها طريق خالد ، وأخبرته استطلاعاته بأن المسلمين تواعدوا الحفير فذهب هرمز مسرعاً إليها .

٢ ـ أثبتت استخبارات خالد أن هرمزا خفَّ إلى الحفير فعدل خالد عنها إلى كاظمة فخف هرمز إليها .

٣ ـ قيد هرمز جنوده بالسلاسل « ولذلك سميت ذات السلاسل » .

٤ ـ بدأت المعركة بالمبارزة فبارز خالد هرمز وقتله وحمل القعقاع مع أصحابه على أصحاب هرمز فأناموهم وشدوا على القوم فانهزموا .[١]

٢ـ المـذار[٢] :

١ ـ كانت موقعة المذار هى الوقعة الثانية لخالد من العراق وكان سعيها أن

---

(١) السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء لابن حبان ص٤٤٤ .

(٢) المذار : في ميسان بين واسط والبصرة وهو قصبة ميسان بينها وبين البصرة أربعة أيام معجم ياقوت ٨٨/٥ ارجع إلى الطبرى ٣٥١/٣ ، البداية ٣٥٦/٦ .

كسرى قد هزموا المقتول المهزوم بجيش تحت قيادة قارن بن قريايس فوصل إلى المذار واجتمعت إليه فلول جيش هرمز .

٢ ـ وصلت الاستخبارات إلى خالد بواسطة المثنى فقسم فيءَ المعركة السابقة على الجند من رأى لهم ذلك ونفل من الخمس ماشاء الله ثم بعث ببقيته وبالفتح إلى أبى بكر مع الوليد بن عقبة وبعث معه بالخبر عن اجتماع القوم مغيثهم ومغاثهم بالمثنى .

٣ ـ خرج خالد بجيشه حتى التقى بجيش قارن فاقتتلوا قتالا عنيفاً .

كيف دارت المعركة ؟

١ ـ بدأت المعركة بالمبارزة فقتل الأخوان أنوشجان ، وقباذ قواد المجنبتين .

٢ ـ دارت المعركة وثبت المؤمنون فانهزمت الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة .

٣ ـ قسم خالد العتيمة وترك الأسلاب لساليبها وبعث بالخمس وخبر النصر إلى الصديق رضى الله عنه .(١)

٣ـ الولجة(٢) :

وصل خبر الهزيمة إلى كسرى بالمدائن فجهز جيشا كثيفا بقيادة الاندرزغر .

خطة خالد الحربية

لما علم خالد بأمر هذا الجيش رسم خطته كما يلى :

١ ـ ترك حامية في القرى تحمى ظهو جيشه وتحفظ خطة الرجعة .

---

(١) واجع الطبرى ٣/٤ مع الإشارة إلى أن ترتيب هذه المعارك مأخوذ عن الخلفاء الراشدون للشيخ النجار بتصرف .

(٢) الولجة : بأرض كسكر موضع مما يلي البر واقع فيه خالد بن الوليد جيش الفرس فهزمهم معجم ياقوت ٣٨٣/٥ انظر البداية والنهاية ٣٤٩/٦ ، الكامل ٢٦٣/٢ .

٢ ـ خرج في تعبئة كاملة .

٣ ـ رتب الهجوم من ثلاث جهات :

(أ) كمين أول . (ب) كمين ثان . (ج) القلب الأصلي بقيادة خالد .

كيف تمت المعركة ؟

١ ـ قام خالد بالهجوم فاقتتل معهم اقتتالاً شديداً .

٢ ـ استبطأ خالد الكمين ولكنه ظهر فجأة ليدهم العدو من جنبيه .

٣ ـ أخذت المفجأة الفرس فانهزموا شر هزيمة .

٤ ـ تبعهم خالد فأصابهم إصابات كثيرة مروعة .

٤ ـ أُلَيْس[1] :

كانت أليس رابع الوقائع لخالد في العراق وسببها أن كثيراً من نصارى بنى بكر بن وائل أصيبوا وقتلوا في معركة الولجة فحنق بنو بكر على المسلمين وكاتبوا الفرس ليساعدوهم في قتل العرب المسلمين . فاجتمعوا على العرب رؤساؤهم وعلى رأس الفرس جابان وعلم خالد بما دبره القوم .

الخطة الحربية لخالد

١ ـ نقلت الاستطلاعات الإسلامية لخالد مادبره القوم فرسم خطته كما يلى :

أ ـ تعجل خالد وفي حسه أنه سيلقى نصارى العرب من عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية .

---

(١) أليس بوزن سكّيت : الموضع الذى كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول تاريخ ١٠١/١ ـ البداية ٣٥٠/٦ ـ التكامل ٢٦٤/٢ .

أرض العراق من ناحية البادية .. وفي كتاب الفتوح أليس قرية من قرى الأنباء ، معجم ياقوت ٢٤٨/١ .

ب ـ وجد خالد النصارى العرب قد اجتمعوا إلى جيش الفرس بقيادة جابان .

ج ـ اطلع خالد عليهم فوجد الفرس تهيئوا للطعام وتنادوا له ، وكان خالد لاينام ولا ينيم » .

د ـ وجد خالد الفرصة سانحة للهجوم .

كيف تمت المعركة ؟

١ ـ كان خالد على تعبئة فهاجم القوم مستغلاً عنصر المباغتة فأجهضهم عن طعامهم وقاتلهم قتالا شديداً .

٢ ـ صمدت جموع المشركين معتقدين وصول إمداد بقيادة « بهمن جازوية » .

٣ ـ أمر خالد أصحابه بكبس المشركين والفرس والشدة عليهم فانكشفوا وانهزموا .

٤ ـ أفحش خالد في قتلهم وغنم المسلمون طعامهم الذى كان مهيئا لهم .

٥ ـ أتى خالد مدينة مغيشيا[1] فوجد أهلها قد جلوا عنها وتركوها ففتحها المسلمون ، وأرسل خمس الغنائم إلى الصديق « رضى الله عنه » ففرح بنصر الله وأخبر قريشاً بذلك قائلا « يامعشر قريش ـ عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خرازيله ... عجزت النساء أن ينشئن مثل خالد » .[2]

٥ ـ الحيــــرة :

علم مرزبان الحيرة بما صنع خالد بأمغيشيا فأيقن أنه آتيه ، فاستعد لذلك وأرسل جيشا بقيادة ابنه ثم خرج في إثره وأمر ابنه بسد الفرات ليعطل سنن

---

(١) أمغيشيا : موضع كان بالعراق فيه وقعة بين المسلمين والفرس كانت بادقلى ينتهى إليها ، وكانت أليس من مسالحها ، وكانت قرية كالمصر ، مرصدا الاطلاع ١١٩/١ . انظر البداية ٣٥٠/٦ .

(٢) الطبرى ١٢/٤ ، تاريخ الخلفاء للذهبى ص٤٤٥ .

المسلمين ، وفوجىء المسلمون بذلك واغتموا له فأرسلوا الملاحين فأخبروهم بضرورة سد الأنهار حتى يسيل الماء فماذا فعل خالد ؟

١ ـ نهض خالد في خيل يقصد ابن المرزبان فلقى خيلا من خيله ففاجأهم فأنامهم بالمقر ثم نهض قبل أن تصل أخباره إلى المرزبان حتى لقى جندا لابنه على فم الفرات فقاتلهم وهزمهم ، وسد الأنهار وسلك الماء سبيله ، ثم طلب خالد عسكره واتجه إلى الحيرة .

٢ ـ علم المرزبان بموت ابنه ، وخبر موت أزدشير فهاله الأمر فعبر الفرات هاربا من غير قتال فعسكر خالد مكانه ، وأهل الحيرة متحصنون .

٣ ـ أدخل خالد الخيل من عسكره ، وتمت خطته حول قصور الحيرة بمحاصرتها على هذا النحو :

(أ) ضرار بن الأزور لمحاصرة القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائى .[١]

(ب) ضرار بن الخطاب لمحاصرة قصر العدسيين وفيه عدى بن عدى العبادى .[٢]

(ج) ضرار بن مقرن لمحاصرة قصر بنى مازن وفيه ابن أكال .[٣]

---

(١) ضرار بن الأزور : كان فارسا شجاعا شاعرا ، شهد قتال مسيلمة باليمامة ، قال موسى بن عقبة قتل شهيدا في اليمامة وعلق النجارى في تاريخه على ذلك بقوله هو وهم وإنما هو ضرار بن الخطاب انظر الإصابة ٢/٢٠١ ـ الاستيعاب ٢/٢٠٤ ـ أسد الغابة ٣/٥٢ .

(٢) ضرار بن الخطاب مرداس القرشي الفهرى ، قال ابن حيان : له صحبة ـ وكان فارسا شاعرا ، أسلم في الفتح وقتل باليمامة شهيدا ـ الاستيعاب ٢/٢٠١ ، الإصابة ٢/٢٠١ .

(٣) ضرار بن مقرن المزنى أحد الإخوة ـ ذكر سيف والطبرى أن خالد بن الوليد أمره لما حاصر الحيرة ولم يكونوا يؤمرون إلا الصحابة . الإصابة ٢/٢٠٢ .

(د) المثنى بن حارثة لمحاصرة قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح .(١)

٤ ـ عهد خالد إلى أمرائه أن يدعوا القوم إلى الإسلام فإن أجابوا قبلوا منهم ، وإن أبوا أجلوهم يوما .

٥ ـ أمرهم أن لايمكنوا عدوا منهم بل عليهم أن يناجزوهم ولايمنعوا المسلمين من قتال عدوهم ففعلوا .

٦ ـ اختار القوم المنابذة وعمدوا لرمي المسلمين بالحذف(٢) فرشقهم المسلمون بالنبل ، وشنوا غاراتهم ، وفتحوا الدور والديارات فنادى القسيسون : يأهل القصور مايقتلنا غيركم ، فنادى أهل القصور : يامعشر العرب قبلنا واحدة من ثلاث فكفوا عنا ـ وخرج رؤساء القصور فقابلهم خالد كل أهل قصر على حدة ، ولامهم على فعلهم ، وتصالحوا مع خالد على الجزية وصالحوه على مائة وتسعين ألفا ، وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى أبى بكر فقبل الهدايا ، وعدها لأهل الحيرة من الجزية تعففا عما لم يأذن به الشرع وقطعا لدابر العادات الأعجمية التي كان يحتال بها على سلب أموال الناس (٣).

كتاب خالد في عهده لأهل الحيرة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ماعاهد عليه خالد بن الوليد عديا وعمرا بن عدى ، وعمر بن عبد المسيح ، وإياس بن قبيصة ، وحيرى بن أكال ، وهم نقباء أهل الحيرة ، ورضى

---

(١) المثنى بن حارثة سبق ترجمته .

(٢) الحذف : الرمى بالحصى عن جانب والضرب عن جانب ، وأما الخذف بالخاء فإنه الرمى بالحصى الصغار بأطراف الأصابع ـ لسان العرب ٤٠/٩ .

(٣) خليفة ١٠١/١ ـ الكامل ٢٦٥/٢ .

بذلك أهل الحيرة ، وأمرهم به ، عاهدهم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا رهبانهم وقسيسهم الإ من كان منهم على غير ذى يد حبيسا عن الدنيا ، تاركا لهما ، وعلى المتعة ، وإن لم يمنعهم شيء ، فلاشيء عليهم حتى يمنعهم ، مران عذروا بفعل أو قول فالذمة منهم بريئة . وكانت كتابة هذا العهد في شهر ربيع الأول سنة ١٢ هـ .

ولما قدم إلى خالد ابن صلوبا السوادى صالحة على بانقياء ، وباروسما ، وكتب له عهدا بذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادى ومنزله بشاطىء الفرات : إنك آمن بأمان الله ممن حقن دمه بإعطاء الجزية ، وقد أعطيت نفسك ومن كان في قريتك ألف درهم فقبلناها ، ورضي من معي من المسلمين بها ، فلك ذمة الله ، وذمة محمد « صلى الله عليه وسلم » وذمة المسلمين على ذلك ، وشهد هشام بن الوليد فكانت هذه جزية أهل الحيرة أول جزية في الإسلام ، ثم صالحه دهاقين الفرس وكتب لهم كتابا بذلك .(١)

كتاب خالد إلى ملك الفرس :

أرسل خالد مرة الحميرى إلى ملك الفرس بكتابه الذى يقول فيه : « من خالد ابن الوليد إلى ملوك الفرس .. أما بعد فالحمد لله الذى حل نظامكم ، ووهن كيدكم ، ومزق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرا لكم ، فادخلوا في أمرنا ندعكم ونجوزكم إلى غيركم ، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب ، على أيدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

(١) ابن حبان ـ السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء ص٤٤٦ بتصرف ، الطبرى ٣/٣٧٣ ، البداية ٦/٢٥٣ ، الكامل ٢/٢١٦ .

ثم كتب إلى مرازبة الفرس ، أما بعد فأسلموا تسلموا ، وإلا فاعتقدوا منى الذمة وأدوا الجزية ، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر [1].

٦ ـ الأنبـار [2] :

استقام الأمر لخالد في تلك الجهات فاستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو التميمي ، واتجه بتعبئة لإغاثة عياض بن غنم الذى أرسله الصديق ليفتح العراق من الشمال ويلتقى بخالد وصل خالد إلى الأنبار فوجد القوم قد تحصنوا وخندقوا على أنفسهم وأشرفوا من أعالي الحصون .

« خطـة خالـد الحربيـة »

١ ـ بعد أن استطلع خالد الميدان بنفسه ورأى ماعليه القوم أمر جنوده بما يلي :

(أ) أن يرشقوا العدو بالنبال ففعلوا ، وأصابوا فيهم مقاتل .

(ب) أن يوجهوا النبل إلى عيونهم قائلا : إنهم قوم لا علم لهم بالحرب .

كيف تم تنفيذ الخطـة ؟

١ ـ قام الرماة بتنفيذ أوامر القائد ، ورشقوا القوم في عيونهم بالنبل .

٢ ـ أراد خالد أن يقتحم الخندق بفطنه وذكاء ، حيث عمد إلى الضعاف من الإبل في جيشه فنحرها ، وملأ الخندق في أضيق نقطة فيها بجثث الإبل ، واقتحم المسلمون الخندق وجسرهم جثث الإبل ، وصاروا مع عدوهم داخل الخندق ، فالتجأ العدو إلى الحصن .

---

(١) الطبرى ٣/٣٧٠ ، الكامل ٢/٢٦٥ .

(٢) الأنبار : مدينة على الفرات الغربي ببغداد سميت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير ـ مراصد الاطلاع ١/١٢٠ ـ وانظر ـ تاريخ خليفة ١/١٠٢ الطبرى ٣/٣٧٣ . البداية ٦/٣٥٣ ، الكامل ٢/٢٦٩ .

٣ ـ كان رأس القوم شيرزاد صاحب ساباط عاقلا ، فراسل خالدا فى الصلح على ما أراد فقبل خالد منه على أن يخلى الحصن ، ويلحق بأمنه في جريدة من الخيل ليس معهم من المال أو المتاع بشئ فوفى له خالد بما صالح عليه .[١]

٧ـ عين التمر[٢] :

استخلف خالد الزبرقان بن بدر على الأنبار[٣] بعد أهلها ومن حولهم ، وانطلق إلى عين التمر فوجد عقة بن أبى عقة فى جمع عظيم من النمر وتغلب وإياد ومن حالفهم ومعهم من الفرس مهران بقواته[٤] وطلب عقة من مهران أن يتركه لقتال خالد فوافق لأنه سيكسب من انتصار عقة على خالد ، وأعد خالد خطته :

---

(١) نفس المراجع السابقة .

(٢) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار ، وهى قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبى بكر على يد خالد سنة ١٢هـ عنوة ـ ياقوت ١٧٦/٤ ، قاموس الأماكن والبقاع الواردة في الفتوحات ص١٥٥ .

(٣) الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف التميمى / لقب بالزبرقان ـ وهو اسم للقمر ـ لجمال وجهه ، ولاه النبى « صلى الله عليه وسلم » صدقات قومه فأداها في الردة إلى أبى بكر فأقره ثم إلى عمر ـ انظر في ترجمته : الاستيعاب ٥٦٦/١ الإصابة ٥٢٤/١ .

(٤) خليفة ١٠٢/١ ، تهذيب ابن عساكر ١٣١/١ ، الطبرى ٣٧٠/٦ ـ الكامل ٢٦٩/٢ البداية ٣٥٤/٣ والنمر هم : بنو النمر بن قاسط ، بطن من ربيعة من العدنانية ـ نهاية الأرب للقلقشندي ص٤٣٢ .

بنو تغلب : حيٌ من وائل من ربيعة من العدنانية ـ كانت ديارهم بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين ، وتعرف ديارهم هذه بديار ربيعة ، وكانت النصرانية غالبة عليهم لمجاورة الروم ، نهاية الأرب للقلقشندي ص١٨٧ .

إياد : موضع بالحزن لبنى يربوع بين الكوفة وفيد ، وهم حي من معد بن عدنان قال في العبر : وكانت ديارهم الحرم مع العدنانيين إلى أن تكاثر بنو إسماعيل ، وانفردت مضر برئاسة الحرم فمال بنو إياد إلى العراق ، ياقوت ٢٨٧/١ ـ نهاية ص٩٦ .

الخطـة والتنفيـذ :

كانت الخطّة الحربيّة لخالد قائمة على الحركة السريعة المباغته ، فما كاد خالد يرى عقة يسوي صفوفه حتى قال لمجنبتيه اكفونا مامعه فإنى حامل ، وجعل لنفسه حوامى ، ثم حمل حتى وصل إلى عقة وهو في تسوية الصفوف فاحتضنه وأخذه أسيرا فانهزم جنده قبل القتال ، وأمعن فيهم المسلمون الأسر وسط هروبهم .

ورأى مهران ماحل بعقة فوهنت قوته فترك الحصن ونجا بمن معه من الفرس ، ودخل المنهزمون من جيش عقة الحصن فأحاط بهم خالد فيئسوا من النجاة ونزلوا على حكمة فأمر بعقة وعمرو بن الصعن فضربت أعناقهم ، وأجزر السيف في البقية ، وسبى السبى ، وبعث بالأخماس إلى الصديق ، وتوجه إلى عياض بن غنم الذى بعث يستمده حسب خطة الخليفة فرد عليه خالد « إياك أريد » وخلف على عين التمر رعو يم بن الكاهل الأسلمى ، وخرج يريد دومة الجندل .

٨ ـ دومة الجندل[1] :

علم أهل دومة الجندل بمسير خالد إليهم فاستنفروا أحلافهم ، وجمعوا جموعا عظيمة ، ووصل خالد إليهم وعلى رأسهم الجودى بن ربيعة ، ووديعة الكلبى ، وابن رومانس ، وابن الأيلم ، وابن الحدرجان .

خطة خالد الحربية والتنفيذ :

أمام هذا الجمع الحانق رتب خالد خطته كما يلي :

١ ـ جعل دومة الجندل بين عسكره وعسكر عياض .

---

(١) الكامل ٢/٢٧٠ ـ البداية ٦/٣٥٤ ودومة الجندل بضم أوله وفتحه ، وقد أنكر ابن دريد الفتح وجعله من أغلاط المحدثين ، وعدها ابن الفقيه من أعمال المدينة ، وقد سميت لأن حصنها مبنى بالجندل . ياقوت ٢/٤٨٧ .

٢ ـ رتب الأمر على أن يبدأ بالمبارزة وقد كان .

٣ ـ خرج خالد للمبارزة فبرز إليه قائدان هما : الجودى ووديعة ، وخرج عياض للمبارزة فبرز إليه قائدان هما ابن الأيلم وابن الحدرجان .

٤ ـ مكن الله خالدا وعياضا ، وظفر المسلمون بعدوهم ، واثخنوا في المشركين ، وأخذ خالد الجودى أسيرا ، وأخذ عيينة بن حصن وديعة الكلبى أسيرا .

٥ ـ لحق المنهزمون بالحصن وأغلقوا أبوابه فقتل خالد من كان خارج الحصن ممن لم ينجوا واقتلع باب الحصن وقتل من فيه .

وتجمع المشركون ومن حالفهم في الحصيد .

٩ ـ الحصيد (١) :

رأى القعقاع بن عمرو أن زرمهر ، وروزبة لايتحركان ، فقصد الحصيد فوجد العرب ومن معهم من العجم وعليهم « روزبة » الذى استغاث بزرمهر فخف إليه بنفسه . حيث التقى بهم القعقاع بأمر خالد فنصر الله المسلمين وانحاز بقية المنهزمين إلى الخنافس .

١٠ ـ الخنافس (١) :

بعث خالد أبا ليلى بن فدكى إلى الخنافس ، فلما علم المهبوذان وجنده وفلول المنهزمين من الحصيد انهزموا دون قتال ، وفروا إلى مضيخ بن البرشاء فكتب

---

(١) الطبرى ٣/٣٨٠ ، الكامل ٢/٢٧١ ، البداية ٦/٣٥٥ ، والحصيد : موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة وقال نصر : واد بين الكوفة والشام أوقع به القعقاع سنة ١٣هـ بالاعاجم ومن معهم من العرب / ياقوت ٢/٢٦٦ .

(٢) الطبرى ٣/٣٨٠ ، الكامل ٢/٢٧١ ، البداية ٦/٣٥٥ ، والخنافس : أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار تقام فيه سوق للعرب كانت بها وقعة زمن أبى بكر والأمير من قبل خالد أبو ليلى بن فدكس ، ووقعة أخرى في زمن عمر وإمارة المثنى بن حارثة / ياقوت ٢/٣٩٠ .

إلى قواده ، وواعد القعقاع وأبا ليلى وأعبد وعروة ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المضيخ فوصلوا في موعدهم واتفقوا على خطة تقضي على عدوهم .

الخطة والتنفيـذ :

١ ـ رأى خالد أن يبيت العدو بليل .

٢ ـ أن ينطلق الجيش المسلم من ثلاثة أوجه .

٣ ـ نفذت الخطة بحنكة فدهموا عدوهم وحصدوهم حصدا .

١١ ـ الثنى الزميل[١] :

بعد الانتصار المؤزر في الخنافس أمر خالد القعقاع بن عمر وأبا ليلى بن فدكس أن يرتحلا أمامه وواعدهما الليلة ليتجمعوا فيها على من بالثنى بنفس الخطة السابقة في أهل المضيخ ففعلوا وظفروا بعدوهم وهم نائمون ثم عطفوا على من بالزميل ، ثم على من بالبشر ثم الرضاب وفيها هلال بن عفة فانقشع عنها ولم يجد خالد فيها جيشا .

١٢ ـ الفـــراض[٢] :

سار خالد إلى الفراض وهى نحو العراق والشام والجزيرة ، وقد أراد أن يتأكد أنه لم يترك عورة وراء جيشه ينالهم منها عدوهم .

---

(١) الثنى من كل نهر أو جبل منعطفه ، ويقال الثنى أسم لكل نهر ، ويوم الثنى لخالد على الفرس قرب النهر مشهور ، وهو علم موضع بالجزيرة قرب شرقي الرصافة ، تجمعت فيه بنو تغلب ، وبنو بحيرة ، لحرب خالد فأوقع بهم بالثنى وقتلهم كل قتلة سنة ١٢هـ أيام الصديق « رضى الله عنه » / ياقوت ٨٦/٢ .

(٢) الفراض : الطبرى ٣٨٣/٣ ـ الكامل ٢٧٤/٢ ، البداية ٣٥٦/٦ والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات ، قصد خالد بن الوليد فاجتمعت عليه الروم والعرب فأوقع بهم وقعة عظيمة ، مراصد الاطلاع ١٠٢٢/٣ .

وكانت الفراض آخر وقائع خالد بالعراق وفيها جمع الفرس وحلفاؤهم وناجزوا المسلمين واقتتلوا اقتتالا شديدا طويلا ، ثم انهزموا فقال خالد ألحوا عليهم ولا ترفعوا عنهم وأفحش فيهم القتل .

وقد لخص الحافظ الذهبي هذه الوقائع فقال : بعد فراغ قتال أهل الردة بعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد إلى أرض البصرة ، وكانت تسمى أرض الهند فسار خالد بمن معه من اليمامة إلى البصرة فغزا الأبلة فافتتحها ، ووصل مسيلة ، فغنم وسبى من القرى ، ثم سار نحو السواد فأخذ على كسكر وزندورد بعد أن استخلف على البصرة قطبة بن قتادة السدوسي ، وصالح خالد أهل أليس على ألف دينار ثم افتتح نهر الملك ، وصالحه صاحب الحيرة تسعين ألفا ، ثم سار نحو أهل الأنبار فصالحوه ثم حاصر عين التمر ، ونزلوا على حكمه فقتل وسبى .

« فتوح الروم »

« والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » .(١)

« أبو بكر الصديق »

بذل خالد بن الوليد جهدا عظيما في فتوح العراق وذلك سنة اثنتى عشرة للهجرة ، وفي أوائل سنة ثلاث عشر بعد رجوع الصديق من الحج سير الجيوش إلى الشام وبعث بعدة قواد :

١ ـ عمرو بن العاص ـ فلسطين

٢ ـ يزيد بن أبى سفيان

٣ ـ أبو عبيدة بن الجراح ـــ ثلاثتهم إلى الشام

٤ ـ شرحبيل بن حسنة

(١) البداية والنهاية ٧/٥ .

ويقول بعض العلماء : إن أول لواء عقده كان لخالد بن سعيد بن العاص ثم عزله إما قبل مسيره أو بعد مسيره بعدة أشهر حين أبدى عمر رأيه في خالد ابن سعيد وأنه لايصلح للقيادة .(١)

« الصديق يودع الأمراء ويوصيهم »

ودع الصديق « رضى الله عنه » أمراءه وسار مع يزيد بن أبى سفيان . الصديق يمشى على قدميه ويزيد يركب دابته ويدور حوار جليل بن الخليفة وقائده :

يقول يزيد : ياخليفة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » إما أن تركب وإما أن أنزل !!

فيقول الصديق : ما أنت بنازل ولا أنا براكب !! أليست خطاي هذه في سبيل الله ؟

ثم قال يايزيد : إنكم ستقدمون بلادا :

١ ـ فإذا أكلتم الطعام فسموا الله على أولها واحمدوه على آخرها .

٢ ـ وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم لصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له .

٣ ـ وستجدون أقواما قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد فاضربوا تلك الأعناق .

٤ ـ لاتقتلن كبيرا هرما ، ولا امرأة ولا وليدا .

٥ ـ لاتعقروا بهيمة إلا لنفع .

٦ ـ لاتخربن عمرانا .

٧ ـ لاتقطعن بحرا إلا لنفع .

---

(١) الطبرى ٣/٣٨٧ ، ٣٨٨ .

٨ ـ لاتغل .

٩ ـ لاتغدر .

١٠ ـ لاتخن .

١١ ـ « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .[١]

١٢ ـ اقرؤك السلام وأستودعك الله .

ثم انصرف أبو بكر ومضى يزيد .[٢]

« أحـوال الـروم »

علم الروم بنزول جيوش المسلمين فكاتبوا هرقل ـ وكان بالقدس ـ فأشار عليهم بمصالحة المسلمين قائلا : أرى أن تصالحوا المسلمين ، فوالله لئن تصالحوهم على نصف مايحصل من الشام ـ ويبدو لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إلى من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم ، فتصايح القوم ولم يعجبهم هذا الأمر فاضطر هرقل إلى مسايرتهم وهو موقن من الهزيمة فجمعهم وسار بهم إلى حمص فنزلها وأعد الجند والعساكر .[٣]

« مسير قواد الجيوش الإسلامية »

مضى يزيد بن أبى سفيان حتى نزل البلقاء بالأردن ، وأخذ عمرو بن العاص طريق المعرفة ونزل بالعربة ، ونزل أبو عبيدة بالجابية ، ونزل شرحبيل بن حسنة الأردن أو بصرى .[٤]

---

(١) سورة الحج من الآية « ٤٠ » .

(٢) انظر الطبرى ٢٣٩/٤ البداية والنهاية ٣/٧ .

(٣) راجع الكامل لابن الأثير ٤٠٦/٢ .

(٤) الكامل المرجع السابق هذا . والبلقاء سبق التعريف بها ـ والعربة موضع في أرض فلسطين بها أوقع أبو أمامة الباهلي بالروم لما بعث يزيد بن أبى سفيان ، ولعله المعروف « بوادي العربة » وهو واد استطال من النور إلى خليج العقبة ـ المعالم الأثيرة ص١٨٨ . والجابية قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان ـ المعالم الأثيرة ص٨٥ ، وبصرى كبرى مدن حوران وهى معروفة اليوم في أرض العربية السورية المعالم الأثيرة ص٤٨ .

خطـة الـــروم :

بنى هرقل خطته في محاربة المسلمين على مايلي :

١ ـ جمع أكبر عدد ممكن من الرجال والعتاد حتى وصل عدد جيشه في رأى الطبــري أربعين ومــائتى ألف ـ وعند ابن الأثيــر مــائة ألف في إحــدى الروايتين .[١]

٢ ـ اسـتعراض القـوة أمام المسلمين لتخـويفـهم وإحـداث صدمـة نفسـيـة لدى جنودهم .

٣ ـ العـمل على إشـغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من جنده لتضـعف كل فرقة من المسلمين عمن أمامها .

٤ ـ بناء على ما سبق قام هرقل بما يلي :

(أ) بعث أخاه تذارق تجاه عمرو بن العاص في نحو تسعين ألفا .

(ب) بعث جرجه نحو يزيد بن أبى سفيان .

(ج) بعث « الدواقص » نحو شرحبيل بن حسنة .

(د) بعث « الفيقار » نحو أبى عبيدة في نحو ستين ألفا .

---

(١) عند الطبرى كان المسلمون سبعة وعشـرين ألفـا + تسعة آلاف جند خالد = ستة وثلاثون ألفا . أما ابن الأثير فعد المسلمين أربعين ألفا سوى ستة آلاف مع عكرمة = ستة وأربعون ألفا بينما الروم في خبر الطبرى كانوا مائتين وأربعين ألفا تقسيمها كالآتى :
ثمانون ألفا مقيد منهم أربعون ألفا مسلسلين ، وأربعون ألفا مربوطون بالعصائم ، ثم ثمانون ألفـا فـارس ، وثمـانون ألف راجل ، ويروى ابن الأثـير روايتين الأولى توافق قـول الطبـرى ، والثانية تقول كانوا مائة ألف فقط وقسم الجيش : ثمانين ألف مقيد ، وأربعين ألف مسلسل ، وأربعين ألف مربوط بالعمائم وثمانين ألف راجل ولم يذكر فوارس ـ انظر الطبرى ٣٦٤/٣ ، الكامل ٢/٢ .

أحـــوال المسلميـن

١ ـ نظر المسلمون إلى جيوش الروم الهائلة وكتب الأمراء إلى الصديق « رضى الله عنه » فـأجابهم « إنّ مثلكم لايؤتى من قلة ، إنما يؤتـى العشـرة الآلاف إذا أوتوا من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليُصَلّ كل رجل منكم بأصحابه » .(١)

ألا ما أعظم القيادة الحكيمة للصديق « رضى الله عنه » حين يضع أساس النصر للجيوش بطاعتها لله أولا فالخذلان يأتى بالمعاصى والذنوب وإذا كان العدو يسبق المسلمين في عَدَدِه فإن العامل الذى يرجح كفة المسلمين طاعتهم لربهم وبعدهم عن عصيانه ومخالفة أمره .

ثم يجمع الصديق مع هذا الإعداد الخلقى للمجاهدين الأخذ بأسباب القوة الحربية فيشير على أمراء الأجناد أن يجتمعوا في اليرموك حتى لايستغل العدو فترة انتشارهم في البلاد لينهك قواهم الواحد بعد الآخر .

كما أن تعيينه لليرموك دال على دراسة الصديق لجغرافية الأرض في عصره وإدراكه لمواقعها وهذا فقه حربى عظيم وفقه الله عز وجل له .

٢ ـ بعدما أجاب الصديق قواده بهذا الجواب العظيم أخذ يفكر في الأمر ويريد البحث فيه .

٣ ـ نفذ القواد أمر الصديق فنزلوا إلى اليرموك ، وتخيروا مكانهم بحنكة وروية ، فبينما نزل الروم الواقوصة وهى على ضفة اليرموك في واد أضحى خندقا كبيرا يحصدهم .

٤ ـ نظر المسلمون إلى الروم فانتقلوا عن عسكرهم الذى كانوا فيه ، فنزلوا بحذاء الروم على طريقهم بحيث لم يصبح للروم طريق إلا على المسلمين ،

---

(١) الطبرى ٣/٣٩٢ ، ابن الأثير ٢/٤٠٦ ، الصديق لمحمد رضا ص١٤٨ .

فصاح عمرو بن العاص يبشر جند المسلمين قائلاً : « أيها الناس أبشروا ... حصرت والله الروم ، وقل ماجاء محصور بخير » .

٥ ـ أراد الروم باستعراض قوتهم إحراز نتيجتين :

(أ) إرهاب المسلمين وتخويفهم كما سبق بيانه .

(ب) إيناس جيوشهم وتقوية عزيمتها حين ترى قلة المسلمين .

٦ ـ بلغ جيش المسلمين مابين أربعين إلى ستين ألفا ، وظلوا ثلاثة أشهر تامة وهى صفر وشهرا ربيع لايقدرون على شىء من الروم في الوادى أو الخندق ، والروم لايخرجون عليهم إلا ردوهم .

٧ ـ ظل المسلمون يجابهون الروم على تساند ، وكل أمير على أصحابه لايجمعه أحد .

٨ ـ طال تفكير الصديق في أسباب تأخر النصر ، وأخذ يقلب الأمر من جميع وجوهه فتوصل إلى أن هذا التأخير وقع لسببين :

(أ) عدم توحيد القيادة .

(ب) عدم وجود القائد المتميز ، وذلك لأن جميع القادة في درجة واحدة من الكفاءة ، والأمر يحتاج إلى قائد يجمع كل صفات الكفاءة التى في صاحبه ، فيكون صاحب قدرة عسكرية فائقة ، مع قدرة على حسم الأمور ، وصاحب دهاء وحيلة مع جرأة وإقدام ، وصاحب حنكة ودراية مع دقة في تقدير المواقف ، وصاحب تجربة طويلة في مثل تلك المعارك .. أى يجمع قدرة أبى عبيدة ، ودهاء عمرو ، وحنكة عكرمة ، وإقدام يزيد ، ثم يمتاز عليهم بما سبق بيانه .

ففى أى الرجال توجد هذه الخصائص الهامة ؟ هنا نجد الصديق ينظر إلى أهل الشّورى الذين جمعهم وقال : « والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » .[1]

خطاب الصديق إلى خالد :

كتب الخليفة إلى خالد يأمره بالتوجه إلى الشام وترك العراق ، وأن يستخلف عليه ويذهب بالقوى من الرجال ، فنفذ خالد واستخلف المثنى بن حارثة واتجه إلى الشام .

رحلة خالد من العراق إلى الشام

١ ـ خرج خالد سالكا طريقا وعرا ليباغت أعداءه حتى وصل إلى « سوى » وهو ماء لبهراء ، فأغار عليهم قبيل الصباح وهم يظنون أنفسهم في مأمن إذ لايستطيع أحد أن يمر من هذه المفازة القاتلة التى عبرها خالد بتوفيق الله ، وكان جماعة منهم تشرب الخمر في جفنة ومغنيهم يغنى قائلاً :

ألا عللانى من سلافة قهوة ... تسلى هموم النفس من جيد الخمر
ألا عللانى قبل جيش أبى بكر ... لعل منايانا قريب ولا ندرى
أظن جيوش المسلمين وخالدا ... ستدرككم قبل الصباح مع الفجر

فدهمهم خالد وقتل مغنيهم [2]

٢ ـ سار خالد فأغار على غسان « بمرج راهط » ونزل قناة « تبصر » فصالح أهلها على الجزية وفتحها الله للمسلمين فكانت أول مدينة فتحت بالشام[3] وبعث بالأخماس إلى الصديق .

---

(١) البداية والنهاية ٥/٧ .

(٢) الطبرى ٣٩/٤ ، البداية ٣/٧ .

(٣) المرجعان السابقان .

٣ ـ وصل خالد إلى اليرموك ، ونظر إلى الميدان فرضي بموقع المسلمين لكنه لم يرضه بطريقتهم في قتال الروم متساندين كل أمير على جيش .

فماذا فعل خالد القائد الموفق من الله ؟

بين خالد والأمراء الأربعة

بعد ما رأى خالد المسلمين ولم تعجبه خطة القواد الأربعة قام فيهم خطيبا عبقريا ماهرا تنطق كلماته الوجيزة بخبرته وفطنته وذكائه المتوقد ، وقال لهم : « إن هذا اليوم من أيام الله لاينبغى فيه الفخر ولا البغى ، فأخلصوا لله جهادكم وتوجهوا لله تعالى بعملكم ، فإن هذا يوم له مابعده ، وإن من وراءكم لويعلم عملكم حال بينكم بين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى تردون أنه الرأى من واليكم » .

قالوا فما الرأى ؟

قال : إن الذى أنتم عليه أشد على المسلمين مما غشيهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت بأن الدنيا فرقت بينكم والله ، فهلموا فلنتعاون (أى نتداول) الإمارة فليكن علينا بعضنا اليوم ، وبعضنا غدا والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ، ودعونى اليوم عليكم فقالوا : نعم فأمروه .

وفى رواية قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر ، ولو علم بالذى كان ويكون لما جمعكم ... إن الذى أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت بأن الدنيا فرقت بينكم « فالله الله فقد أفرد كل منكم ببلد من البلدان لاينتقص منه إن دان لأحد من أمراء الجنود ولايزيده عليه إن دانوا له .

إن تأجير بعضكم لاينقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » هلموا فإن هؤلاء تهيئوا ، وهذا يوم له مابعده . إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فلنتعاون الإمارة ، فليكن عليها ببعضنا اليوم ، والآخر غدا والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ، ودعونى أليكم اليوم فأمروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم وان الأمر أطول مما صاروا إليه .(١)

خطة خالد الحربية :

١ ـ حينما رأى خالد ماعليه الروم من كثرة أحب أن يجابه ذلك التحويل القلة العددية إلى كثرة اعتبارية ، وذلك بطريقة ترهب عدو الله وعدو المسلمين فقسم الجيوش إلى « كراديس » أى « فرق » كل كردوس من ألف رجل وجعل على كل كردوس رجلا شجاعا من أمثال القعقاع ، وعكرمة ، وجعل القلب لأبى عبيدة ، وقيادة الميمنة لعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ، وقيادة الميسرة إلى يزيد بن أبى سفيان .

وقد شرح لأصحابه هدف هذا التقسيم فقال : إن عدوكم كثير ، وليس تعبيه أكثر في رأى العين من الكراديس .

٢ ـ كانت خطة خالد تعتمد على رفع الروح المعنوية للجند ، وقد سمع فجأة من يقول : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ، فصاح غاضبا من هذه الكلمة لما لها من أثر عكسي على نفوس المقاتلين وقال : بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، إنما تكثر الجند بالنصر ، وتقل بالخذلان ، والله لوددت أن الأشقر ـ أى فرسه ـ براء من تَوَجِّيه لأنه قد حفى من سيره بالمفازة ـ وأنهم أضعفوا العدد .

---

(١) الطبرى ٣/٩٥، البداية ٧/٤ ـ الكامل ٢/٤١١ ، الفتوح ١/٨٠ .

٣ ـ نظم خالد سرية الشئون المعنوية والإدارية التى تتكون من :

١ ـ أبو الدرداء « رضى الله عنه » قاضيا .[١]

٢ ـ أبو سفيان « رضى الله عنه » واعظا .[٢]

٣ ـ قباث بن أشيم « رضى الله عنه » على الطلائع .[٣]

٤ ـ عبد الله بن مسعود « رضى الله عنه » على الأقباض .[٤]

٥ ـ المقداد « رضى الله عنه » قارئا .[٥]

٦ ـ أبو هريرة « رضى الله عنه » واعظا .[٦]

وقد قامت هذه السرية بعملها خير قيام ، فقام المقداد بقراءة سورة الأنفال حتى خشعت النفوس ، وعلت السكينة ، وقام أبو سفيان بدوره في وعظ الجيش وهو يمشى بين الصفوف قائلا : يامعشر المسلمين أنتم العرب ، وقد أصلحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل ، نائين عن أمير المؤمنين ، وأمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده ، شديد عليكم حنقه ، وقد وترتموهم في

---

(١) أبو الدرداء : عويمر بن عامر الأنصارى شهد أحدا وقيل الخندق وما بعدها أحد الحكماء والعلماء الفضلاء . الاستيعاب ١٩/٣ .

(٢) أبو سفيان : صخر بن حرب الأموى ، أسلم عام الفتح وشهد حنينا والطائف وكان واعظ الجيش في اليرموك . الإصابة ١٧٢/٢ .

(٣) قباث بن أشيم : بن عامر الليثى من بنى كنانة له صحبة شهد اليرموك وكان على كردوس وسكن حمص . الإصابة ٢١٤/٣ .

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل أحد السابقين الأولين هاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها وهو من المكثرين في الرواية . الاستيعاب ٣٠٩/٢ .

(٥) المقداد بن عمرو بن الأسود الكندى بن عمرو شهرته ابن الأسود اسلم قديما وشهد بدرا والمشاهد كلها . الإصابة ٤٣٤/٣ .

(٦) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى . أسلم عام خيبر وشهدها مع النبى « صلى الله عليه وسلم » وهو من المكثرين في الرواية . الاستيعاب ٢٠٠/٤ .

أنفسهم وبلادهم ونساءهم ، والله لاينجيكم من هؤلاء القوم ولا يبلغ بكم رضوان الله غدا إلا بصدق اللقاء ، والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنة لازمة ، وإن الأرض وراءكم ، وبينكم وبين أمير المؤمنين ، وجماعة المسلمين صحارى وبوادى ليس لأحد فيها معقل ولامعول إلا بالصبر ، ورجاء ما وعد الله فهو خير معول ، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هى الحصون ، ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ، ثم عاد فنادى : يامعشر أهل الإسلام ، حضر ماترون فهذا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » والجنة أمامكم والشيطان والنار خلفكم ، ورجع إلى موقفه في الصف حيث كان .

وقام أبو هريرة بعد أبى سفيان فقال : سارعوا إلى الحور العين ، وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم ، ما أنتم إلى ربكم فى موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن ألا إن للصابرين فضلهم .[1]

أثر هذه الشحنة النفسية على الجيش الإسلامي :

أدت هذه الشحنة النفسية دورها المطلوب في تهيئة النفوس للجهاد ، وأشعلت نار الحماس للشهادة ، ونار الشوق للجنة ، فاشرأبت الأعناق تطلب اللقاء .

تنفيذ الخطة الحربية :

١ ــ نظر خالد إلى الجنود فرأى فيهم هذه الروح العظيمة من حب الجهاد ، ولقاء العدو فأراد القعقاع وعكرمة أن يبدءا القتال ، فأنشباه وحمي الوطيس ، واشتد البأس ، وتطايرت الرؤس حتى وصف الإمام ابن كثير ذلك فقال : فلم تر في يوم اليرموك إلا مخا ساقطا ومعصما نادرا وكفًا طائرة .

---

(١) البداية والنهاية ٩/٧ .

(٢) المرجع السابق ١٢/٧ .

« فرج مع الشــدة »

في وسط هذه الشدة ظهرت آية من آيات الله ، حيث نادى أحد القواد من الروم وهو « جرجة » ـ في تسمية الطبري ـ ويبدو أنه كان يعرف اللغة العربية يطلب خالدا ... فخرج إليه خالد ... ودار بينهما الحوار التالي :

ياخـالد لا تكذبنى فـإن الحـر لا يكذب ، ولا تخـدعنى فـإن الكريم لا يـخـادع المسترسل هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكم فلا تسله على قوم إلا هزمتـهم ؟ قال : لا . قال : فبم سميت سيف الله ؟ قال إن الله عز وجل بعث فينا نبيه « صلى الله عليه وسلم » فدعانا فنفرنا عنه ، ونأينا عنه جميعا ، ثم إن بعضنا صدقة ، وبعضنا كذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ، فقال « أنت سيف من سيوف الله ، سله الله على الشركين » قال : صدقتنى ، ثم عاد يسأله عن الإسلام وما يأمر به ، وما للداخل فيه من الحقوق ، ومـا عليه من الواجـبات ، وخـالد يجيبـه عن كل ماسأل عنه ، فمال مع خالد إلى صفوف المسلمين ، ودخل خيمة خالد فاغتسل وتشهد وصلى ركعتين .

وقـد ظن الروم أن جـرجـة حـمل على المسلمين ، وأنه في حـاجـة إلى المدد فـحملوا على المسلمين حملة أزالتـهم عن مواقـعهم ، وثبت عكرمـة ، والحـارث بن هشام ، وكان على حامية فسطاط خالد ، ولما رأى عكرمة تراجع المسلمين قال : قاتلت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في كل موطن ، وأفر منكم اليوم ؟!! ثم نادى المسلمين من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور ومعهما أربعمائة من أبطال المسلمين وفرسانهم ودافعوا عن الفسطاط حتى أثخنوا جميعا جراحا وقتلوا إلا من برأ .

ويروى الطبـرى وابن كثـير « رضـى الله عنه » أن الروم تراجـعت أمام ثبات عكرمة وأصحابه .

٢ ـ نظر خالد فرأى تراجع الروم فزحف بقواته على جيوش الروم المنهزمة وظل يضرب فيهم من طلوع النهار حتى مالت الشمس إلى الغروب ، وقاتل كل فريق من المسلمين تحت رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا.(١)

٣ ـ نظر خالد إلى ميسرة جيش الروم التى حملت على ميمنة المسلمين فحمل عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة .

٤ ـ التفت خالد إلى المسلمين يثير فيهم الشجاعة قائلا : والذى نفسى بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد إلا ما رأيتم ، وإنى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم فحمي حماس جنده .

٥ ـ اعترض خالد جند الروم وحمل بمائة فارس على جموع ضخمة منهم ففروا وتتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون .

٦ ـ صلى المسلمون الظهر والعصر إيماء ، وحمل خالد برجاله على الروم حتى صار في وسطهم وذعرالروم لهول مافوجئوا به من المسلمين .

٧ ـ أعطى خالد إشارة للمسلمين للسماح لخيالة الروم المنهزمين بالمرور حتى لايجدوا مفرا إلا الهروب من خلال المسلمين ، وبالفعل ظنها الروم فرصة للنجاة فتبعهم المسلمون وأخذوهم كل مأخذ .

٨ ـ قاد خالد الهجمة الكاسحة ، واقتحم الخندق فتقهقر الروم حتَّى وصلوا إلى مقابرهم في الواقوصة التى تهافتوا فيها تهافت الفراش في النار ، وبخاصة من سلسلوا أنفسهم خوفا من الهروب كان كلما سقط رجل من مجموعة سقطت معه المجموعة بأكملها حتى هلكت جنود الروم .

---

(١) الطبرى ٤٠١/٣ ، البداية ١٢/٧ ، ١٣ ، وراجع الفتوح لابن أعثم .

٩ ـ ظل المسلمون يقاتلون ويمعنون في قتل الروم حتى أصبحوا وقد دخل خالد خيمة تذارق قائد الروم .[١]

دور نساء المسلمين في القتال :

أبلى نساء المسلمين في هذه المعركة البلاء الحسن فحملن العمد يضربن بها وجوه الخيل إذا ولت ، وينادين إلى أين ياحماة الإسلام وطلاب الشهادة ، يشددن بذلك عزائم الرجال ، ويواسينهم في ساحة القتال ، حتى بلغن من كيد العدو مالم تبلغه منه السيوف ، وقمن بخدمة الإسلام ورجاله الذين أوردوا الروم موارد الحتوف .. فكان في النساء يومئذ مجاهدات محرضات يجاهدن العدو ، ويمرضن الجرحى ، ويحرضن المسلمين ، وربما قتل للمرأة ولد فبعث إلى ساحة الحرب أباه أو تسلت عنه بأخيه .[٢]

١٠ ـ وبينما المسلمون في هذا الجهاد قدم البريد والناس يتبعونه فبشرهم بخير ومدد ، ودخل على خالد فناوله الكتاب فإذا به وفاة أبى بكر الصديق ، وتولية عمر ، وعزل خالد ، وأخبر البريد خالدا بما أجاب به الناس فحمد له ذلك ، وخبأ الكتاب حتى تم النصر فجاء بأبى عبيدة فسلم عليه بالإمارة ثم طلب منه أن يقرأ الكتاب على الناس .

ثم قال : الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت وكان أحب إلي من عمر ، والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض إلي من أبى بكر وألزمنى حبه .[٣]

---

(١) الطبرى ٣/٤٠٠ ، الكامل ٢/٤١٢ .

(٢) البداية والنهاية ٧/١٤ .

(٣) عهد الخلفاء الراشدين للذهبى ص٨٥ .

نعم والله : ذلك جلال الإسلام ، وكمال الإيمان ... يسلم خالد راية الإمارة ، ويصبح جنديا دون غضب أو ثورة لأنه خرج مخلصا لله سبحانه فيستوى عنده أن يكون قائدا أو يكون جنديا ما دام الغرض رفع راية الإسلام .

وهكذا كانت الفتوح في عهد الصديق دعوة عملية إلى الإسلام ، وفتحا مبينا ، ثبت فيه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن معهم ، وظهر فيه أثر العقيدة في تهيئة النفوس للبذل والعطاء ، والإقبال على الموت في سبيل الحق ، بل بذل النفوس في رضا كامل لإنقاذ نفوس أخرى من النار وهدايتها إلى الجنة .

فهل قدم المسلمون في اليرموك وحدها ثلاثه آلاف شهيد منهم عدد كبير من البدريين ليسيطروا على العالم أو ليستعبدوا الناس ؟ كلا والله .

إنهم قدموا هذه الألوف من الأرواح الطاهرة الزكية لهداية هذه الجموع إلى الله فهل يوجد في الدنيا عقيدة بهذا السموّ ؟

وقد ظهر أثر الحاكم الفاهم الذكى في اختياره لقواده بحكمة وروية ، ودراسته لاحوال جيشه وأحوال عدوه وبصيرته التى نورها الإيمان ، وأضاءها حب الله ورسوله .

وفي نهاية الأمر لا ننسى أن نقول : إنه نصر الله وعطاؤه لقوم وهبوا أنفسهم له ، وأحسنوا الإقبال عليه ، وأخلصوا نياتهم في خدمته فجعلهم الله له ، وصرفهم عن غيره ، وأيدهم بمدده ... وما أنعم به من عطاء .

يقول رفيق بك العظم ـ رحمه الله ـ :

« قام أبو بكر بالفتح تعميما للدعوة ، وبثا لروح العدل والحرية بين الأمم ، فما هو إلا أن ولج العرب هذا الباب حتى انكفأوا على الأمم التى مزقت

أحشاءها سيوف الأهواء والأوهام ، وقضى على مجدها القديم ظلم أرباب السيطرة على النفوس والأجسام ، فلم يلبث أن وافاها المسلمون حتى اشرأبت لعدل سلطانهم أعناق الناس فعمروا المسالك ، وشادوا الممالك ، وكانوا خير أمة أخرجت للناس ، أما والله لن تبلغ أمة بالظلم والقوة وكثرة العدد والعدة مابلغه المسلمون في ربع قرن من استخضاع الأمم بالعدل ، والإيغال في أحشاء الممالك بدعوة القرآن » .

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام ١/٥٣ .

الفصل الثالث

دعـوة الصديق بالقـــدوة

الدعوة بالقدوة

تشكل القدوة العملية ركيزة هامة في مجال الدعوة والعمل للإسلام ، إنها الترجمة الصحيحة لأقوال الداعية حيث يرى الناس هذه الدعوة وقد تحولت إلى واقع عملي ملموس ومشاهد .

ويجمع علماء الدعوة على أن القدوة الصالحة تؤثر في الناس أثرا مضاعفا ، لأن المدعوين ينجذبون إلى شخصية داعية عامل بعلمه حيث يصير لهم قدوة صالحة ، بينما ينفر الناس من رجل حمل الدعوة قولا فقط بينما خالفت أفعاله أقواله مما يؤثر تأثيرا سلبيا في نفوسهم .

وكم تشتكى الدعوة إلى الله ظلم أناس كلامهم أحلى من العسل ، وفعلهم أمر من الصبر !! لذا أمر القرآن أهل العلم الدعاة أن يكونوا مثالا صحيحا لما يقولونه ، ووعدهم أحسن الأجر على ذلك « فبشر عبادي . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .(١)

وحذرهم من إهمال العمل بالعلم فقال : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .(٢)

إلى أخر الآيات التى تتحدث في ذلك .

كما جاءت الأحاديث النبوية داعية إلي التزام الدعاة بما يقولونه مبينة أجرهم العظيم على ذلك : « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لاينقص ذلك من أجورهم شيئا » .(٣)

---

(١) الزمر ١٧/١٨ .

(٢) البقرة ٤٤ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٢/٤٠٦ .

وحذرت من إهمال العمل بالعلم « ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لاينقص ذلك من أجورهم شيئا » .(١)

إن الداعية الذى لايعمل بعلمه كالرجل القذر البدن لايغنى عنه أن يحمل بين يديه قطع الصابون ، أو كرب الرائحة لايفيده أن يحمل أغلى أنواع العطور .. يقول الجاحظ « يروى أن عقبة بن أبى سفيان قال لمؤدب ولده : ليكن أول ماتبدأ به من إصلاح ابنى إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم مااستحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت » .(٢)

ويقول الأستاذ المودودى « رحمه الله » فالداعى هو الذى يصلح حياته لصالح هذه الدعوة قبل كل شيء فإنه ما إن يشرع في دعوته إلا وترتفع العيون الناقده ، والأنوار الكاشفة من كل صوب ، فإذا كان في حياته أيسر شيء يتنافى مع دعوته وعقيدته فإن هؤلاء المحاسبين المتطوعين يثيرون عليه الضجة ، يكبرون العيب في عينيه ، ولا يزالون به حتى يجبرونه على الإقلاع عنه .

والداعية المطبق لما يقول لايزال في ترقٍّ في الأعمال الصالحة لأنه يستفيد من جمهور النقاد وخاصة إن وجد ذلك النقد في محله ، فالإناء الذى تشتغل فيه به عشرات الأيدى كفيلة بنظافته في وقت قصير » .(٣)

والخطر الشديد في هذا المجال أن أعداء الدعوة الذين يتربصون بها وبدعاتها لايضخمون عيب الداعية فحسب ، بل هم يسحبون ذلك على الإسلام ، ويرمونه بالعجز عن الإصلاح وبالتالي العجز عن قيادة الناس !! لأن داعية مهملا لم يلزم بما يدعو إليه .

---

(١) نفس التخريج السابق .

(٢) البيان والتبيين ٢/٥٣ .

(٣) تذكرة دعاة الإسلام ص٢٩ .

ومن ثم كان الداعية المجاهد العامل بعلمه غرة في جبين الدهر ، ودعوة صادقة إلى صلاح الإسلام وقدرته على بناء الفرد والجماعة .

ولقد كانت الدعوة العملية بالقدوة عند الصديق « رضى الله عنه » في كمالها الداعى إلى الانبهار بها ، وإجادتها الداعية إلى التأثر السريع بها ، وصدقها الحافز إلى الانضواء تحت لوائها ، وتنوعها الشامل لحياة الإنسان كلها ـ كانت دافعة إلى ضرورة البحث عنها ، وإبرازها للناس حتى يقتدوا بها .

والباحث المدقق يجد حياة الصديق في خلافته ثرية بالأمثلة الطيبة ، غنية بالنماذج الحسنة التى يحتاج إليها كل داعية ينشد النجاح في دعوته ، وخدمتها كما فعل الصديق العتيق « رضى الله عنه » .

وهاأنذا أفصل القول في ذلك سائلا الله الهداية والقبول ، وأرتب الحديث عن الدعوة بالقدوة في حياة الصديق الخليفة كما يلي :

١ ـ القدوة في إكرامه لآل بيت النبى « صلى الله عليه وسلم » .

٢ ـ القدوة في إكرامه لأصحاب النبى « صلى الله عليه وسلم » .

٣ ـ القدوة في إكرامه للوالدين والبر بهما .

٤ ـ القدوة في إكرامه للأمراء والقواد .

٥ ـ القدوة في إكرامه للضيف .

٦ ـ القدوة في إكرامه لأهل الرأى ومشاورتهم .

٧ ـ القدوة في إكرامه للمسلم وعدم إغضابه .

٨ ـ القدوة في تحمله للجوع في سبيل الله .

٩ ـ القدوة في زهده .

١٠ ـ القدوة في خوفه من الله تعالى .

١١ ـ القدوة في تحريه الحلال .

١٢ ـ القدوة في تواضعه .

١٣ ـ القدوة في أدبه مع النبى « صلى الله عليه وسلم » ونفسه والمسلمين .

١٤ ـ القدوة في التثبت في قبول الأخبار .

١٥ ـ القدوة في شجاعته .

١٦ ـ القدوة في عدله .

أولا : القدوة في إكرامه لآل بيت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » :

آل بيت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » هم عترته الكرام ، حبهم من الإيمان ، وإكرامهم واجب على كل إنسان هم مهوى الأفئدة والقلوب ، وحبهم حب للنبى المحبوب « صلى الله عليه وسلم » فقد ثبت فيما رواه موسى بن جعفر عن أبيه عن جده علي « رضى الله عنه » أن النبى « صلى الله عليه وسلم » أخذ بيد الحسن والحسين فقال : من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى في درجتي في الجنة يوم القيامة » .(١)

لذا يصلي المؤمن عليهم في كل صلاة ، ومن لم يفعل فليست له بصلاة ، ورحم الله إمامنا الشافعى رضى الله عنه حين قال :

ياآل بيت رسول الله حبكم	فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكمو من عظيم القدر أنكم	من لم يصل عليكم لاصلاة له (٢)

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٧٧/٧٦/١ عن على « رضى الله عنه » ٢٨٨/٢ ـ ٤٤٠ ـ ٥٣١ عن أبى هريرة « رضى الله عنه » وأخرجه الترمذى كتاب المناقب / باب مناقب علي « رضى الله عنه » ٥٩٩/٥ .

(٢) شعر الإمام الشافعى « رضى الله عنه » جمع وتحقيق د/مجاهد مصطفى بهجت طبعه سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

١ ـ وقد كان الصديق « رضى الله عنه » قدوة في حب آل البيت وتكريمهم ، وهاهو ذا ينادى المسلمين جميعاً « ارقبوا محمدا في آل بيته » .[١]

٢ ـ وهو يقدم حب آل البيت على حب آله : أخرج الحاكم عن أنس « رضى الله عنه » فى قصة إسلام أبي قحافة قال : فلما مد يده يبايعه بكى أبو بكر « رضى الله عنه » فقال النبى « صلى الله عليه وسلم » : « مايبكيك ياأبا بكر ؟ » قال : لأن تكون يد عمك مكان يده يسلم ويقر الله عينك أحب إليّ من أن يكون » .[٢]

٣ ـ ويرى الصديق « رضى الله عنه » سيدنا الحسن « رضى الله عنه » وهو خارج من المسجد فيحمله مبتسما يداعبه ويقول :

بأبى شبه النبى لاشبيه بعلي

وعلي يضحك .[٣]

٤ ـ حينما طلب منه سيدنا علي « رضى الله عنه » أن يأتيه في بيته ذهب إليه فتشهد « علي » ثم قال : إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ،

---

(١) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب فضائل الصحابة رباب مناقب الحسن والحسين ٩/٥ .

(٢) قال ابن حجر في الإصابة : أخرجه عمر بن شبة في كتاب مكة ، وأبو يعلي وأبو بشر سمويه في فوائده كلهم من طريق محمد بن مسلمة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أنس وسنده صحيح ، وأخرجه الحاكم من هذا الوجه وقال صحيح على شرط الشيخين . الإصابة ١١٧/٤ . قلت رواية الحاكم في المستدرك من هذا الوجه بلفظ « جاء أبو بكر «رضى الله عنه» يوم فتح مكة بأبيه أبى قحافة إلى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه » وليست فيه : فلما مد يده يبايعه بكى أبو بكر » .. الخ . كتاب معرفة الصحابة باب مناقب أبى قحافة ٢٤٤/٣ وقال صحيح ووافقه الذهبى .

(٣) البخاري في صحيحه / كتاب المناقب / باب صفة النبى « صلى الله عليه وسلم » ٢٢٧/٤ .

ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك ، ولكنك استبددت علينا بالأمر ، وكنا نحن نرى لنا حقا لقرابتنا من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبى بكر ، فلما تكلم أبو بكر قال : والذى نفسي بيده لقرابة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أحب إلي أن أصل من قرابتى » .(١)

ثانيا : القدوة في إكرامه لأصحاب النبى « صلى الله عليه وسلم » :

أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » هم الرجال الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، ثمرة التربية المحمدية ، ونتيجة الطريقة المرضية ، مصابيح الدجى ، بهم يقتدى ، وبسيرتهم يهتدى ، آمنوا فأحسنوا الإيمان ، وعملوا فأتقنوا الأركان ، وأحبوا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وجالسوه وتعلموا منه ، فامتلأت علما وحكمة ونورا ، فكملت رجولتهم ، وتمت كرامتهم فأثنى عليهم ربهم في آيات تتلى إلى يوم القيامة « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .(٢)

ووصفهم بالطهر والنقاء ، والعفة والصفاء فقال « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .(٣)

---

(١) مسلم في صحيحه الجهاد والسير / رباب قول النبى « صلى الله عليه وسلم » لانورث ١١٢ .
(٢) الفتح ٢٩ .
(٣) التوبة جزء من الآية ١٠٨ .

وأثنى النبى « صلى الله عليه وسلم » ووصى بهم خيرا وتوعد من يؤذيهم أو يسبهم فقال « لاتسبوا أصحابى فوا الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » .(١)

وعن نسير بن دعلوق قال : سمعت أبن عمر يقول : لاتسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خير من عبادة أحدكم عمره .(٢)

لذا كان الصديق « رضى الله عنه » قدوة في إكرام أصحاب النبى « صلى الله عليه وسلم » وكيف لا وهو الرجل الذى يعرف أقدار الرجال وإنما يعرف الفضل من الرجال ذووه .

١ ـ كان يجمعهم للشورى ويسمع لهم ، وقد ثبت ذلك عنه في مواطن كثيرة .

٢ ـ أبقى أصحاب النبى « صلى الله عليه وسلم » الذين عينهم ولاة وأقرهم على ما كانوا عليه .

٣ ـ عين منهم القواد في الفتوحات فتوجوا جهادهم بنصر تلو نصر .

٤ ـ عاملهم بالرفق والأناة والمروءة ، ولم يكن منه في حقهم مايشكونَه إلا ما شكا منه بعضهم حين التسوية بينهم وبين العبيد والنساء في العطاء ، وقد كان رأيه أعدل الآراء ـ حيث رأى أن أقدارهم عند الله يجزيهم عليها ويكرمهم حسب تقواهم له سبحانه ، أمام المعاش فهو أمر تحسن التسوية فيه ، ورغم أن سيدنا عمر خالفه في ذلك في إمارته حيث فضل في العطاء بالسابقة وحسن البلاء في الجهاد إلا أنه عاد فتمنى أن سار مثلما سار الصديق « رضى الله عنه » .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب فضائل الصحابة / باب تحريم سب الصحابة ٤١٣/٢ عن أبى هريرة « رضى اللله عنه » .

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه : أحمد في فضائل الصحابة ٥٧/١ وإسناد صحيح وأخرجه ابن ماجه في سننه : المقدمة / فضل أهل بدر وقال في الزوائد : إسناده صحيح ، ٥٧/١ .

٥ ـ استبقى الصديق عنده في المدينة خيار الصحابة ونخبة كبيرة منهم ، وضن عليهم أن يتفرقوا في الأمصار ـ ، ويقيموا في الأقطار ، وأراد بذلك أن لاتخلو المدينة منهم ليكونوا أهل نصح له ومشورة يرجع إليهم في الرأى .

٦ ـ كان « رضى الله عنه » يحفظ حقهم ويعظم قدرهم حتى من مات منهم قال ابن هشام : وحدثنى أبو بكر الزبيرى أن رجلا دخل على أبى بكر وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره ، يرشفها ويقبلها ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال هذه بنت رجل خير مني سعد بن الربيع كان من النقباء يوم العقبة ، وشهد بدرا ، واستشهد يوم أحد .(١)

ثالثا : القدوة في إكرام الوالدين والبر بهما :

أمر الله عز وجل المسلمين ببر الوالدين والإحسان إليهما ، وقرن ذلك بالأمر بتوحيده وعدم الإشراك به فقال تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » .(٢)

وقال « وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » .(٣)

وجاءت أحاديث النبى « صلى الله عليه وسلم » تأمر بالبر والطاعة والإحسان إلى الوالدين ، وتجعل ثواب ذلك عظيما وأجره جزيلا : عن عبد الله بن مسعود « رضى الله عنه » قال : سألت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أى العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها ، قلت ثم أى ؟ قال : بر الوالدين » .(٤)

---

(١) ابن هشام ٣/٦١٠ .

(٢) سورة النساء جزء من الآية ٣٦ .

(٣) سورة الإسراء جزء من الآية ٢٣ .

(٤) الحديث متفق عليه : أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب المواقيت / باب فضل الصلاة لوقتها ١/١٤٠ واخرجه مسبم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال .

وعن أبى هريرة « رضى الله عنه » قال : جاء رجل إلى النبى « صلى الله عليه وسلم » يستأذنه في الجهاد فقال : أحيٌّ والداك ، قال : نعم ، قال ففيهما فجاهد .(١)

وأثر بر الوالدين في الدعوة واضح جليّ إذ إنّ من ثمار ذلك وجود مجتمع تسوده الرحمة والمحبة والسلام ولا شك أن بر الوالدين من أعظم الأسباب إلى ذلك حيث تكون الأسرة المثلى التى تفتح الطريق أمام أبنائها ليسمعوا الحق ويتبعوه ، ويؤمنوا به وينصروه ، وقد ضرب الصديق أروع الأمثلة فى بر الوالدين ، وقد سبق الحديث عن إسلام أمه وأبيه بحسن صحبتهما وتوجيههما إلى هذا الخير .

قال علماء السير : « لما ولي أبو بكر الخلافة ، استعمل عمر على الحج ، ثم حج أبو بكر من قابل ، ثم اعتمر فى رجب سنة اثنتي عشرة من الهجرة ، فدخل مكة ضحوة فأتى منزله وأبوه أبو قحافة جالس على باب داره ، معه فتيان يحوشهم ، فقيل له : هذا ابنك فنهض قائما ، وعجل أبو بكر أن ينيخ ناقته ، فنزل عنها وهى قائمة ـ ليقابل أباه في بر وطاعة ، وجاء الناس يسلمون عليه ، فقال أبو قحافة ياعتيق هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم فقال أبو بكر : ياأبة لاحول ولا قوة إلا بالله ، طوقت أمرا عظيما لاقدرة لي به ولايدان إلا بالله ..»(٢)

إن الناس هنا يرون الصديق يكرم والده ويبره ، ويحترمه ، ومن ثم تكون القدوة عظيمة والأثر محمودا .

رابعا : القدوة في إكرامه للأمراء :

إكرام الأمراء والولاة أمر من الأمور التى تؤدى إلى تثبيت أركان الدولة ، وزرع هيبتها في النفوس لذلك يحرص الحكام النابغون على هذا الأمر ، وقد

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب البر والصلة / باب بر الوالدين وأنهما أحق بها .
(٢) صفة الصفوة ١/٢٥٨ .

ثبت عن أبي بكر أنه كان صاحب نفس تنطوى على قوة هائلة ، وقدرة ممتازة في بناء الرجال ، ومن إبراز ملكاتهم ومواهبهم ، وفي دفعهم إلي ميادين الخير العام ينفقون فيها كل ما أتاهم الله من قوة ومقدرة .

أخرج الحاكم عن عبد الله بن بريدة قال : بعث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر « رضى الله عنه » فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لاينوروا نارا ، فغضب عمر وهم أن يأتيه ، فنهاه أبو بكر ، وأخبره أن الرسول « صلى الله عليه وسلم » لم يستعمله عليك إلا لعلمه بالحرب فهدأ عنه عمر « رضى الله عنه ».[1]

ومن إكرامه للأمراء والقواد ماسبق ذكره من توديعه لأسامة بن زيد ، ويزيد ابن أبي سفيان من بعده ماشيا وهما يركبان ، ويرفض أن ينزل أحدهما ليركب هو ، ويقول والله لاتنزل ولا أركب وما عليَّ أن أغبر قدميّ ساعة في سبيل الله . ثم نراه يستأذن عمر أسامة في رجوع عمر معه إلى المدينة ليكون وزيره .[2]

ومن إكرامه لقواده قبول معذرتهم إن أخطأوا والصفح عنهم ، وقد فعل ذلك مع خالد « رضى الله عنه » في وقعة مالك بن نويره .[3]

خامسا : القدوة في إكرامه للضيف :

إكرام الضيف سنة نبوية ، وكرامة خليفة تدل على صدق اليقين في الله لدى فاعلها ، وكمال الإيمان في قلب صاحبها .

---

(١) أخرجه الحاكم والمستدرك وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى : صحيح كتاب المغازى ٤٢/٣ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١٣٣١١ .

(٣) إرجع إلى ص٢٣٨ .

وقد جاء القرآن الكريم داعيا إلى تلك الخصلة الحميدة ، والصفة المجيدة فقال تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا »(١)

وأعطى القرآن كذلك للمسلمين القدوة في إكرام الضيف من أبيهم إبراهيم فقال « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون . فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه إليهم قال ألا تأكلون » .(٢)

وجاءت السنة النبوية تحث على إكرام الضيف والإحسان إليه :

عن عبد الله بن عمر بن العاص « رضى الله عنه » أن رجلاً سأل النبى « صلى الله عليه وسلم » أى الإسلام خير قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .(٣)

وعنه قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام ، وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام » .(٤)

وعن أبى هريرة عن النبى « صلى الله عليه وسلم » قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .(٥)

---

(١) سورة الدهر ١٢/١٣ .

(٢) الذاريات ٢٤/٢٧ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب الإيمان / باب إطعام الطعام من الإسلام ١/١٠ .

(٤) الحديث أخرجه الترمذى في سننه / كتاب الأطعمة /٥/٥٨٨ تحفة الأحوذى .

(٥) الحديث نتفق عليه : أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب الأدب / باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٨/١٣ ، ومسلم . كتاب الإيمان / باب الحث على إكرام الجار والضيف ١/٣٨ كلاهما عن أبى هريرة وأبى شريح العدوى .

والمعلوم أن بيت الداعية مفتوح دائما يستقبل المدعوين ويحسن ضيافتهم فيؤثر ذلك في الناس تأثيرا عظيما ، ولا يليق بداعية عامل لدينه أن يغلق بابه ، ويمنع رفده أو يصد الناس ويبخل في بيته .... إنه حينئذ يسيء إلى دعوته ويغلق حقلها بأغلاق قلوب العباد وانصرافهم عنه .

إن الإحسان والإكرام سبيل الدعاة الكرام ، وطريق السائرين على منهج النبي عليه « الصلاة والسلام » وقد أحسن الشاعر حين قال :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وقد ضرب الصديق « رضى الله عنه » أروع الأمثلة ، وأعظم القدوة في ذلك مما جعل بيته مملوءا بالبركة ، والحديث الآتى بين ذلك :

عن عبد الرحمن بن أبي بكر « رضى الله عنهما » أن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء ، وأن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال مرة : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس » .

وإن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق نبيُّ الله « صلى الله عليه وسلم » بعشرة ، وأبو بكر بثلاثة ، وأنا وأمي وأبي – ولا أدرى هل قال وامرأتي وخادم بيتنا وبيت أبي بكر ، وإن أبا بكر تعشى عند رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فجاء بعد أن مضى من الليل ماشاء الله تعالى فقالت له امرأته : ماحبسك عن أضيافك ؟ أوقالت عن ضيفك ، قال وما عشيتهم ؟ قالت أبوا حتى تجيء ، وقد عرضوا عليهم فغلبوهم قال : فذهبت أنا فاختبأت ، فقال : ياغنثر – فجدع وسب ، وقال : كلوا هنيئا وقال : والله لا أطعم أبدا ، وحلف الضيف أن لايطعمه حتى يطعم أبو بكر ، قال أبو بكر : هذه من الشيطان ، قال فدعا بالطعام فأكل ، فقال : وأيم الله ماكنا نأخذ لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها ، قال حتى شبعوا

وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر إليها فإذا هي كما هي وأكثر فقال لامرأته : ياأخت بني فراس ماهذا ؟ قالت : لا وقرة عيني هي الآن لأكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات ، فأكل أبو بكر وقال : إنما كان ذلك من الشيطان ـ يعض يمينه ـ ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فأصبحت عنده ، وكان بيننا وبين القوم عقد فمضى الأجل فتفرقنا اثنى عشر رجلا مع كل واحد منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل منهم فأكلوا منها أجمعين .(١)

ولا غرو بعد هذا ولاعجب أن يصفه ابن الدغنة بقوله : أمثلك يخرج ؟ إنك لتصل الرحمة ، وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر .(٢)

سادسا : القدوة في إكرام أهل الرأى ومشاورتهم :

تشكل المشورة في حياة الحاكم المسلم السائر على هدى الشرع الحنيف زاوية هامة في عمله إذ هى السبيل إلى القرار الحكيم ، والرأي السليم ، والنجاة من المآزق ، والبعد عن المهالك .

وهي في الإسلام أصل في الحكم يعطي الحاكم المسلم القوة ، ويبصره بالأمور « فما خاب من استخار ولا ندم من استشار .(٣)

١ ـ وقد نفذ النبي « صلى الله عليه وسلم » الشورى حتى يعلم أصحابه كيف ينفذون هذا الأمر الجليل . كما حدث في بدر وغيرها .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب المواقيت / باب السمر مع الضيف والأهل ١٥٦/١ وانظر لمزيد من ذلك الرياض النضرة ٢٠٤/١ .

(٢) ارجع إلى ص٣٢ .

(٣) قال الهيثمى في مجمع الزوائد : رواه الطبرانى في الأوسط والصغير من طريق عبد السلام ابن عبد القدوس وكلاهما ضعيف جدا ٩٦/٨ .

٢ ـ وقد سار الصديق « رضى الله عنه » على نهج النبى « صلى الله عليه وسلم » فأكرم أهل الرأى وقربهم وأحسن صحبتهم :

أخرج ابن عساكر عن الزهري عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعى « رضى الله عنه » أنه قال : لما أراد أبو بكر « رضى الله عنه » غزو الروم دعا عليا ، وعمر ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وأبا عبيدة بن الجراح ، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم « رضى الله عنه » فدخلوا عليه ـ فقال عبد الله بن أبي أوفى وأنا فيهم ، فقال أبو بكـــر :

إن الله عز وجل لا تحصى نعماؤه ، ولا تبلغ جزاءها الأعمال ، فله الحمد قد جمع الله كلمتكم ، وأصلح ذات بينكم ، وهداكم إلى الإسلام ، ونفر عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا به ، ولاتتخذوه إلها ، فالعرب اليوم بنو أم وأب ، وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ، ليؤيد الله المسلمين ، ويجعل الله كلمته العليا ، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر ، لأنه من هلك منهم هلك شهيدا ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش عاش مدافعا عن الدين ، مستوجبا على الله ثواب المجاهدين ، وهذا رأيي الذى رأيته ، فليشر امرؤ عليَّ برأيه .

فقام عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » فقال : الحمد لله الذى يخص بالخير من شاء من خلقه ، والله ماستبقنا إلى شيء من الخير قط إلاسبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

قد والله ـ أردت لقاءك بهذا الرأى الذى رأيت ، فما قضى أن يكون حتى ذكرته فقد أحبت ـ أصاب الله بك الرشاد ـ سرب إليهم في إثر الخيل ، وابعث الرجال بعد الرجال ، والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله ناصر دينه ، ومعز الإسلام وأهله .

ثم إن عبد الرحمن بن عوف « رضى الله عنه » قام فقال :

ياخليفة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » إنها الروم وبنو الأصفر حد حديد ، وركن شديد ، ما أرى أن نقتحم عليهم اقتحاما ، ولكن نبعث الخيل فتغير من قواصي أرضهم ، ثم ترجع إليك ، وإذا فعلوا ذلك بهم مرارا اضروا بهم وغنموا من أدنى أرضهم ، فقعدوا بذلك عن عدوهم ، ثم تبحث إلى أراضى اليمن وأقاصي ربيعة ومضر ، ثم تجمعهم جميعا إليك ، ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك ، وإن شئت أغزيتهم ثم سكت الناس ... ثم قال لهم أبو بكر : ماترون ، وقال عثمان بن عفان « رضى الله عنه » : إنى أرى أنك ناصح لأهل الدين ، شفيق عليهم ، فإذا رأيت رأيا تراه لعامتهم صلاحا ، فاعزم على إمضائه فإن غير ظنين .

فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار « رضى الله عنه » : صدق عثمان ... ما رأيت من رأى فأمضه فإنا لانخالفك ولا نتهمك ، وذكروا هذا وأشباهه ، وعلي « رضى الله عنه » في القوم لم يتكلم فقال أبو بكر : ماذا ترى يا أبا الحسن ؟ أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله ، فقال : بشرك الله بخير ، ومن أين علمت ذلك ؟ قال : سمعت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يقول : لايزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون فقال : سبحان الله ما أحسن هذا الحديث لقد سررتنى سرك الله ، ثم إن أبا بكر « رضى الله عنه » قام في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه « صلى الله عليه وسلم » ثم قال أيها الناس : إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بالجهاد ، وفضلكم بهذا الدين على كل دين ، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام ، فإنى مؤمر عليكم أمراء ، عاقد لكم

ألوية ، فأطيعوا ربكم ، ولا تخالفوا أمراءكم ، لتحسن نيتكم ، وأشربتكم ، وأطعمتكم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »[1] هكذا كان الصديق يفعل ليكون قدوة عملية للمسلمين .

٣ ـ بل كان الصديق « رضى الله عنه » حريصا على دفع أصحابه وأمرائه وقواده إلى إكرام أهل الرأى ومشاورتهم في كل الأمور :

أخرج الطبرانى عند عبد الله عمرو « رضى الله عنه » قال : كتب أبو بكر إلى عمر بن العاص أن وسول الله « صلى الله عليه وسلم » شاور في الحرب فعليك به .[2]

سابعا : القدوة في إكرام المسلم :

كرم الله عز وجل الإنسان فأكرمه في خَلْقه ، وجعله في أحسن تقويم ، وأجمل صورة « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم »[3] وقال تعالى « ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك . في أى صورة ما شاء ركبك » .[4]

وقال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلا » .[5]

هذا هو الإنسان ، تلك كرامته على وجه العموم ، للمسلم المؤمن حرمة عند الله عز وجل فهو بالإسلام موفور الكرامة ، عزيز الجانب ، يأمر الإسلام بحفظ حرمته ، والمحافظة على كرامته .

---

(١) تهذيب أبن عساكر ١٢٧/١ .

(٢) قال الهيثمى : رواه الطبراني ورجاله قد وثقوا ـ وأخرجه البزار والعقيلي وسنده حسن ٣١٩/٢ وانظر كنز العمال ١٦٣/٢ .

(٣) سورة التين ٤ .

(٤) الانفطار ٦/٨ .

(٥) الإسراء ٧٠ .

١ ـ يقول الرسول « صلى الله عليه وسلم » للمسلمين في حجة الوداع :

« كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه » .(١)

٢ ـ أمر النبى « صلى الله عليه وسلم » المسلمين بالتراحم وحب بعضهم بعضا فقال : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا » .(٢)

٣ ـ منع النبى « صلى الله عليه وسلم » غيبة المسلم : أخرج أبو داود عن أبي هريرة قال : جاء الأسلمي نبى الله « صلى الله عليه وسلم » . فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراما أربع مرات كل ذلك يعرض عنه ـ فذكر الحديث وفيه : فأمر به فرجم فسمع النبى « صلى الله عليه وسلم » رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه : انظر إلى هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ، فسكت عنها ، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال : أين فلان وفلان ؟ فقالا : نحن ذان يارسول الله ، قال : انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار !! فقالا : يانبى الله من يأكل من هذا ؟ قال : فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشوق من أكل منه ، والذى نفسى بيده إنه الآن لفى أنهار الجنة ينقمس فيها » .(٣)

٤ ـ من ثم حرص الصديق « رضى الله عنه » على إكرام المسلم ، وعدم إهانته ، وكان ينزل الناس منازلهم :

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى في سنة : أبواب البر / باب ما جاء في شفقه المسلم على المسلم ٢٨٦/٤ .

(٢) الحدي متفق عليه : أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب الأدب / بابماينهى عن التحاسد ، وأخرجه مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة / باب النص عن التحاسد ٤٢٢/٢ كلاهما عن أنس .

(٣) اخرجه أبو داود في سننه / كتاب الحدود / باب ترجمه ماعز بن مالك ١٤٨/٤ ومعنى شائل

ـ أخرج أحمد في الزهد عن ميمون بن مهران قال : جاء رجل إلى أبي بكر « رضى الله عنه » فقال : السلام عليك ياخليفة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : من بين هؤلاء أجمعين ؟[1]

هكذا لا يرضى أبو بكر أن يسلم عليه أحد وحده وبترك بقية الجالسين .. أي أدب وتكريم واحترام للناس أعظم من هذا ؟

٥ ـ وتأتى حادثة أمام الصديق لتدل على التزامه بالحق وحفاظه على دم المسلم بالحق فقد أخرج احمد عن أبى برزة الأسلمى قال : غضب أبو بكر من رجل فاشتد غضبه جدا ، فقلت ياخليفة رسول الله : أضرب عنقه ؟ قال : ويلك .. ماهى لأحد بعد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » .[2]

٦ ـ بل يحرص الصديق على استرضاء المسلم إذا أخطأ في حقه :

عن عائذ بن عمرو « أن أبا سفيان أتى على سلمان ، وصهيب ، وبلال رضى الله عنهم ، فقالوا : ما أخذت سيوف من عدو الله مأخذها قال : فقال أبو بكر « رضى الله عنه » : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ، فأتى النبى « صلى الله عليه وسلم » فأخبره فقال : ياأبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا : يغفر الله لك ياأخى » .[3]

---

(١) برجله أى يرفعها ، وينقمس مثل ينغمس بالعين المعجمة ونهنا ومعنى انظر تعليق العلامة محمد محيى الدين عبد الحميد على السنن ١٤٨/٤ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٧٦/١ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم / كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل سلمان وبلال وصهيب ٣٧٤/٥ .

ثامنا : القدرة في تحمل الجوع في سبيل الله :

يسير الداعية في طريق الدعوة وهو موقن أنه طريق شاق يحتاج إلى البذل والعطاء ، والصبر على اللأواء ، فقد يجوع الداعية ، وقد يمرض ، وقد يظمأ ، وقد يبتلى بأصناف البلاء .. وهو يقابل ذلك بصبر ورضا ، وتوكل ويقين .

وقد صبر النبى « صلى الله عليه وسلم » وأصحابه على ذلك :

أخرج ابن إسحق عن حكيم عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبد الله بن عباس « رضى الله عنهما » : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » من العذاب مايعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ، حتى يعطيهم ماسألوه من الفتنة حتى يقولوا له : اللّات والعزى إلهان من دون الله فيقول نعم ، افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم .(١)

وأخرج مسلم عن النعمان بن بشير « رضى الله عنه » قال : ألستم في طعام وشراب ماشئتم ؟ لقد رأيت نبيكم « صلى الله عليه وسلم » وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه » .(٢)

وفى رواية أخرى لمسلم قال : ذكر عمر « رضى الله عنه » ما أصاب الناس من الدنيا فقال : لقد رأيت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه » .

وقد صبر الصديق « رضى الله عنه » مع النبى « صلى الله عليه وسلم » على الجوع في سبيل الله عز وجل :

---

(١) ابن إسحق ٢١٢/١ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الزهد والرقائق ٥٩٠/٢ الدَّقَل بفتح الدال والقاف ـ أردأ التمر .

أخرج الحاكم عن ابن عباس « رضى الله عنه » أنه سمع عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » يقول : خرج رسول الله « صلى الله عليه وسلم » عند الظهيرة فوجد أبا بكر « رضى الله عنه » في المسجد فقال : ما أخرجك في هذه الساعة ؟ فقال : أخرجنى الذى أخرجك يارسول الله ، وجاء عمر بن الخطاب فقال : ما أخرجك ياابن الخطاب ؟ قال : أخرجنى الذى أخرجكما يارسول الله ، فقعد عمر وأقبل رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يحدثهما ، ثم قال : « هل بكما قوة تنطلقان إلى النخل فتصيبان طعاما وشرابا وظلا ؟ قال : سيروا بنا إلى منزل أبى الهيثم بن التيهان الأنصارى « رضى الله عنه » .[1]

تاسعا : القدوة في زهد أبى بكر « رضى الله عنه » :

الزهد فضيلة من الفضائل النفسية العظيمة التى يرتفع بها قدر صاحبها ، ويزكو بها شأن فاعلها وهو سبيل للتأثير النفسى في المدعوين .

وهو في حقيقته أن تكون الدنيا في يد المسلم ثم يزهد فيها فلا ينشغل بلذاتها ، ولا يغفل عن دينه بزينتها ، وهى معه لكنها في كفه وليست في قلبه .

وهذا فرق هائل بين معنى الزهد الصحيح ، ومعنى الزهد الخاطىء الذى درج عليه العوام ، وبعض من غفل من المتعلمين ، حيث جعلوا الزهد قعودا عن العمل ، ونكوصا عن الضرب في الأرض ، وأن يصبح المسلم عالة على غيره .

ولقد كان زهد النبى « صلى اله عليه وسلم » وأصحابه زهد العاملين المجدين دانت لهم الدنيا فسخروها لله ، وجعلوا متاعها الحلال وسيلة لتحقيق العبودية لله سبحانه .

---

(١) أخرجه مالك ومسلم والحاكم : مالك في الموطأ / كتاب صفة النبى « صلى الله عليه وسلم » باب ماجاء في الطعام والشراب ٣٩٢/٢ ، ومسلم / كتاب الأشربة / باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ١٢٣/٢ ، والحاكم / كتاب الأطعمة ١٣١/٤ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

أخـرج أحـمـد عن ابن عـبـاس « رضـى الله عنهـمـا » قال : حـدثنى عـمـر بن الخطـاب « رضى الله عنـه » قـال : دخلت على رسـول اللـه « صـلى الله عليـه وسلم » وهـو على حـصـيـر قـال : فـجلست فـإذا عليـه إزاره ، وليس عليـه وإذا الحصير قد أثر في جنبه ، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، وقرظ في ناحية من الغرفة ، وإذا إهاب معلق فابتدرت عيناى ، فـقال : مايبكيك ياابن الخطاب ؟ فقال : يانبى الله ومالى لاأبكي ، وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانتك لاأرى فيها إلا ماأرى ، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار ، وأنت نبى الله وصـفـوته وهـذه خـزانتك !! قـال ياابن الخطاب : أمـا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا .(١)

وقـد سـار الصـديق « رضى الله عنـه » على نهج النبى « صـلى الله عليـه وسلم » ، فكان زهده زهد القادرين الذين في إمكانهم جمع الدنيا والإغراق في متـاعـهـا ، لازهد المعدمين الذين يدعـون ذلك وليس مـعـهـم في حـقـيـقـة الأمـر مايزهدون فيه !!

أخـرج أحمد في الزهد عن عائشة « رضى الله عنهـا » قالت : مات أبو بكر « رضى الله عنه » فما ترك دينارا ولادرهـما وقدكان أخذ قبل ذلك ماله فـألقاه في « بيت المـال » ، ولما توفي أبو بكر ودفن دعـا عـمـر الأمناء ودخل بهم بيت المال ، فلم يجدوا فيه شيئا لادينارا ولادرهما » .(٢)

يقول « رفيق بك العظم » :

« اعـتـادت أسـمـاعنـا ، وألفت أذهـاننـا من مـعنى الزهـد بما ابـتـدعـه لنا المبتدعة ، ووضـعـه الوضـاعون أنه عبارة عن ترك الدنيـا ، والانزواء في زوايا

---

(١) أخرجه أحمد واللفظ له عن ابن عباس « رضى الله عنه » ٣٠١/١ .

(٢) أخرجه عن عبد الله بن أحمد في الزهد باب زهد أبى بكر ص١١١ من طريق عبد الله بن عمر

البطاقة والكسل ، ليكون الزاهد عالة على سواه ، مترقبا للرزق ممن عداه ، وهو بهتان على الزهد وعكس لمعناه ، إذ الزهد في الحقيقة هو التعفف عما بأيدى الناس ، والقناعة بالكفاف عن الفضول ، والتماس الحلال من طريق العمل دون الاعتماد على كفاية الأغيار .

ومذهب الصحابة في الزهد هو اللغة عن الفضول والقناعة بالكفاف ، وليس منهم إلا من كانت له وسيلة للارتزاق من الحلال ، هذا مع الرضا بالقناعة وعدم الطموح إلى الفضول تهذيبا لنفوسهم ، واقتداء بنبيهم « صلى الله عليه وسلم » ، وذلك هو زهد أبى بكر « رضى الله عنه » .

أخرج ابن سعد عن ميمون بن مهران قال : لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين فقال : زيدونى فإن لى عيالا ، وقد شغلتمونى عن التجاره فزادوه خمسمائة .

ومما يدل على شدة ورعه أنه إنما قبل فرض العطاء اضطرارا لانشغاله بأمر المسلمين عن التجارة ، ماأخرجه ابن سعد عن عائشة قالت : لما استخلف أبو بكر قال : لقد علم قومى أن حرفتى لم تكن تعجز عن مؤنة أهلى ، وشغلت بأمر المسلمين ، فيأكل آل أبى بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين .[1]

يترك هذا الخليفة العظيم تجارته ، ويتخلى عن ذرائع كسبه انشغالا عنها بأمور المسلمين وقياما بوظائف الخلافة ، فيضطر إلى أخذ نفقته من بيت المال بما لايزيد عن الحاجة إلى سد الجوع ، وستر العورة ، ثم هو يؤدى للمسلمين خدمة هيهات أن تؤدى حقها الخزائن ويقابلها الشكر ، ولما يقضى واجبه ،

---

(١) ابن سعد في الطبقات الكبرى من طريق أبي بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه ١٨٥/٣ .

ويشرف على يومه ، ويرى عنده فضلة من مال المسلمين وهى ذلك المتاع الحقير يأمر بردها إلى المسلمين ليلقى ربه آمنا مطمئنا نزيه القلب طاهر النفس ، خفيف الحمل إلا من التقوى ، فارغ اليدين إلا من الإيمان ، فاللهم إن هذه التقوى وهذا الزهد ، وإن كان أليق بمثل أبى بكر والصق بمن أدرك عهد النبوة ، وأجدر بالخلفاء الراشدين المهديين ، إلا أن فيها عظة لو تذكرها بعد خلفاء المسلمين ، وادرعوا منها جلبابا ليس بالصفيق فيثقل عليهم ، ولا بالرقيق فينكشف من ضمائرهم مادونه لما زجت بهم نزعات النفوس في ظلمات المراسم الأعجمية سوى نفوس منهم اختاروا الاعتدال دثارا ، والتقوى شعارا فألحقوا بالراشدين ، ونزلوا أحسن الذكر من تاريخ المسلمين » .[١]

عاشرا : القدوة في خوف أبى بكر من الله عز وجل :

يعيش المسلم في هذه الدنيا وعينه على الآخرة ، يأمل النجاة ، ويرغب في العافية « يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » .[٢]

والخوف من الله عز وجل فضيلة تدفع العبد إلى الحذر من المعاصى ، ومراقبة الله في السر والعلن ، فتزكو أفعاله ، وتجمل أعماله .

وقد أمر الله المؤمنين بالخوف منه فقال : « وإياي فارهبون »[٣] وقال « إن بطش ربك لشديد »[٤] وقال « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد »[٥] وقال « ويحذركم الله نفسه » .[٦]

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام ٩٢/١ .

(٢) الشعراء ٨٩/٨٨ .

(٣) البقرة جزء من الآية /٤٠ .

(٤) البروج /١٢ .

(٥) هود /١١٢ .

(٦) آل عمران /٢٨ .

وجعل للعبد الخائف منه أجرا عظيما فقال « ولمن خاف مقام ربه جنتان » .(١)

وفي الحديث عن أنس « رضى الله عنه » قال : خطبنا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » خطبة ماسمعت مثلها قط فقال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا ، فغطى أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وجوههم ولهم خنين » .(٢)

وقد كان الصديق « رضى الله عنه » على جانب من الخوف والرجاء بديع ، جعله قدوة عملية في هذا الباب لكل حاكم يريد النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة ، ولكل داعية يبغى النجاح في دعوته :

عن محمد بن سيرين قال : « لم يكن أحد أهيب لما لايعلم بعد النبى « صلى الله عليه وسلم » من أبى بكر .

وعن قيس قال : رأيت أبا بكر آخذ بطرف لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد .(٣)

وأخرج أحمد في الزهد عن عرفجة قال : قال أبو بكر – رضى الله عنه – « ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » .(٤)

وأخرج عن ميمون بن مهران قال : أتى أبو بكر بغراب وافر الجناحين فقلبه ثم قال : ماصيد من صيد ولا عضدت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح .(٥)

---

(١) الرحمن /٤٦ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه في التفسير / باب لاتسألوا عن أشياء » ٦٨/٦ عن أنس .

(٣) صفة الصفوة ٢٥٣/٢ .

(٤) أخرجه أحمد في الزهد / باب زهد أبى بكر الصديق ص١٠٨ من طريق وكيع عن مسعر .

(٥) أخرجه أحمد في الزهد / باب زهد أبى بكر الصديق ص١١٠ من طريق خالد بن حيان .

وأخرج عن الحسن قال : قال أبو بكر : والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد » .[1]

وأخرج عن أبي عمران الجوني قال . قال أبو بكر : « لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن » .[2]

وأخرج أحمد في الزهد عن ثابت البناني أن أبا بكر كان يتمثل بهذا الشعر :

لاتزال تنعى حبيبا حتى تكونه   وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه [3]

إن هذه الآثار تدل على أن الخوف من الله قوة دافعة إلى عمارة الدنيا ، وعمارة الآخرة ، وقد كان الصديق « رضى الله عنه » قدوة عظيمة في ذلك .

حادى عشر : القدوة في تحريه الحلال :

طلب الحلال وكسبه أمر قرآني ، وبيان نبوى جاءت الآيات والأحاديث تدعو إليه وتحث على التمسك به :

أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم »[4]

وقال « يأيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » .[5]

---

(١) أخرجه احمد في الزهد / باب زهد أبى بكر الصديق ص١١٢ من طريق روح عن هشام عن الحسن .

(٢) أخرجه احمد في الزهد / باب زهد أبى بكر الصديق ص١٠٨ من طريق سيار عن جعفر .

(٣) أخرجه احمد في الزهد / باب زهد أبى بكر الصديق ص١١٣ من طريق حماد عن ثابت .

(٤) المؤمنون /١ .

(٥) البقرة ١٧٢ .

وعن أنس « رضى الله عنه » أن النبى « صلى الله عليه وسلم » وجد تمرة في الطريق فقال : لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها » .[١]

فإذا كان النبى « صلى الله عليه وسلم » يتورع عن مثل هذه الثمرة مخافة أن تكون من الصدقة فإنه بذلك يعلم الأمة الورع وترك الشبهات في المطعم والمشرب ، والتحرى في طلب الحلال وكسبه .

وقد كان الصديق « رضى الله عنه » قدوة في طلب الحلال ، والبعد عن الحرام ، والتحري في ذلك بشدة تصورها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فتقول : كان لأبى بكر الصديق « رضى الله عنه » عنه غلام يخرج له الخراج ، وكأن أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوما بشىء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام : تدرى ماهذا ؟ فقال أبو بكر وما هو ؟ فقال : تكهنت لإنسان في الجاهلية ، وما أحسن الكهانة إلا أنى خدعته فلقينى فأعطانى هذا الذى أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه .[٢]

أخرج ابن سعد وابن الجوزى عن عطاء بن السائب قال : لما استخلف أبو بكر أصبح غاديا إلى السوق ـ وعلى رقبته أثواب يتَّجِرُ بِهَا ـ فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا له : أين تريد ياخليفة رسول الله ؟ قال السوق . قالا : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالى ؟ قالا له انطلق حتى نفرض لك شيئا ، فانطلق معهما ، ففرضوا له كل يوم شطر شاه وماكسوه في الرأس والبطن » .[٣]

---

(١) الحديث متفق عليه : أخرجه النجارى في صحيحه / كتاب البيوع / باب مايتنزه من الشبهات ٣/٧٠ وأخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الزكاة / باب تحريم الزكاة على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ٢/٤٣١ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب فضائل الصحابة / باب أيام الجاهلية ٥/٥ .

(٣) الطبقات ١/١٣٠ ـ صفة الصفوة ١/١٩٠ .

وهو بهذا « رضى الله عنه » يحرص عل الكسب الحلال ويرضى به .

وعن حميد بن هلال قال : لما ولي أبو بكر الخلافة قال أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » افرضوا لخليفة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » مايغنيه ، فقالوا نعم : برداه إذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما ، وظهره إذا سافر ، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف فقال أبو بكر : رضيت .(١)

هكذا يعطى الصديق « رضى الله عنه » القدوة العملية للحكام والدعاة ليحصل المجتمع من ذلك على عدة فوائد .

١ ـ تحري الحكام للحلال وكسبه ، ليحافظوا بذلك على أموال الأمة قليلها وكثيرها .

٢ ـ البعد عن الإسراف في المظاهر والتبذير في الإنفاق حتى لاتتبدد أموال الأمة .

٣ ـ توجيه الطاقات إلي المنافع اللازمة للمسلمين حتى يطمئنوا ويأمنوا في معايشهم .

٤ ـ اقتداء العوام بذلك ، وحفاظهم على الكسب الحلال ، وبعدهم عن الحرام وكسبه ، حيث تنتهى السرقة والاختلاس ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وينتفى الغش والخداع وغير ذلك من المعاملات المحرمة .

إن أبا بكر يأمر عائشة في مرض موته أن تعود بما عنده إلى عمر ليعيده إلى بيت المال ، ولما فعلت بكى عمر وقال : رحم الله الصديق لقد أتعب من جاء بعده .(٢)

---

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) الطبقات من طريق وكيع بن الجراح وعبد الله بن نمير عن الأعمش عن أبى وائل عن مسروق عن غائشة ١٩٢/٣ ومن طريق عفان بن مسلم وحماد بن سلمة عن ثابت عن سمية ١٩٣/٣ .

ثانى عشر : القـدوة في تواضعه « رضى الله عنه » :

التواضع خلق حميد ، يرفع قدر صاحبه ، ويبذر حب الناس في قلبه ، وحبه في قلوبهم ، وهو منة من الله تعالى للعبد الذى يريد له الخير والتوفيق .

والمتواضع عبد عرف قدره ، وهذب نفسه فكرمت أخلاقه ، وحسنت أفعاله ، لذا حث القرآن والسنة عليه ، وجاءت الآيات والأحاديث تدعو إليه :

قال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » .(١)

وقال عز وجل « يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .(٢)

وعن أبي هريرة « رضى الله عنه » أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « مانقصت صدقة من مال ، ومازاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » .(٣)

وعن أبى سعيد الخدرى « رضى الله عنه » قال : من يتواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين ، ومن يتكبر على الله درجة ، يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين ، ولو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس عليها باب ولا كوة لخرج ماغيبه للناس كائنا ماكان » .(٤)

---

(١) القصص /٨٣ .

(٢) المائدة /٥٤ .

(٣) سبق تخريجه ص٤٤ .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في الزهد ٢/٣٩٨ .

والتواضع خلق لازم من لوازم الدعاة إذ إنه يؤثر في المدعوين تأثيرا نفسيا كبيرا ، ويجعل الداعية قريبا منهم ، عزيزا لديهم ، تهفو القلوب إلى لقائه ، والعيون إلى رؤياه ، والنفوس إلى مجالسته ، فإذا وعظ وذكر استقبلت الأفئدة موعظته بحب وإقبال ، وسارعت إلى التنفيذ والامتثال .

ولقد كان الصديق « رضى الله عنه » قدوة في هذا المجال ، وأسوة في هذا الخلق العظيم قبل الخلافة وبعدها ، ولئن كان تواضعه قبل الخلافة شيئا مرضيا ، فإن تواضعه بعد الخلافة أشد روعة وأعظم وقعا ، إذ الدواعى الدافعة إلى الكبر حينئذ موجودة وهى تلح على نفس صاحبها وتدفعه إليه دفعا .

لكنها لا تنال إلا النفوس الحقيرة ، والقلوب المريضة ، والأفئدة العليلة الذليله ، أما عند أبى بكر فهيهات هيهات .

إن الخلافة جاءت لنفس ملأ الإيمان جوانحها ، وأذ عنت للطاعة جوارحها ، وذلت لمولاه رقابها ، فخشعت لجلاله ، واستسلمت لسلطانه ، فهى للتواضع مستعدة تزدان به وتعلو ، وتزكو بنوره وتسمو ، فأصبح بعد الخلافة آية ، وقدوة ومثالا وأسوة .

لقد كان قبل الخلافة . لبعض الضعفة من الحى أغنامهم ، فلما بويع له بالخلافة ظن الناس أنه سيتغير !! فقالت جارية من الحي : الآن لا تحلب لنا منائح دارنا !!! فسمعها أبو بكر فقال : بلى لعمرى لأحلبنها لكم ، إنى لأرجو أن لايغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه ، فكان يحلب لهم ، فربما قال للجارية من الحى : ياجارية أتحبين أن أرغى أو أصرح ؟ فربما قالت ارغ أو ربما قالت : « صرح فأى ذلك قالت فعل » .

وعن ابن أبي مليكة قال : كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق قال : فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه قال فقالوا له : أفلا أمرتنا نناولكم قال : إن حبى « صلى الله عليه وسلم » أمرنى أن لا أسأل الناس شيئا » .

وكان إذا مدحه إنسان قال : اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللهم اجعلني خيرا مما يظنون ، واغفر لي مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون » .(١)

ومن أعظم دلائل تواضعه بعد خلافته قوله « رضى الله عنه » في أول خطبة بعد البيعة العامة : أما إنى وليت عليكم ولست بخيركم » مع إجماع الحاضرين أنه أفضلهم وأكرمهم ، ولكنه التواضع الذى يعطى القدوة الطيبة للدعاة العاملين حكاما أو محكومين .

ثالث عشر : القدوة في أدبه مع النبى « صلى الله عليه وسلم » ونفسه والمسلمين :

هذا الخلق الجليل ، والعمل الجميل ، قدوة مؤثرة في المدعوين ، لأن الناس تحب الرجل المؤدب ، ذا الخلق المهذب حيث يرون فيه جمال الطبع ، ودماثة الخلق .

وقد كان الصديق « رضى الله عنه » قدوة للدعاة في الأدب الجم مع النبى « صلى الله عليه وسلم » ومع نفسه ، ومع المسلمين وهو بهذا ينفذ الأوامر القرآنية التى نادت المؤمنين طالبة منهم لزوم الأدب مع النبى « صلى الله عليه وسلم » .

« يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله ، واتقوا الله إن الله سميع عليم ، يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا

---

(١) أنظر أسد الغابة ٣/٣٢٤ .

له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » .[1]

وقال تعالى « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم »[2]

والنبى « صلى الله عليه وسلم » يقول : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، وماله ، وولده والناس أجمعين » .[3]

لذا كان الصديق « رضى الله عنه » ينفذ هذه الأوامر القرآنية في أدب مع النبى « صلى الله عليه وسلم » وحب له : لما نزلت « ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق الصوت النبي » الآية . قال أبو بكر : يارسول الله لا أكلمك إلا كأخ السرار .[4]

وأخرج ابن أبي شيبة عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضى :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر : ذلك رسول الله « صلى الله عليه وسلم » .[5]

وكان يغار على النبى « صلى الله عليه وسلم » أن يضايقه شيء ، ولا يقبل ذلك حتى ولو كان من أقرب الناس وأحبهم إلى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » كعائشة : فعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة « رضى الله

---

(١) سورة الحجرات ٣/١ .

(٢) الأحزاب جزء من الآية ٦ كتاب الإيمان / باب حب الرسول « صلى الله عليه وسلم » من الإيمان ١٠/١ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم .

(٤) أخرجه البزار في مسنده / مسند أبى بكر ص٣٠ وقال : هذا الحديث لانعلمه رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم متصلا إلا عن أبي بكر .

(٥) ابن أبى شيبة ٢٠/١٢ .

عنها » : أنها قالت : خرجنا مع رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله « صلى الله عليه وسلم » على التماسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فأتى النارس أبا بكر فقالوا : ألا ترى ماصنعت عائشة أقامت برسول الله « صلى الله عليه وسلم » وبالناس معه ، وليسوا على ماء ! وليس معهم ماء ! فجاء أبو بكر ورسول الله « صلى الله عليه وسلم » واضع رأسه على فخذي قد نام ، فقال حبست رسول الله « صلى الله عليه وسلم » والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء !! قالت فعاتبني ، وقال ماشاء الله أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » على فخذي ، فنام رسول الله « صلى الله عليه وسلم » حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد ابن الحضير : ماهي بأول بركتكم ياآل أبى بكر ، قالت عائشة : فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته » .(١)

وكان مؤدبا مع نفسه يعلمها التواضع ، ويحليها بجميع الأخلاق ، ويكره لها مواقف الذل ، ويبتعد بها عن الشبهات .

فهل هناك أدب مع النفس وإعزاز لها أعظم من تحريم الخمر على نفسه في الجاهلية ، على أن الناس كانوا يشربونها أكثر مما يشربون الماء ؟

ولما سئل عن ذلك قال ماجاء في رواية ابن عساكر عن أبى العالية الرياحى : قيل لأبى بكر الصديق في مجمع من أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » هل شربت الخمر في الجاهلية ؟ قال : أعوذ بالله فقيل ولم ؟ قال : كنت أصون عرضي ، وأحفظ مروءتى ، فإن من شرب الخمر كان مضيعا في

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ـ كتاب فضائل أصحاب النبى « صلى الله عليه وسلم » لو كنت متخذا خليلا ، ٥/٠٩ .

عرضه ومروءته ، قال فبلغ ذلك رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقال : صدق أبو بكر ، صدق أبو بكر . مرتين » .(١)

وكان يؤدب نفسه أن تختال أو تغتر بمديح الناس وثنائهم :

أخرج ابن الأثير بسنده إلى الأصمعى قال : كان أبو بكر إذا مدح قال : « اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللهم اجعلني خيرا مما يظنون ، واغفر لي مالا يعلمون ، ولا تواخذني بما يقولون » .(٢)

وكان « رضى الله عنه » مؤدبا مع المسلمين ، يحترمهم ، ويحفظ حقوقهم ، وأدبه معهم قدوة حسنة لمن كان يريد النجاح في العمل الدعوى وسط الناس لأنهم يميلون نحو الرجل الكريم السجايا الذى تأدب بأدب الإسلام ، من التوقير الكبير ، والرحمة بالصغير ، ومعرفة حق العالم . والصديق في أدبه مع إخوانه المسلمين يسارع بالاعتذار إلى أحدهم إن أخطأ في حقه أو بدرت منه بادرة تسوؤه :

أخرج الإمام أحمد عن ربيعة الأسلمى حديثا طويلا جرت فيه قصة بين ربيعة وأبى بكر ومنه : « .. فكان بينى وبين أبي بكر كلام فقال أبو بكر كلمة : كرهها وندم ، فقال لي ياربيعة رد علي مثلها حتى تكون قصاصا ، قال قلت لا أفعل . فقال أبو بكر لتقولن أو لأستعدينّ عليك رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، فقلت ما أنا بفاعل قال : ورفض الأرض ، وانطلق أبو بكر « رضى الله عنه » إلى النبى « صلى الله عليه وسلم » وانطلقت أتلوه ، فجاء ناس من أسلم فقالوا لي : رحم الله أبا بكر في أي شيء يستعدى عليك رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وهو قال لك ماقال ؟ فقلت أتدرون ماهذا ؟ هذا أبو بكر الصديق . هذا ثاني اثنين ، وهذا ذو شيبة المسلمين ، إياكم لايلتفت فيراكم تنصرونى عليه

---

(١) أورده السيوطى في التاريخ ص٣٢ وقال : غريب سندا ومتنا .

(٢) أسد الغابة /٣/٣٢٤ .

فيغضب فيأتي رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فيغضب لغضبه ، ويغضب الله لغضبيهما فيهلك ربيعة ، قالوا : ماتأمرنا ؟ قال : ارجعوا ، فانطلق أبو بَكر إلى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فتبعته وحدي حتى أتى النبى « صلى الله عليه وسلم » فحدثه الحديث كما كان ، فرفع إليَّ رأسه فقال : ياربيعة مالك والصديق » ؟ قلت يارسول الله كان كذا ، وكان كذا ، قال لي كلمة فكرهها فقال لي قل كما قلت حتى يكون قصاصا فأبيت ، فقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أجل فلا ترد عليه ، ولكن قل غفر الله لك ياأبا بكر » ، فقلت غفر الله لك ياأبا بكر ، قال الحسن : فولى أبو بكر « رضى الله عنه » وهو يبكي » .(١)

« لله أي وجدان هذا الوجدان ، وأى نفس تلك النفس ، بادرة بدرت منها المسلم فلم ترض إلا اقتصاصه منها ، وصفحه عنها ، تناهيا بالفضيله ، واستمساكا بالأدب وشعورا تمكن من الجوانح ، وأخذ بمجاميع القلوب ، فكانت عنده زلة اللسان ولو صغيرة ألما يتململ منه الضمير فلا يستريح إلا باقتصاص منه ، ورضا ذلك المسلم عنه » .(٢)

وقد أوردنا فيما سبق أن أبا بكر لم يرض لرجل أن يلقى عليه السلام وحده ، تاركا بقية الجالسين ، إن هذا في ميدان الأدب له وزن عظيم ، وهو دلالة على أن صاحب هذا الخلق رجل يعرف أقدار الرجال ويحترم في الناس أميتهم ويحافظ على شعورهم .

يقول « رفيق بك العظم « رحمه الله » :

هكذا التسابق الى الفضيلة ، والتسارع إلى الخيرات ، وهذا منتهى الرأفة ، وغاية الغايات من التواضع .... وحق لأمة هكذا يكون رؤساؤها ، وبهذه الأخلاق يتخلق سادتها أن تمتلك رقاب البشر ، وتسود على البدو والحضر ...

---

(١) أحمد في مسنده ٥٩/٤ .

(٢) أشهر مشاهير الإسلام ٨٦/١ .

إن أبا بكر يودع أسامة القائد ، ويزيد بن أبى سفيان من بعده ، وهو يمشى على قدميه ، ويعلو التراب فوق ثوبه ، ويقول القائدان مقولة واحدة ـ كل في وقته ـ أنزل وتركب ، فيقول الصديق « رضى الله عنه » لاتنزل ولا أركب ، وما علي أن أغبر قدميَّ ساعة في سبيل الله » .

إنه الأدب النبوي الذي تأدبت به نفسه ، والتواضع الذى أشرب به قلبه ، لاينفكان عن مثله ، ولايحطان من جلالة قدره ، بل يعليان مكانته في النفوس ، ويحببان به القلوب ، ويمهدان لرعيته الطريق لطاعة أمره والخضوع له ، والالتفات حوله ـ والعمل بإشارته ، والذود عن حوزته .[1]

رابع عشر : القدوة في تثبته في قبول الأخبار :

يقف كل مسئول في حياته موقفا يجعله يسمع كثيرا من الأنباء ، وتنقل إليه الأخبار ، وهو في موقف يحتم عليه إن كان لبيبا فطنا ـ أن يتروى في قبول الأخبار ـ ، ويتثبت في كل نبأ يصل إليه ، وأن لا يكون عهده التسرع في إصدار الأحكام فور سماعه للخبر .

لذا قال القرآن للمؤمنين : « ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » .[2]

وقد أجاب سيدنا سليمان « عليه السلام » الهدهد بقوله « سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين »[1] إن التسرع بإصدار الأحكام فور وصول الأنباء يدل على الخرق ، والتهور ، ونقصان العقل ، وضياع الفطنة والذكاء !! .

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام ١/٨٦ .

(٢) سورة الحجرات /٦ .

(٣) سورة النمل ٢٧ .

ومن ثم جاءت السنة النبوية آمرة كل المسلمين ـ الحكام والدعاة ـ أن يكونوا على بصيرة وروية .

وربى النبي « صلى الله عليه وسلم » أصحابه على هذا الخلق الحميد ، والعمل السديد ، وكان الصديق العتيق « رضى الله عنه » مبرزا في هذا الأمر

روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلي أبى بكر تلتمس أن تورث فقال : ما أجد لك في كتاب الله تعالى شيئا ، وما علمت أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال : حضرت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يعطيها السدس فقال أبو بكر : هل معك أحد ؟ فشهد ابن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر « رضى الله عنه » .(١)

خامس عشر : القدوة في شجاعته « رضى الله عنه » :

الشجاعة خلق يدل على كمال الإيمان بالله وتمام اليقين بأن الرزق والأجل بيده هو ولابد لمن يتعرض لقيادة الناس أن يتوفر فيه الإقدام ، وأن تمتلىء جوانحه بسالة وقوة ، وجرأة وفتوة ، لأنه يقابل بالمواقف الصعبة التى تحتاج إلى القائد ذى الجنان الثابت ، والذى لايعرف الجبن ولا الخوف .

وإن الدعاة إلى الله قادة يحتاجون إلى هذا الخلق العظيم حتى يحرزوا نجاحا في قيادة الناس .

ولقد كان أبو بكر « رضى الله عنه » مع النبى « صلى الله عليه وسلم » في حياته شجاعا ، وكانت شجاعته في الرأى مثل شجاعته في القتال ، يدل على

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ٢/١ .

ذلك أمور منها :

١ ـ حين أسلم أظهر إسلامه ، ولم يبال بما يصيبه من جهد وبلاء .

٢ ـ كان في مكة يجهر بصلاته وقراءته للقرآن ، غير عابىء بما يفعله الكفار .

٣ ـ وهو في المدينة يسمع الإذن بالقتال بنزل من السماء فيقف بجانب النبى « صلى الله عليه وسلم » في كل الغزوات ما تخلف عن واحدة منها قط كما أجمع العلماء على ذلك .

٤ ـ أرسله النبى « صلى الله عليه وسلم » في عدة سرايا وأمره عليها .

٥ ـ كان أقرب المقاتلين إلى الرسول « صلى الله عليه وسلم » في كل غزوة ، وحين ينهزم كثير من الأبطال والشجعان كان يثبت ، ولم تذكر له هزيمة واحدة في موقف من المواقف .

٦ ـ في وقعة أحد كان من أول الثابتين ، وقد وصل إلى النبى « صلى الله عليه وسلم » حتى التف حوله المسلمون .

٧ ـ وبعد الخلافة رأينا موقفه الشجاع من حروب الردة .

روى الشيخان عن أبي هريرة « رضى الله عنه » لما توفي رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وكان أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر « رضى الله عنه » : يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال النبى « صلى الله عليه وسلم » أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله قال أبو بكر « رضى الله عنه » : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » لقاتلتهم عليه

قال عمر : فو الله ماهو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » .[(١)]

سادس عشر : القدوة في عدله « رضى الله عنه » :

العدل قيمة عليا من قيم الأمانة ، وهو مناط الاستقرار ، والنجاح لكل حاكم يريد إصلاح أمته وإسعادها ، وقوتها وسؤددها ، وهو سبيل الفوز برضا الله وحب العباد ، وهو الطريق إلى انتشار الصناعات ، والتجارات ، والحرف ، وبالتالي نجاح الاقتصاد وقدرته على الوفاء بحاجات الأمة .

وهو من أعظم الأخلاق تأثيرا في المدعوين ، وجذبا لهم إلي الدين ، ولعل ماحدث في الفتوحات في عهد الصديق خير شاهد على ذلك .

إن أهل حمص يرون عدل المسلمين الذين تجمعوا لليرموك ، وردوا الجزية إليهم لأنهم لايستطيعون وقتها الوفاء بما تعاهدوا عليه ـ فقالوا للمسلمين : لعدلكم ورحمتكم أحب إلينا مما كنا فيه ولنغلقن أبواب مدينتنا في وجه الروم .[(٢)]

ولقد كان الصديق « رضى الله عنه » قدوة في عدله يأسر القلوب ويبهر الألباب ، وكأني به كان يدرك أن العدل أعظم دعوة عملية إلى الإسلام ، فهو الرسول الصامت الناطق الذى يقنع الناس ويرضي عقولهم .

لقد عدل بين المسلمين في العطاء ، وطلب منهم أن يكونوا عونا له في هذا

---

(١) الحديث متفق عليه . أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب الإيمان / باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ١٢/١ عن ابن عمر ، وأخرجه مسلم / كتاب الإيمان / باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله ٢٩/١ عن أبي هريرة .

(٢) البلاذرى / فتوح البلدان ص١٤٣ عن أبى حفص الدمشقى .

العدل ، وعرض القصاص من نفسه في واقعه تدل على العدل والخوف من الله سبحانه :

أخرج البيهقى عن عبد الله بن عمرو بن العاص « رضى الله عنه » أن أبا بكر الصديق « رضى الله عنه » قام يوم جمعة فقال : إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسمها ، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن ، فقالت امرأة لزوجها خذ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملا ، فأتى الرجل فوجد أبا بكر وعمر « رضى الله عنه » قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما ، فالتفت أبو بكر فقال : ماأدخلك علينا ؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه ، فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا الرجل فأعطاه الخطام وقال : استقد .. فقال له عمر : والله لايستقد ولا تجعلها سنة ، قال أبو بكر فمن لى من الله يوم القيامة ؟ قال عمر : أرضه ، فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة وخمسة دنانير فأرضاه بها .(١)

---

(١) سبق إيراد هذا الحديث وقد تكرر هنا للاستشهاد به إذ هو صالح لذلك وواضح الدلالة عليه .

الفصل الرابع

« الدعـــوة البيـانيـــة »

الدعوة البيانية عند الصديق « رضى الله عنه »

تعنى الدعوة البيانية « القولية » تلك الوسيلة من وسائل الدعوة التى تعتمد على القول والمشافهة وأعظمها بلا شك الخطابة ، وبخاصة الخطابة الوعظية في خطبة الجمعة .

وهي الوسائل سهلة التنفيذ التى تتاح للداعية في كل مكان يذهب إليه لأنها قريبة من الفطرة ، ولا دخل للوسائل الصناعية الحديثة فيها .

وليس هناك طريقة أو وسيلة قولية لها من قوة التأثير والقدرة على الإقناع مثل خطبة الجمعة في الاسلام ، حيث جعلها الاسلام فرصة عظيمة لكل خطيب فاهم لدينه ليحسن جمع الناس على الحق ، ودعوتهم إلى الخير .

وقد كان للصديق « رضى الله عنه » قصب السبق في هذا الميدان :

(أ) كان الصديق أول خطيب دعا إلى الله ورسوله بعد رسول الله « صلى الله عليه وسلم »[1] ، وكان ثاني اثنين هما أفصح خطباء النبى « صلى الله عليه وسلم » قال الزبير بن بكار : سمعت بعض أهل العلم يقول : أفصح خطباء النبى « صلى الله عليه وسلم » أبو بكر الصديق ، وعلي بن أبى طالب « رضى الله عنهما » .[2]

(ب) وهو البليغ الذى حسن كلامه مع إقلاله منه ، وكانت عباراته مع قصدها معبرة عن معناها من أقرب طريق .

(ج) كان يوصى أمراءه وقواده بالإقلال من الكلام ، وترك التشدق والإكثار من غير فائدة فيقول لخالد بن الوليد : « أقل الكلام فإنما لك ماوعى

---

(١) ارجع إلى الفصل الأول « تحمل البلاء في سبيل الله »

(٢) أخرجه السيوطى في تاريخ الخلفاء وقال : أخرجه ابن عساكر عن الزبير بكار ص٦٠ .

منك » ويقول ليزيد بن أبى سفيان « إذا وعظت فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا » وكان يقول : البلاء موكل بالمنطق .

يقول العقاد : « أما كلامه هو فمن أرجح ما قيل في موازين البلاغة أو موازين الخلق والحكمة ، وله من مواقع الكلم أمثلة نادرة تدل الواحدة منها على ملكة صاحبها فيغنى القليل منها عن الكثير ، كما تغنى السنبلة الواحدة عن الجرين الحافل . فحسبك أن تعلم معدن القول من نفسه وفكره حين تسمع كلمة كقوله « احرص على الموت تهب لك الحياة » أو قوله « أصدق الصدق الأمانة ، وأكذب الكذب الخيانة » « الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله » :

فهى كلمات تتسم بالقصد والسداد ، كما تتسم بالبلاغة وحسن التعبير ، وتنبيء عن المعدن الذى نجمت منه ، فتغنى عن علامات التثقيف التى يستكثر منها المستكثرون لأن هذا الفهم الأصيل هو اللباب المقصود من التثقيف ، وكانت له « رضى الله عنه » لباقة في الخطاب إلى جانب البلاغة في الكلام »(١)

وسوف أختار هنا نماذج من خطبة نقف معها الذى أثرها في الأمة ، ودورها في الدعوة ومحل القدوة منها . مع الإشارة إلى أنى لم أقصد هنا استقضاء كل ما قال .

١ ـ خطبته في وفاة النبى « صلى الله عليه وسلم » :

لما توفى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وعظمت المصيبة فيه ، اختلط الناس فأصبحوا بين مصدق ومكذب ، فجاء أبو بكر من السنح ، ودخل على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقبله بين عينيه وقال : طبت حيا وميتا يارسول الله ، ثم خرج على الناس فقال :

---

(١) عبقرية الصديق ص١٣٩ بتصرف يسير .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما أنزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ، ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت ، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا ، وإن الله قد اختار لنبيه ماعنده على ماعندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ، فمن أخذ بها عرف ، ومن فرق بينها أنكر « ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، ولايشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ، ولايفتننكم عن دينكم فعاجلوه بالذى تعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم » .[1]

وفي رواية أنه قرأ « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » .[2]

« تعليق »

هز موت النبي « صلى الله عليه وسلم » وجدان المسلمين هزا ، وأثر فيهم تأثيرا عظيما ، لأن موته « صلى الله عليه وسلم » أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون ، وكل بلوى تهون بجانب هذه البلوى .

وقد كان الصحابة « رضوان الله عليهم » على حب شديد للنبي « صلى الله عليه وسلم » وكانوا يشفقون من يوم يغيب فيه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » عنهم .

أخرج البزار عن ابن عباس « رضى الله عنهما » قال : أتى النبي « صلى الله عليه وسلم » فقيل له : هذه الأنصار رجالها ونساؤها في المسجد يبكون ،

(١) الطبرى ٣/٢٠٣ ـ الكامل ٢/٢١٩ ـ البداية والنهاية ٥/٢١٢ .

(٢) آل عمران ١٤٤ .

وقال مايبكيهما ؟ قال : يخافون أن تموت ، قال فخرج فجلس على منبره متعطفا بثوب طارحاً طرفيه على منكبيه عاصبا رأسه بعصابة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، فإن الناس يكثرون ، وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولى شيئا أمرهم فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم .[1]

وأخرج البخارى عن أنس قال : لما ثقل النبى « صلى الله عليه وسلم » جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة « رضى الله عنها » واكرب أبتاه ، فقال لها ليس على أبيك بعد اليوم كرب ، فلما مات قالت : واأبتاه أجاب ربا دعاه ... ياأبتاه من جنة الفردوس ماواه ... ياأبتاه إلى جبريل ننعاه ، فلما دفن قالت فاطمة : ياأنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » التراب ؟ »[2]

وأخرج ابن سعد عن عاصم عن أبيه قال : ما سمعت ابن عمر « رضى الله عنه » ذكر رسول الله « صلى الله عليه وسلم » إلا ابتدرت عيناه تبكيان .[3]

وكان النبى « صلى الله عليه وسلم » قد استقر في مرضه الذى توفى فيه ببيت عائشة . ووعك أشد الوعك ، واجتمع إليه نساؤه ، واشتد وجعه ، فلم يزل بذلك حتى زاغت الشمس .

قال الذهبى « وزعموا أنه كان يغشى عليه ، ثم شخص بصره إلى السماء فيقول : نعم في الرفيق الأعلى ... فأرسلت عائشة إلى أبى بكر ، وأرسلت

---

(١) قال الهيثمى في المجمع : رواه البزار عن ابن كرام عن أبى موسى ولم أعرف الآن أسماءهما وبقية رجال الصحيح ٣٧/١٠ وانظر مختصر حياة الصحابة ص٢٨٢ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه باب مرض النبى « صلى الله عليه وسلم » ووفاته ١٨/٦ .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات من طريق إسماعيل بن عبد الله بن أبى أويس المدنى عن عاصم بن محمد عن أبيه ١٦٨/٤ .

حفصة إلى عمر ، وأرسلت فاطمة إلى علي فلم يجتمعوا حتى توفى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » على صدر عائشة وفى يومها .. يوم الاثنين .. وجزع الناس وظن عامتهم أنه غير ميت ، منهم من يقول : كيف يكون شهيدا علينا ونحن شهداء على الناس فيموت ، ولم يظهر على الناس ، ولكنه رفع كما فعل بعيسى بن مريم ، فأوعدوا من سمعوا يقول : إنه مات ، ونادوا لاتدفنوه فإنه حي ، وقام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد بالقتل والقطع ، ويقول : إنه لم يمت وتوعد المنافقين ، والناس قد ملأوا المساجد يبكون ويموجون أقبل أبو بكر من السنح »(١)

« وأما عثمان فسكت ، وأما عمر فأهجر وقال : « مامات رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وإنما واعده كما واعد موسى وليرجعن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فليقطعن أيدى أناس وأرجلهم » .(٢)

هكذا كانت الحال يوم موت النبى « صلى الله عليه وسلم » وهي تحتاج إلى رجل يسوقه الله ليذكر الناس .... وجاء أبو بكر « رضى الله عنه » فصعد المنبر وخطب الناس بهذا الثبات العظيم ، ونستطيع بحمد الله أن نستنتج مايلى :

(أ) يظهر في هذه الخطبة الارتجال الجيد لأن الموقف لايدع فرصة للإعداد للخطبة ، والمعلوم أنه لايستطيع الارتجال بهذه الروعة إلا أصحاب الفصاحة والبلاغة ، ومن لهم قدرة على الكلام وبصر به .(٣)

(ب) ظهرت في الخطابة قوة الحجة في إرشاد الناس إلى مانسوه في غمرة حزنهم من أن النبى « صلى الله عليه وسلم » بشر حق عليه الموت ، وأن الدائم الباقى هو الله .

---

(١) السيرة النبوية للذهبى ص٥٦٦ .

(٢) العواصم لابن العربى ص٥٥ .

(٣) فقه الخطبة والخطيب للمؤلف ص٣٥ .

(ج) وظهرت كذلك القوة النفسية للصديق «رضى الله عنه » وخاصة في المواقف الحرجة ، وهى ميزة ميز الله بها الصديق .

« نقف لنتصور ناحية من نفسية أبى بكر يدل عليها موقف هذا أبلغ الدلالة ، لو أن رجلا من المسلمين جاز أن يبلغ منه الجزع لوفاة الرسول « صلى الله عليه وسلم » مابلغ من عمر لكان ذلك الرجل أبا بكر ، فهو صفى النبى « صلى الله عليه وسلم » وخليله ، ومن آثره في كل موقف على نفسه ، والذى أجهش بالبكاء لقول النبى « صلى الله عليه وسلم » ، « إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ماعنده فاختار ماعند الله » وهو الذى قال حين سمع هذه الكلمة والعبرة تخنقه : « نحن نفديك بأنفسنا وأرواحنا » ، لكن جزعه لوفاة الرسول « صلى الله عليه وسلم » لم يذهله ما أذهل عمر ، وهو لم يلبث حين أيقن أن الله اختار رسوله إليه أن خرج إلى الناس وخطبهم بما قرأت .. وهذه الكلمات التى ألقاها عليهم ، وهذه الآية التى تلاها من القرآن لإقناعهم تدل على قوة من مواجهة الحقائق تنأى بصاحبها عن أن يذهله نبأ فاجع كموت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، وقد اقترنت هذه القوة النفسية بصفة أخرى زادتها جلالا ومهابة ، هى بعد النظر إلى المستقبل ، وهاتان الصفتان تثيران العجب من رجل كله الرفق والرقة .(١)

٢ ـ خطبته في السقيفة :

كان اجتماع السقيفة أخطر اجتماع في حياة المسلمين كما بينا في حينه ـ وقد استمع الصديق إلى خطباء الأنصار ، ثم وقف فتحدث فكانت خطبته هى القول الفصل ، حيث أتى بالبراهين الساطعة ، والحجج القاطعة التى سلم لها الجميع :

---

(١) أبو بكر الصديق لهيكل باشا ص٥٦ .

أراد عمر بن الخطاب الكلام فقال له الصديق : على رسلك ثم خطب فقال :

« نحن المهاجرون أول الناس إسلاما ، وأوسطهم دارا ، وأكرمهم أحسابا ، وأحسنهم وجوها واكثر الناس ولادة في العرب ، وأمسهم رحما بالنبى « صلى الله عليه وسلم » ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فأنتم إخوتنا في الدين ، وشركاؤنا في الفيء ، وأنصارنا على العدو ، أويتم فجزاكم الله خيرا ، نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لاتدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، وأنتم محقوقون ألا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ماساق الله إليهم » .[1]

« تعليق »

نرى في هذه الخطبة للصديق « رضى الله عنه ، أثر الخطبة السياسي حيث شهدت السقيفة المناظرات الحرة التى تدل على الحرية الصحيحة التى ملأ الإسلام جوانح أبنائه ، فدار الحوار حتى جاء كلام الصديق فكان بردا وسلاما على الجمع ويلاحظ الآتى :

١ ـ الأدب العظيم الذى ربى عليه الإسلام أهله ، فلا خبث في كلام ، ولا بذاءة في عرض الموضوع وإنما سماحة ورعاية لحق الأخوة .

٢ ـ أن أبا بكر الصديق « رضى الله عنه » اتبع طريقا منطقيا في عرض أفكاره ، فبدأ بذكر مناقب المهاجرين في سبقهم إلى الإسلام ، وكرم أحسابهم ، واتصال رحمهم بالنبى « صلى الله عليه وسلم » ، وتقديم القرآن لهم ثم ثنى بذكر مناقب الأنصار ومنزلتهم العالية ، وأخوتهم في الدين والجهاد ، وبذلهم وسخائهم وجودهم ، وطلب منهم أن لا يحسدوا إخوانهم المهاجرين على الخلافة لأنها لن تصلح إلا بهم .

---

(١) الطبرى ٢١٩/٣ ، الكامل ٢٢٠/٢ ، البداية والنهاية ٢١٥/٥ .

٣ ـ وهكذا يظهر لنا أثر هذه الخطبة في القضاء على الخلاف وأثرها كذلك في جمع شمل المسلمين ، والحفاظ على الدولة الجديدة التي تركها النبي « صلى الله عليه وسلم » أمانة في أعناق جميع المسلمين .

٣ـ الخطبة السياسية :

أخرج الطبري من طريق عبد الله بن سعد عن عمه ـ عن سيف ـ ومن طريق السرى بن يحى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف عن أبي ضمرة عن أبيه ابن عاصم بن عدى قال :

نادى منادي أبى بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : لِيُتَمَّ بعث أسامة ، ألا لايبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف ، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال :

يا أيها الناس : إنما أنا مثلكم ، وإني لا أدرى لعلكم ستكلفونني ماكان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يطيق ، إن الله اصطفى محمدا على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن استقمت فتابعونى ، وإن زغت فقومونى ، وإن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قبض وليس لأحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ـ ضربة سوط فما دونها ـ ألا وإن لي شيطانا يعتريني ، فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم ، وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه ، فإن استطعتم أن لايمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا في جهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ، فإن قوما نسو آجالهم ، وجعلوا أعمالهم لغيرهم ، فإياكم أن تكونوا مثلهم ، الجد الجد ، والوحا الوحا ، والنجاء النجاء ، فإن وراءكم طالبا حثيثا ـ مره سريع ـ ، احذروا الموت ، واعتبروا بالآباء والأبناء والأخوان ، ولاتغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات » .

« تعليــق »

بعد أن بويع الصديق « رضى الله عنه » قام بهمة عالية ينفذ أمر رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في إنفاذ بعث أسامة بن زيد ثم وقف مع الناس وقفة القائد الفاهم فوضع النقاط على الحروف وبين سياسته مع الناس كما يلى :

١ ـ بيان طبيعة خليفة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وأنه ليس خليفة عن الله بل عن رسوله « صلى الله عليه وسلم » وأنه بشر غير معصوم لايطيق ما كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يطيق بنبوته ورسالته ، ولذلك فهو في سياسته متبع وليس بمبتدع أى أنه علي نهج النبى « صلى الله عليه وسلم » في الحكم بالعدل والإحسان .

٢ ـ بيان واجب الأمة في مراقبة الحاكم لتعينه في إحسانه وصلاحه ، وتقومه وتنصحه في غير ذلك ، ليظل على الطريق متبعا غير مبتدع .

٣ ـ بيان أن النبى « صلى الله عليه وسلم » عدل بين الأمة فلم يظلم أحدا ، ولذلك ليس لأحد عند النبى « صلى الله عليه وسلم » مظلمة صغيرة أو كبيرة ، ومعنى هذا أنه سوف يسير على نفس النهج ، ينشر العدل ويبتعد عن الظلم ، ومن ثم على الأمة أن تعينه على ذلك ، وإذا رآه أحد غاضبا فعليه أن يجتنبه حتى لايؤذى أحدا ، فيخالف ماراه من سياسة الاتباع للنبى « صلى الله عليه وسلم » .

٤ ـ ثم يعظ الأمة وعظا جليلا يهدى القلوب ، ويأخذبها إلى العمل الصالح ، لتستعد الأمة للقاء الله عز وجل . وتستقيم في حياتها على نهجه تعالى .

٤ ـ خطبة وعظية :

قال الطبرى : وقام أيضاً : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله عز وجل لايقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أن

ما أخلصتم لله من أعمالكم ، فطاعة أتيتموها ، وحظا ظفرتم به ، وضرائب أديتموها ، وسلف قدمتموه من أيام فانية لآخرة باقية ، لحين فقركم وحاجتكم .

اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم ، أين كانوا أمس ؟ ، وأين هم اليوم ؟ ، أين الجبارون ؟ ، وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب ؟ قد تضعضع بهم الدهر !! وصاروا فيما قد تركت عليهم القالات ، الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها . قد بعدوا ونُسي ذكرهم ، وصاروا لا شيء ، !! قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم !! وبقينا خلفا بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن اغتررنا كنا مثلهم !! أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشأنهم ؟ صاروا ترابا ، وصار مافرطوا فيه حسرة عليهم !! أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ، قد تركوها لمن خلفهم فتلك مساكنهم خاوية ، وهم في ظلمات القبور « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا » أين من تعرفون من أبناعكم وإخوانكم ، قد انتهت بهم أجالهم ، فوردوا على ماقدموا فحلوا عليه ، وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت ، ألا إن الله لا شريك له ، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خير ، أو لا يصرف عنه به سوءا إلابطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ماعنده لايدرك إلا بطاعته ، أما إنه لاخير بخير بعده النار ، ولا شر بشر بعده الجنة » .(١)

٥ ـ خطبة وعظية :

أخرج الطبرانى في الكبير ـ حدثنا احمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى ، ثنا أبو المغيرة ، تناحريز بن عثمان عن نعيم بن نمحة قال : كان في خطبة أبى بكر « رضى الله عنه » :

---

(١) الطبرى ٣/٢٢٤ ، ٢٢٥ .

« أما تعلمون أنكم تعدون ، وتروحون لأجل معلوم ، فمن استطاع أن ينقضى الأجل وهو في عمل لله عز وجل فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل » .

إنهم قوم جعلوا آجالهم لغيرهم ، فنهاكم الله أن تكونوا مثلهم « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم » .

أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا ماقدموا في أيام سلفهم ، وحلوا فيه بالشقوة والسعادة ، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن ، وحففوها بالحوائط ؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار !! .

هذا كتاب الله عز وجل لاتفنى عجائبه ، فاستوصوا منه ليوم ظلمة ، واستنصحوا كتابه وبيانه ، إن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : « كانوا يسارعون في الخيرات » . لاخير في قول لايُرادُ به وجه الله ، ولا خير في مال لاينفق في سبيل الله ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم .(١)

---

(١) المعجم الكبير ١/٦٠ ، وأخرجه الحاكم / كتاب التفسير / تفسير سورة الأنبياء ٢/٣٨٤ وقال صحيح الإسناد ، وقال الذهبى فيه عبد الرحمن بن إسحق كوفى ضعيف .

الفصل الخامس

« ختام حياته الدعوية »

حسن الخاتمة في طريق الدعوة

(أ) إذا أراد الله بعبد خيرا ختم له بخاتمة السعادة ، فمات على خير ليلقى فضل الله وعطاءه لأن الأعمال بخواتيمها .

وقد عاش الصديق « رضى الله عنه » مجاهدا من يوم أن أسلم حتى لقى ربه ، ليجد صحيفة حسناته مسطرة بالخير والتوفيق ، مزينة بالرضا والقبول بمشيئة الله تعالى .

نعم يجد في صحيفة حسناته :

١ ـ إيمانا لم يعرف التردد أو الشك ليكون بذلك من السابقين .

٢ ـ يقينا لم تزعزعه الحوادث والابتلاءات .

٣ ـ حبا لله ورسوله يتقدم على حب النفس والأولاد والأهل .

٤ ـ إنفاقا في سبيل الله لايعرف البخل ولا الشح .

٥ ـ فداء للنبى « صلى الله عليه وسلم » وصحبته له في الهجرة وقياما بخدمته والحدب عليه .

٦ ـ تربية للبيت على حب الإسلام وفدائه وإعلاء رايته .

٧ ـ مشورة مخلصة لرفع راية الدعوة .

٨ ـ رحمة بالعبيد والإماء والفقراء وعتقا لهم في سبيل الله .

٩ ـ جهادا في الغزوات والسرايا دون تأخر أو اعتذار .

١٠ ـ صبرا على البلاء ورضا بالقضاء وتسليما لأمر الله .

١١ ـ ثباتا في الأحداث الجسام مثل وفاة النبى « صلى الله عليه وسلم » وردة العرب .

١٢ ـ فقها وحفظا وعلما يجعلونه يقول الفصل في السقيفة .

١٣ ـ قوة حفظ عن النبى « صلى الله عليه وسلم » تجعله يقول كلمة الفصل في دفن النبى « صلى الله عليه وسلم » .

١٤ ـ شجاعة نادرة في القضاء على الردة حتى عادت الجزيرة مسلمة .

١٥ ـ إيمانا بكمال الإسلام وأنه لايقبل التجزئة ولا المفاصلة رفض به عرض القبائل التى امتنعت عن الزكاة مما حرس الدين وحفظه من النقصان .

١٦ ـ اتباعا للنبى « صلى الله عليه وسلم » وتنفيذ الما أمر في جيش أسامة .

١٧ ـ عدلا في الرعية بث الأمن والطمأنينة ومهد الجو لنشر الدعوة .

١٨ ـ قدوة عملية بالأخلاق الحسنة التى مهدت الطريق إلى الدعوة .

١٩ ـ فتوحات عظيمة في العراق والشام لنصر دين الله عز وجل .

٢٠ ـ حسن اختيار للقادة وحسن إعداد للخطط الحربية نصر الدين لله عز وجل .

٢١ ـ جمعا للقرآن الكريم وقياما بحقه .

٢٢ ـ حكما على أساس الشورى لم تعرف البشرية من قبل له مثيلا .

٢٣ ـ دعوة قولية بيانية بالخطب البليغة في سبيل الله وتثبيتا لقواعد الدين .

٢٤ ـ مناقب جمّة لاتحصر ، من خوف الله ، ومراقبته ، ورجاء الكرم منه .

٢٥ ـ حسن اختيار لخليفته عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » رجاء الحفاظ على الأمة ودينها .

(ب) مرض الصديق واستخلافه ووفاته « رضى الله عنه » :

مرض الصديق « رضى الله عنه » بعد مابذل في سبيل الله هذا الجهد الفخم الذى تنوء به شم الجبال ، وتحتاج إلي رجل في قوة الشباب ، وحكمة الشيوخ ، فكان أبو بكر ذلك الرجل .

في سنتين وثلاثة أشهر بعد الخلافة ينظر فإذا الجزيرة دانت لله عز وجل ، وإذا الجيوش تفتح فارس وتهيض جانب الروم لترث أمة محمد « صلى الله عليه وسلم » هذه الحضارات المريضة الظالمة ، وتقود البشرية إلى العدل والهداية .

وكان أبو بكر في مرضه هو أبا بكر في صحته ، وقوة قلبه ، ومضاء عزمه ، وعلو همته ، مشغول بالإسلام وتوطيد أركانه ، وإعلاء كلمته وتثبيت بيانه ، وهاهو المرض قد دب إلى هذا الجسد المؤمن النحيل الذى تعرض للأهوال الجسام ثابت ، وقابل الإبتلاءات المفجعة راضيا مستسلما لله عز وجل ، دب إليه المرض يبشره بقرب لقاء ربه ، ووجوب الاستعداد لمفارقة الدنيا على خير مايحب المؤمن .

نعم إن أبا بكر كان شغوفا بهذا اليوم ، وكان كثيرا ما يسأل النبى « صلى الله عليه وسلم » عن شأن الناس في يوم معادهم ، وهو خائف وجل ، ومؤمل فرج الله ورضوانه ، يسمع الآيات الأخيرة في سورة الفجر « ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى في عبادى وادخلى جنتى »[١] فيغلبه البكاء فيقول له النبى « صلى الله عليه وسلم » « إنك يا أبا بكر ممن يقول له الملك ذلك عند الموت » .

---

(١) سورة الفجر ٢٧ / ٣٠ .

وحين يسمع الحديث عن الجنة من النبى « صلى الله عليه وسلم » يسأل ويستزيد :

أخرج النسائى بسنده عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يقول من أنفق زوجين من شىء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة ياعبد الله هذا خير لك ، وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، قال أبو بكر فهل على من يدعى من تلك الأبواب كلها من ضرورة ؟ فهل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال : نعم ، إني أرجوا أن تكون فيهم يعني أبا بكر .(١)

وسط هذا الجو النفسي الذى يعيشه أبو بكر أدرك أن عملا كبيرا من الأعمال المهمة العظيمة ... إنه أمر المسلمين من بعده ... من الذى يستطيع أن يكمل المسيرة ويقود الأمة ؟ .... إن المشكلة قد تثور عند ندرة المطلوب كما تثور عند الوفرة ، وأبو بكر يجد الأمة غنية برجالها الذين رباهم النبى « صلى الله عليه وسلم » خير تربية .. وما عليه حينئذ إلا أن يفكر ثم يستخير الله تعالى ، ثم يستشير المسلمين .

ووقع اختيار الصديق على الفاروق « رضى الله عنه » حيث تنظر الخلافة رجلا من طراز عمر يقوم بأعبائها ، وتنتظره الدعوة ليحافظ على رايتها مرفوعة وكرامتها موفورة .

لكن الصديق لم يقهر الأمة على هذا الاختيار ، بل شاور أهل الحل والعقد ، وهم جميعا يرون الصديق مريضا لايخرج إلى الصلاة خمسة عشر يوما ، وقد

---

(١) الحديث أخرجه النسائى / كتاب الزكاة / باب وجوب الزكاة ٩/٥ .

وكل عمــر بالصلاة بالنــاس حتى يـدركوا أنْ هذه إشـارة إلى اختيـار عمر للخلافة :

أخرج الواقدى من طرق أن أبا بكر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف فقال : أخبرنى عن عمر بن الخطاب : فقال : ماتسألنى عن أمرو وأنت أعلم به منى ، فقال أبو بكر : وإن .. فقال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان بن عفان فقال : أخبرنى عن عمر ، فقال .. أنت أخبر به فقال علي ذلك ، فقال اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله ، وشاور معـهما سعيد بن زيد ، وأسيد بن حضير ، وغيرهما من المهاجرين والأنصـار ، فـقـال أسيـد : اللهـم أعلمـه الخـيـر بعدك ، يرضى للرضـا ، ويسـخط للسـخط ، الذى يُسِرُّ خيـر من الذى يعلن ، ولن يَلِيَ هذا الأمـر أحـد أقوى منه » .(١)

هكذا يستطلع الصديق آراء الصحابة ـ من توفر منهم ـ ويستشيرهم في عمر فتلتقى الآراء على صلاحه وتقواه ، وقوته وأمانته .

لكن هناك بعض الصحـابة يخـشى من شدة عـمر فـيراجع أبا بكر في هذا الاختيار ويقول قائل منهم : « ما أنت بقائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكر بالله تخوفنى ؟ أقول : اللهم إنى استخلفت عليهم خير أهلك ... أبلغ عنى ما قلت من وراءك ؟ .(٢)

يرد الصـديق بهـذا المنطـق الطيب على من يخـاف من شـدة عـمـر ـ وهو رد مقنع يظهر كيف يسمح الخليفة للآراء كلها : الموافق منها والمخالف دون جزع ولا تبرم ، ويرد بالحجة المقنعة والدليل الساطع يحدث به من رأى أمرا آخر ، بلا تخويف أو تعنيف .. أو سجن أو اعتقال .

---

(١) (٢) الطبرى ٤٣٣/٣ ، الكامل ٢٩٢/٢ ، الطبقات ١٩٩/٣ .

ما أحوج أمتنا إلى أمثال هذه القيادة التى تعترف بحق الإنسان في إبداء رأية ، وسماع حجته ، ثم يقابل بأدب وتقدير ليسمع الحجة والبرهان فيقتنع ليحس الناس بكرامتهم ، ويتهيأ الجو لتربية أمة قادرة على حمل الأمانة وتبليغ الدعوة .

ويستدعى الصديق « رضى الله عنه » أحد كاتبيه ـ ذا النورين ـ عثمان بن عفان « رضى الله عنه » ليكتب وثيقة استخلاف عمر فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ماعهد أبو بكر بن أبى قحافة في آخر عهده بالدنيا ، خارجا منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها ، حيث يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب .. إنى استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا ، وإنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خير ، فإن عدل فذلك ظنى به وعلمي فيه ، وإن بدل فلكل امرىء ، مااكتسب ، والخير أردته ، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، » أمر بالكتاب فختم ، وأمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به .(١)

وصية الصديق « رضى الله عنه »

دعا الصديق الفاروق « رضى الله عنه » فخلا به وأوصاه قائلا :

« إني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملا بالليل لايقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لايقبله بالليل ، وإنه لاتقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فإنما ثقلت موازينه من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لايوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازينه من خفّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وخفته عليهم ، وحق لميزان

---

(١) الطبرى ٤٣٣/٣ ، الكامل ٢٩٢/٢ ، الطبقات ١٩٩/٣ .

لايوضع فيه إلا الباطل أن يحكون خفيفا ، إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيآتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إنى أخاف أن لاأكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لاأكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ، ولايتمنى على الله غير الحق ، ولايلقى بيده إلى التهلكة ، فإذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت ، وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى ، فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ، ولست بمعجز الله » .(١)

هذه وصية خالدة تنطق بالفهم العميق لدين الله ، والحب الشديد لأمة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » والحرص الكافي على أمة الإسلام أن يكون خليفتها تقيا عادلا ، خائفا من الله ، ذاكر الموت حتى لايطه ولا يتكبر .

وقد رفع الصديق يديه مناجيا ربه بعد وصيته لعمر قائلا :

« اللهم إنى لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأيا ، فوليت عليهم خيرهم ، وأقواهم عليه ، وأحرصهم على ما أرشدهم ، وقدم من أمرك ماحضر فاخلفنى فيهم فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، أصلح اللهم ولايته واجعله من خلفائك الراشدين ، وأصلح له رعيته »(٢) ويظهر من هذا الدعاء المميزات التى رشحت عمر للخلافة :

فعمر :

١ ـ خيرهم .

٢ ـ أقواهم عليهم .

٣ ـ أحرصهم على ماأرشدهم .

---

(١) (٢) الكامل ٢/٢٩٢ ، الطبقات ٣/٢٠٠ ، أبو نعيم في الحليه ١/٣٦ ، ابن خلدون ٤/٩٠٣ السيوطى في التاريخ ص٣٢ .

نعم حق لأمة خلفاؤها بهذه الصفات أن تملك قيادة الدنيا لتهديها إلى طريق الحق والخير وتأخذ بيدها إلى سبيل الهدى والرشاد .

يقول رفيق بك العظم :

« كان اختيار عمر للخلافة عملا من أجل أعمال الصديق وأنفعها لدعوة الله ، فالصديق يعلم مكانة عمر من السياسة ، وأنه لا يحيد بالأمة عن سبيل الخشونة في العيش والقناعة بالكفاف ، ولايترك لها عنان الخوض في غمرات النعيم الرومي والترف الفارسي فتفسد أخلاقها ، وتسترخي قواها ، وتفتر عن بث الدعوة همتها .[1]

أحس أبو بكر « رضى الله عنه » بقرب الأجل فاستدعى أم المؤمنين عائشة « رضي الله عنها » وكان نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة وقال لها : يابنية والله مامن الناس أحد أحب إلى غنى منك ، ولا أعز على فقرا بعدى منك ، وإنى كنت نحلتك جداد عشرين وسقا ، فلو كنت جددته واحترزته كان لك ، إنما هو اليوم مال وارث ، وإنما هو أخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله ، فقالت يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته ، إنما هى أسماء فمن الأخرى ؟ قال : ذو بطن ابنة خارجة أراها جارية .[2]

وفى رواية ابن سعد « ذات بطن ابنة خارجة قد ألقى في روعى أنها جارية فاستوصى بها خيرا فولدت أم كلثوم .[3]

قد نظر إلى الطبيب

اشتد المرض بالصديق « رضى الله عنه » ويجتمع الناس حوله يقولون له :

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام ١/١٢٥ وراجع السيرة النبوية لابن حبان ١/٤٣٥ .

(٢) أخرجه مالك عن عروة عن عائشة / تنوير الحوالك ٢/٢٢٣ .

(٣) الطبقات الكبرى من طريق الفضل بن دكين وسفيان بن عيينة عن الزهري ٣/١٩٤ .

ياخليفة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : ألا ندعوا لك طبيبا ينظر إليك ؟ قال قد نظر إلى ... فقالوا : ماقال لك ؟ قال : إني فعال لما أريد .[1]

ثاني الأقمار بجوار المختار « صلى الله عليه وسلم »

رأت عائشة « رضى الله عنها » رؤيا قصتها على أبيها « رضى الله عنه » أن ثلاثة أقمار وقعن في بيتها فقال : إن صدقت رؤياك ليدفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثا فلما قبض النبى « صلى الله عليه وسلم » قال : ياعائشة هذا خير أقمارك »[2]

ولما حضرت الوفاة أبا بكر « رضى الله عنه » كانت أم المؤمنين عائشة بجواره فأنشدت :

لعمرك مايغنى الثراء عن الفتى   إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فقال لاتقولي هكذا يابنيه ولكن قولي :

« وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد »[3]

انظروا ملاءتى هاتين فإذا مت فاغسلوهما وكفنونى فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت » .[4]

وفى رواية أنه نظر إليها كالغضبان ثم قال ليس كذلك ياأم المؤمنين ولكن قولي « وجاءت سكرة الموت بالحق .. » إني قد نحلتك حائطا وإن في نفسي منه

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد من طريق الفضل بن دكين ، ومالك بن مقول عن أبى السفر ١٩٨/٣ وأخرجه الطبرى ٤١٩/٣ وأخرجه أحمد في الزهد من طريق وكيع عن مالك بن مقول ص١١٣ .

(٢) أخرجه الطبرانى في الكبير من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ٢٣ / ٤٨ .

(٣) سورة « ق » ١٩/ .

(٤) طبقات ابن سعد ١٣٩/١ من طريق عفان بن مسلم ، وحماد بن سلمة عن ثابت عن عائشة . ١٩٨/٣ ، والفضل دكين عن هارون بن أبى إبراهيم عن عبد الله بن عبيد ٣/١٩٧ وأخرجه احمد في الزهد من طريق يزيد عن إسماعيل بن أبى خالد ص١٠٩ .

شيئا فردّيه إلى الميراث قالت فرددته فقال : أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير ، إلا هذا العبد الحبشى وهذا البعير الناضح ، وجرد هذه القطيفة ، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر وابرئي منهن ففعلت فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول : رحم الله أبا بكر لقد أتعب من جاء بعده رحمه الله ... ياغلام ارفعهن ... فقال عبد الرحمن بن عوف : سبحان الله تسلب عيال أبى بكر عبدا حبشيا ، وبعيرا ناضحا ، وجرد قطيفة ثمن خمسة دراهم ؟ قال فما تأمر ؟ قال : تردهن على عياله ، فقال : لا والذى بعث محمدا بالحق ـ أو كما حلف ـ لايكون هذا في ولايتى أبدا ، ولا خرج أبو بكر فهن عند الموت وأردهن أنا على عياله .. الموت أقرب من ذلك .(١)

وصية أبي بكر « رضى الله عنه »

أوصى أبو بكر عائشة أن يدفن بجانب النبى « صلى الله عليه وسلم » فلما توفى حفر له وجعل رأسه عند كتفى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وألصق اللحد بقبر النبى « صلى الله عليه وسلم » فقبر هناك .

أخرج ابن سعد أن علي بن الحسين سأل ابن المسيب : أين صلى على أبى بكر ؟ فقال : بين القبر والمنبر قال : من صلى عليه ؟ قال عمر : قال أربعا .(٢)

وأخرج عن أبن شهاب أن عمر دفن أبا بكر ليلا ، ونزل في حفرته معه عثمان ، وطلحة ، وعبد الرحمن ابن أبى بكر ، قال عبد الله بن عمر فأردت أن أنزل فقال عمر كفيت .(٣)

---

(١) الطبقات الكبرى من طريق محمد بن يحيى بن سهل عن أبيه عن جده ٢١٣/٣ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد من طريق عبد الملك بن عمر والفقدى وخالد بن إياس عن صالح ابن أبى حسان ٢٠٦/٣ .

(٣) من طريق مطرف بن عبد الله اليسارى عن عبد العزيز بن أبى حازم عن محمد بن عبد الله ٢٠٨/٣ .

وهكذا دفن ثانى الأقمار بجوار حبيبه « صلى الله عليه وسلم » حتى يبعث يوم القيامة على حال .

فاللهم أرض عن الصديق العتيق ، واجزه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وتقبل هذا العمل في كتابة حياته الدعوية ، وانفع به أمة خير البرية إنك نعم المولى ونعم النصير ، وصل وسلم على صاحب جوامع الكلم ، ومنقذ الأمم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

المــراجــع

المراجــــــع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : التفسير وأسباب النزول .

١ ـ تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء عماد الدين ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ طبعة الحلبى / القاهرة .

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن الكريم : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ الطبعة الثانية مكتبة محمد علي صبيح سنة ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م القاهرة .

٣ ـ أسباب النزول : أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٨ طبعة دار القبلة / جدة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م تحقيق السيد أحمد صقر .

ثالثاً : الحديث الشريف وعلومه .

٤ ـ تحذير الخواص من أحاديث القصاص : جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ طبعة منبر الإسلام ـ القاهرة .

٥ ـ تحفة الأحوذى : أبو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى المتوفى سنة ١٣٥٣هـ الطبعة الثالثة دار الفكر تصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف .

٦ ـ الترغيب والترهيب : زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذري المتوفى سنة ٦٥٦ طبعة الحلبى ـ القاهرة .

٧ ـ جامع بيان العلم وفضله : أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣هـ طبعة دار الكتب الحديثه ـ تعليق عبد الكريم الخطيب ـ القاهرة .

٨ ـ جمع الوسائل شرح الشمائل للترمذي : علي القارى الطبعة الأولى سنة ١٣١٧ القاهرة .

٩ ـ الزهد : أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى المتوفى سنة ٢٤١هـ طبعة دار الكتب العلمية ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ بيروت .

١٠ ـ سنن البيهقى الكبرى : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨هـ طبعة مجلس دائرة المعارف / الهند سنة ١٣٥٢هـ .

١١ ـ سنن الترمذى : أبو عيسى المتوفى سنة ٢٧٩هـ الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ .

١٢ ـ سنن أبى داود : سليمان بن الأشعث المتوفى سنة ٢٧٥هـ طبعة دار الفكر تعليق محمد محي الدين .

١٣ ـ سنن ابن ماجه : أبو عبد الله بن يزيد القزوينى المتوفى سنة ٢٧٥هـ طبعة الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى القاهرة .

١٤ ـ سنن النسائى : أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائى المتوفى سنة ٣٠٣هـ طبعة الحلبى الأولى سنة ١٣٨٣ ـ ١٩٦٤ القاهرة .

١٥ ـ شرح السنة : أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى المتوفى سنة ٥١٦هـ طبعة المكتب الإسلامي الآلى سنة ١٣٩٠ ـ ١٩٧١ تحقيق شعيب الأناءوط ، وزهير الشاويش / دمشق .

١٦ ـ صحيح البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ طبعة دار الشعب / القاهرة .

١٧ ـ صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ طبعة الحلبى ـ القاهرة .

١٨ ـ عون المعبود وشرح : أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى سنن أبى داود مع شرح ابن القيم طبعة السلفية المدينة المنورة الثانية سنة ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨ .

١٩ ـ فتح البارى : أحمد بن على بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ طبعة السلفية . القاهرة تعليق محب الدين الخطيب .

٢٠ ـ فضل الصحابة أحمد بن حنبل الشيبانى المتوفى سنة ٢٤١هـ تحقيق وصِيُّ الله عباس ـ طبعة جامعة أم القرى / مكة المكرمة .

٢١ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار : أبو بكر الهيثمى المتوفي سنة ٨٠٧هـ طبعة مؤسسة الرسالة الأولى سنة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى .

٢٢ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : البرهان فورى طبعة مؤسسة الرسالة ـ ضبط الشيخ بكري حياني سنة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩ .

٢٣ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين أبو بكر الهيثمي طبعة مؤسسة المعارف سنة ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ / بيروت .

٢٤ ـ المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله محمد النيسابورى الحاكم المتوفى سنة ٤٠٥هـ ، طبعة مكتبة النصر الحديثة / الرياض .

٢٥ ـ مسند أحمد : أحمد بن حنبل الشيباني ، طبعة دار الباز بمكة المكرمة .

٢٦ ـ مسند البزار : أبو بكر البزار المتوفى سنة ٢٩٥هـ مخطوطه بمكتبة أحياء التراث جامعة أم القرى / مكة المكرمة .

٢٧ ـ مصنف ابن أبى شيبة : عبد الله بن محمد بن أبى شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ طبعة الدار السلفية ـ الهند ـ تحقيق عامر الأعظمى .

٢٨ ـ مصنف عبد الرزاق : عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ١٢٦هـ الطبعة الأولى ـ المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م ـ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى .

٢٩ ـ المعجم الكبير : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى المتوفي سنة ٣٦٠هـ طبعة الزهراء الحديثة ـ الموصل ـ تحقيق حمدى السلفى .

٣٠ ـ منحة المعبود : أحمد عبد الرحمن البنا طبعة المنيرية الأولى سنة ١٣٧٢هـ ـ القاهرة .

٣١ ـ الموضوعات : أبو الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ طبعة السلفية بالمدينة المنورة الأولى سنة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ، تحقيق عبد الرحمن عثمان .

٣٢ ـ الموطأ : مالك بن أنس الأصبحى المتوفي سنة ١٧٩هـ ، طبعة الحلبي سنة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي / القاهرة .

رابعاً : التاريخ والتراجم .

٣٣ ـ إتمام الوفاء في أخبار الخلفاء : محمد الخضري بك طبعة / القاهرة .

٣٤ ـ أخبار الدول وآثار الأول : أبو العباس أحمد بن يوسف القَرْمانى طبعة عالم الكتب / بيروت .

٣٥ ـ الأخبار الطوال : أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ الطبعة الأولى ، الحلبى سنة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م ، تحقيق / عبد المنعم عامر ، جمال الدين الشيال / القاهرة .

٣٦ ـ الاستيعاب : أبو عمر بن عبد البر القرطبى المالكي المتوفى سنة ٤٦٣هـ طبعة دار الكتاب العربى / بيروت .

٣٧ ـ أسد الغابة : محمد بن محمد الشيباني عز الدين من الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ طبعة دار الكتاب العربي سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م / بيروت .

٣٨ ـ أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة : رفيق بك العظم طبعة القاهرة سنة ١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٩م .

٣٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ طبعة المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م / القاهرة .

٤٠ ـ الأعلام : خير الدين الزركلي طبعة دار العلم للملايين سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م / بيروت .

٤١ ـ الاكتفاء : الربيع بن سليمان الكلاعى / المتوفى سنة ٦٣٤هـ طبعة مكتبة الخانجى سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد / القاهرة .

٤٢ ـ الأنساب : أبو عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢هـ طبعة مجلس دائرة المعارف / الهند سنة ١٣٨٢ ـ ١٩٦٢ ـ تحقيق عبد الرحمن اليمانى .

٤٣ ـ أنساب الأشراف . أحمد بن يحيى البلاذرى المتوفى سنة ٢٧٩هـ طبعة دار المعارف ـ تحقيق : محمد حميد الله / القاهرة .

٤٤ ـ البدء والتاريخ : مطهر بن طاهر الأندلسي المتوفى سنة ٣٥٥هـ أو بعدها طبعة سنة ١٣٣٥هـ .

٤٥ ـ البداية والنهاية : أبو الفداء عماد الدين بن كثير طبعة الدار العلمية سنة ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ ـ تحقيق احمد أبو ملحم وزملائه ـ بيروت .

٤٦ ـ أبو بكر الصديق : علي الطنطاوى طبعـة دار المناره الثالثة سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٤٧ ـ تاريخ الأمم الإسلاميـة : محـمـد الخـضـري بك طبـعـة دار المعـارف / القاهرة .

٤٨ ـ تاريخ التراث العربي : فؤاد سزكين . طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٤٩ ـ تاريخ الخلفاء : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ طبعة المكتبة التجارية الرابعة سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م . تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ـ القاهرة .

٥٠ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : حسين بن محمد الديار بكرى . طبعة / مؤسسة شعبان / بيروت .

٥١ ـ تاريخ خليفة : خليفة بن خياط العصفري المتوفى سنة ٢٤٠هـ ـ تحقيق سهيل زكار .

٥٢ ـ تاريخ الرسل والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ طبـعـة دار المعـارف ـ تحقـيق / مـحـمـد أبو الفـضل إبراهيم / القاهرة .

٥٣ ـ تاريخ أبى زُرْعة : عبـد الرحمن بن عمـرو المتوفى سنة ٢٨١هـ دراسة وتحقيق ـ شكر الله نعمة الله القوجانى .

٥٤ ـ تاريخ العرب : فيليب حتى طبعة سنة ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م .

٥٥ ـ تاريخ أبى الفدا : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الحموي ـ المتوفى سنة ٧٣٢هـ ، طبعة القاهرة / المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٥هـ .

٥٦ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية : محمد أبو زهرة . طبعة دار الفكر العربى ـ القاهرة .

٥٧ ـ تاريخ اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ طبعة دار صادر سنة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م ـ بيروت .

٥٨ ـ تذكرة الحفاظ : أبو عبد اله شمس الدين الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ ـ طبعة دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

٥٩ ـ تقريب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ الطبعة الأولى ـ دار الرشيد ـ سورية سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ـ تحقيق / محمد عوامة .

٦٠ ـ تهذيب الأسماء واللغات : أبو زكريا محيى الدين بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ ، طبعة دار الكتب العلمية / بيروت .

٦١ ـ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : عبد القادر بدران طبعة دار المسيرة الثانية سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م / بيروت .

٦٢ ـ تهذيب التهذيب : أحمد علي بن حجر العسقلانى . طبعة دار صادر / بيروت .

٦٣ ـ جمهرة نسب العرب : أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم المتوفى سنة . طبعة دار المعارف سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م ـ القاهرة .

٦٤ ـ جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين / محمد السيد الوكيل طبعة دار المجتمع / جدة .

٦٥ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م الحلبى ـ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم / القاهرة .

٦٦ ـ حلية الأولياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى المتوفى سنة ٤٣٠هـ طبعة ـ المكتبة السلفية .

٦٧ ـ حول التفسير الإسلامى للتاريخ : محمد قطب .

٦٨ ـ حياة الصحابة : محمد يوسف الكاندهلوى طبعة دار القلم / دمشق ، تحقيق / نايف العباس ـ محمد على دوشه .

٦٩ ـ خصائص العشرة الكرام البررة ، جارالله الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨هـ .

٧٠ ـ الخلفاء الراشدون : عبد الوهاب النجار طبعة / بيروت .

٧١ ـ دلائل النبوة : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى المتوفى سنة طبعة المجلس الأعلى للنشئون الإسلامية سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م ـ تحقيق السيد أحمد صقر / القاهرة .

٧٢ ـ الروض الآنف : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى المتوفى سنة ٥٨١ هـ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ـ تحقيق / طه عبد الرءوف / القاهرة .

٧٣ ـ سلسلة التاريخ الإسلامي : أساتذة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر طبعة / القاهرة .

٧٤ ـ سير أعلام النبلاء : أبو عبد الله شمس الدين الذهبى . الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط .

٧٥ ـ سيرة ابن إسحق : محمد بن إسحق بن يسار ، المتوفى سنة ١٥١هـ طبعة الحلبى ـ تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد / القاهرة .

٧٦ ـ السيرة الحلبية : على بن برهان الدين الحلبى المتوفى سنة ١٠٤٤هـ طبعة الحلبى / القاهرة .

٧٧ ـ السيرة النبوية : ابن حبان أبو حاتم محمد بن احمد البستى المتوفى سنة ٣٥٤هـ طبعة / مؤسسة الكتب الثقافية الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م / بيروت .

٧٨ ـ السيرة النبوية : أبو عبد الله شمس الدين الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ طبعة / دار الكتاب العربى الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م تحقيق / عمر تدمري / بيروت .

٧٩ ـ شذرات الذهب : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى ، سنة ١٠٨٩هـ طبعة / دار الأفاق الجديدة / بيروت .

٨٠ ـ الصديق أبو بكر : محمد حسين هيكل باشا طبعة / القاهرة .

٨١ ـ الصديق : محمد رضا ، طبعة / دار الكتيب العلمية ، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، بيروت .

٨٢ ـ صفة الصفوة : أبو الفرج بن الجوزي ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، طبعة / دار الوعي الأولى ، سنة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٩م ، تحقيق / محمود فاحوري .

٨٣ ـ الصواعق المحرقة : محمد أحمد بن حجر الهيثمي المتوفى سنة ٩٧٤هـ طبعة مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥ تحقيق د./ عبد الوهاب عبد اللطيف .

٨٤ ـ الطبقات الكبرى : محمد بن سعد ، طبعة / دار صادر / بيروت .

٨٥ ـ عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام : سليمان بن حمد العودة طبعة / دار طيبة للنشر الثانية / الرياض .

٨٦ ـ العبر في خبر من غبر : شمس الدين الذهبى ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، طبعة / دار الكتب العلمية / بيروت .

٨٧ ـ عظماؤنا في التاريخ : مصطفى السباعى ، طبعة / دمشق .
٨٨ ـ العواصم من القواصم : أبو بكر بن العربى ، طبعة / المطبعة السلفية إشراف / محمد جميل زينو / القاهرة .
٨٩ ـ عيون الأثر في اختصار المغازي والسير : أبو الفتح بن سيد الناس ، نشر / دار المعرفة / بيروت .
٩٠ ـ الفتوح : أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ، المتوفى سنة ٣١٤ هـ ، طبعة / دائرة المعارف / الهند ، سنة ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨ .
٩١ ـ فتوح البلدان : أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادى ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، طبعة / المكتبة التجارية ، سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م / القاهرة .
٩٢ ـ فتوح الشام : أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى : المتوفى سنة ٢٠٧هـ الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م ، الحلبى / القاهرة .
٩٣ ـ فتوح مصر وأخبارها : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم ، المتوفى سنة ٢٥٧هـ ، تقديم وتحقيق / محمد صبيح .
٩٤ ـ فقه التاريخ : عبد الحليم عويس ، طبعة / دار الصحوة / القاهرة .
٩٥ ـ الكامل في التاريخ : محمد الجزري عز الدين بن الأثير ، المتوفى سنة ٦٣٠هـ طبعة / دار الكتاب العربى ، سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م / بيروت .
٩٦ ـ لسان الميزان : أحمد بن على بن حجر العسقلاني ، الطبعة الثانية مؤسسة الأعلى ، سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م / بيروت .
٩٧ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوى ، طبعة / القاهرة .
٩٨ ـ مروج الذهب : أبو الحسن علي بن الحسن المسعودى ، المتوفى سنة ٣٤٦هـ ، تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد .

٩٩ ـ المعرفة والتاريخ : أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي ، طبعة / مؤسسة الرسالة الثانية ، سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

١٠٠ ـ مغازى الواقدى : محمد بن عمر الواقدى ، عالم الكتب / بيروت / تحقيق / مارسون جونس .

١٠١ ـ مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون ، طبعة / دار الشعب / القاهرة .

١٠٢ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال : أبو عبد الله شمس الدين الذهبى ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، طبعة / السلفيه / القاهرة .

١٠٣ ـ ميزان الاعتدال : شمس الدين الذهبى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ، الحلبى ، تحقيق / البيجاوى / القاهرة .

١٠٤ ـ نسب قريش : أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى طبعة / دار المعارف / القاهرة .

١٠٥ ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : أبو العباس القلقشندى ، المتوفى سنة ٨٢١هـ ، طبعة / الشركة العربية / القاهرة .

١٠٦ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، المتوفى سنة ٧٣٣هـ طبعة / وزارة الثقافة المصرية / القاهرة .

١٠٧ ـ الوزراء والكتاب : أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى ، المتوفى سنة ٣٣١هـ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م .

١٠٨ ـ الأسلوب : أحمد الشايب ، طبعة / القاهرة .

١٠٩ ـ البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ طبعة لجنة التأليف والترجمة ، تحقيق / عبد السلام هارون / القاهرة .

١١٠ ـ تذكرة الدعاة : البهى الخولى ، طبعة / القاهرة .

١١١ ـ تذكرة دعاة الإسلام : أبو الأعلى المودوى ، طبعة / شباب جامعة / القاهرة .
١١٢ ـ ثقافة الداعية : عبد الله علوان ، طبعة / دار السلام / القاهرة .
١١٣ ـ ثقافة الداعية : يوسف القرضاوي ، طبعة / القاهرة .
١١٤ ـ ديوان حسان بن ثابت : تحقيق / د. وليد عرفات .
١١٥ ـ غرر الخصائص الواضحة : برهان الدين بن يحيى ، طبعة / المكتبة العامرة / القاهرة .
١١٦ ـ فقه الدعوة والإعلام : عمارة نجيب محمد ، طبعة / المنصورة / مصر .
١١٧ ـ كيف ندعوا الناس : عبد البديع صقر ، الطبعة السادسة مكتبة وهبة سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦ / القاهرة .
١١٨ ـ هداية المرشدين إلي طرق الوعظ والخطابه : على محفوظ ، طبعة / الاعتصام التاسعة ، سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م / القاهرة .

سادسا : العقيدة .

١١٩ ـ الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى طبعة / سنة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م .
١٢٠ ـ الإنصاف : أبو بكر بن الطيب الباقلانى ، طبعة / الخابخى ، سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م / القاهرة .
١٢١ ـ شرح العقيدة الطحاوية : علي بن علي بن محمد بن أبى العز ، المتوفى سنة ٧٩٢هـ ، طبعة / مكتبة القاهرة .
١٢٢ ـ غاية المرام : سيف الدين الآمدى ، طبعة / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م ، تحقيق / حسين عبد اللطيف / القاهرة .

١٢٣ ـ الفَرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادى ، طبعة / صبيح ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد / القاهرة .

١٢٤ ـ الفصَل في الملل والنحل : أبو محمد علي ابن حزم الأندلسي ، الطبعة الأولى / مطبعة التمدن ، سنة ١٣٢١هـ / القاهرة .

١٢٥ ـ الفقه الأكبر : أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، شرح ملا على القاري طبعة / الحلبى / القاهرة .

١٢٦ ـ لمع الأدلة : أبو المعالى الجوينى ، طبعة / الدار المصرية الأولى ، سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م تحقيق / فوقية حسين .

١٢٧ ـ مقالات الإسلامين : أبو الحسن الأشعرى ، طبعة / القاهرة .

١٢٨ ـ منهاج السنة النبوية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، طبعة / دار العروبة ، تحقيق / محمد رشاد سالم .

سابعا : الفقه والسياسة الشرعية .

١٢٩ ـ الأحكام السلطانية : أبو الحسن الماوردي البصري ، المتوفى سنة ٤٥٠هـ الطبعة الثالثة الحلبى ، سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م / القاهرة .

١٣٠ ـ الإدارة الإسلامية في عز العرب : محمد كرد علي ، مطبعة / مصر ، سنة ١٩٣٤م / القاهرة .

١٣١ إعلام الموقعين : أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى « ابن القيم » ، المتوفى سنة ٧٥١هـ ، طبعة / دار الكتب الحديثة ، تحقيق / عبد الرحمن الوكيل / القاهرة .

١٣٢ ـ الأم : محمد بن إدريس الشافعى ، طبعة / دار الشعب / القاهرة .

١٣٣ ـ الخلافة والإمامة : عبد الكريم الخطيب ، طبعة / دار المعرفة الثالثه ، سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م / بيروت .

١٣٤ ـ السياسة الشرعية : أحمد عبد الحليم الحرانى « ابن تيمية » ، المتوفى سنة ٧٢٨هـ ، طبعة / السلفية ، سنة ١٣٨٧هـ / القاهرة .

١٣٥ ـ الطرق الحكمية : ـ ابن القيم ـ مطبعة / السنة المحمدية ، سنة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م / القاهرة .

١٣٦ ـ العلاقة بين الحاكم والمحكوم في ضوء السنة النبوية : يحيى إسماعيل أحمد ، طبعة / دار الوفاء ، المنصورة / مصر .

١٣٧ ـ غياث الأمم : أبو المعالى الجوينى ، طبعة / دار الدعوة ، الإسكندرية / مصر .

١٣٨ ـ الفصحى في الآداب السلطانية : محمد بن على بن طباطبا ، طبعة / المكتبة التجارية ، سنة ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م / القاهرة .

١٣٩ ـ فن الحرب الإسلامى في عهود الخلفاء الراشدين وبنى أمية : بسام العسلي ، طبعة / دار الفكر ، سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م / بيروت .

١٤٠ ـ فن الحرب ونظمها عند المسلمين : عبد الرؤف عون ، مكتبة الرسائل الجامعية ـ كلية الأداب / جامعة القاهرة .

١٤١ ـ مصنعة النظم الإسلامية : صبحى الصالح ، طبعة / بيروت .

١٤٢ ـ مغنى المحتاج : محمد الشربينى الخطيب ، طبعة / دار إحياء التراث العربى / بيروت .

١٤٣ ـ موازين الدين والسياسة : عز الدين بليق ، طبعة / بيروت .

١٤٤ ـ نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة : مصطفى حلمى ، طبعة / القاهرة .

١٤٥ ـ النظريات السياسية الإسلامية : ضياء الدين الريس ، طبعة / القاهرة .

ثامنا : المعاجم الجغرافية واللغوية .

(أ) الجغرافية :

١٤٦ ـ تقويم البلدان : أبو الفداء عماد الدين بن إسماعيل الحموى السلطان طبعة / الخانجى / القاهرة ـ المثنى / بغداد .

١٤٧ ـ قاموس الأماكن والبقاع الواردة في الفتوحات : علي بهجت ، طبعة / القاهرة .

١٤٨ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : صفي الدين بن عبد الحق البغدادى ، المتوفى سنة ٧٣٩هـ ، طبعة / دار المعرفة ، سنة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م ، تحقيق البجاوى / بيروت .

١٤٩ ـ المسالك والممالك : أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة ، المتوفى سنة ٣٠٠هـ ، طبعة / مكتبة المثنى / بغداد .

١٥٠ ـ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة : محمد محمد حسن شراب ، طبعة / دار القلم الأولى ، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م / دمشق .

١٥١ ـ معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي ، المتوفي سنة ٦٢٦هـ ، طبعة / دار الكتاب العربى / بيروت .

١٥٢ ـ معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : عفيف عبد الرحمن ، طبعة / دار العلوم للطباعة ، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١٥٣ ـ معجم قبائل العرب : عمر رضا كحالة . طبعة / دار الرسالة / بيروت .

١٥٤ ـ معجم ما استعجم : أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى ، المتوفى سنة ٤٨٧هـ ، طبعة / عالم الكتب ، تحقيق / مصطفى القار / بيروت .

١٥٥ ـ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية : عاتق بن غيث البلادي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٥٢م / دار مكة .

(ب) اللغوية

١٥٦ ـ ترتيب القاموس المحيط للفيروزآبادى : الطاهر الزاوى ، الطبعة الثانية الحلبى / القاهرة .

١٥٧ ـ الصحاح : الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، دار العلم للملايين / بيروت .

١٥٨ ـ لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى بن منظور ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م / الدار المصرية .

١٥٩ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى ، سنة ٦١٦هـ ، طبعة / المكتبة الإسلامية ، تحقيق / الزاوى والطناحى .

الفهـــارس

فهرس الموضوعات

الفهـــــــارس	رقم الصفحة